

الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر
عن دارة الملك عبد العزيز

العدد الثالث - السنة الرابعة والثلاثون - ١٤٢٩ هـ

الدارة



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص. ب ٢٩٤٥ . الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩ . فاكس ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

السعر

السعودية ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم،

قطر ٧ ريالات، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس،

سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة، المغرب ٨ دراهم،

مصر ١٥٠ قرش، تونس دينار واحد

خارج الدول العربية ما يعادل دولاراً أمريكياً واحداً

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك من داخل المملكة العربية السعودية

للاشتراك من الخارج ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم

دارة الملك عبد العزيز على العنوان الآتي:

ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩ / ٢٠١٦ . فاكس ٤٠١٣٨٩٤

بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

موقع الإنترنت www.aldarahmagazine.com

شركات التوزيع

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع، الرياض، هاتف: ٤٤١٨٩٧٢

مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع، القاهرة، هاتف: ٥٧٨٦٢٠٠

الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة، دبي، هاتف: ٢٦٦٥٣٩٤

البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع، المنامة، هاتف: ٢٩٤٠٠٠

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، الكويت، هاتف: ٢٤١٧٨١٠

سلطنة عمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام، مسقط، هاتف: ٧٠٠٨٩٥

قطر: دار الثقافة، الدوحة، هاتف: ٤١٣١٨٠

المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع، الدار البيضاء، هاتف: ٤٠٠٢٢٣

تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز



رقم الإيداع: ٠٠٨٢ / ١٤ بتاريخ ٢٢/١/١٤١٤هـ

ردمد ٠١٤٨ ـ ١٣١٩

نشاطات الدارة

الأمير سلمان دشن مشروع موسوعة الحج والحرمين الشريفين وألقى محاضرة عن الملك عبدالعزيز بجامعة أم القرى

◀ قام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة الدارة المشرف العام على مشروع موسوعة الحج والحرمين الشريفين بزيارة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وفور وصول سموه افتتح المعرض الخاص بحياة الملك عبدالعزيز الذي أعدته الدارة بالتعاون مع جامعة أم القرى والذي اشتمل على معروضات من الدارة عن الملك عبدالعزيز ومكة المكرمة.

إثر ذلك قام سموه بالتوقيع على الكتاب الذي أصدرته الدارة للمناسبة إيذانًا بانطلاق الأعمال العلمية والبحثية لمشروع موسوعة الحج والحرمين الشريفين. كما تم الإعلان عن موافقة مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز على إنشاء مركز تاريخ مكة المكرمة، يكون مقره في جامعة أم القرى، وتشرف عليه دارة الملك عبدالعزيز، ويتابع شؤونه مجلس مختص برئاسة الأمير سلمان بن عبدالعزيز ونيابة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة.

وقد ألقى الأمير سلمان بن عبدالعزيز محاضرة عن حياة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة بعنوان (الملك عبدالعزيز ومكة المكرمة، رؤية اجتماعية)، تحدث فيها عن مكانة مكة المكرمة والمدينة المنورة في نفس الملك عبدالعزيز، وحرصه على ترسية الأمن وتمكين الحجاج من أداء مناسكهم، واهتمامه بالتوسعة، كما استعرض بعض القرارات التنظيمية التي انطلقت من مكة المكرمة.

وبعد نهاية المحاضرة رد سموه على مداخلات الحضور، ثم تسلم سموه الهدايا التذكارية من مدير الجامعة ووكيلها، ثم أعلن مدير الجامعة عن منح الجامعة الدكتوراه الفخرية في الآداب للأمير سلمان بن عبدالعزيز تقديرًا وعرفانًا لسموه لجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين، ثم شرف سموه حفل العشاء الذي أعدته الجامعة بهذه المناسبة.

بالتعاون مع معهد الاستشراق وجامعة تشارلز ومتحف فيشكوف في جمهورية التشيك، دارة الملك عبدالعزيز تعقد ندوة عن أعمال المستشرق "ألويس موسيل" في مدينة براغ

◀ عقدت دارة الملك عبدالعزيز، بالتعاون مع معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم التشيكية وجامعة تشارلز ومتحف فيشكوف في جمهورية التشيك، ندوة علمية حول (أعمال الرحالة ألويس موسيل) في العاصمة التشيكية براغ في ١٥/ ٦/ ١٤٢٩هـ الموافق ١٩/٦/٢٠٠٨م، تحت رعاية سعادة نائب وزير الخارجية التشيكي وسعادة نائب الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز، وبحضور القائم بأعمال سفارة خادم الحرمين الشريفين في جمهورية التشيك، بمشاركة باحثين سعوديين وتشيك ومن دول أخرى من المهتمين بحركة الاستشراق بصفة عامة وأعمال الرحالة والمستشرق التشيكي ألويس موسيل (١٨٦٨-١٩٤٤م). وتناولت الندوة ثلاثة محاور: ألويس موسيل جسرًا بين الثقافتين العربية والأوروبية، ألويس موسيل والجزيرة العربية، كتابات ألويس موسيل مصدرًا من مصادر تاريخ الجزيرة العربية.

أبواب المجلة

عندما اعتزمت مجلة الدارة اتخاذ خطوات جديدة في سبيل الرقي بها، اعتمدت على مجموعة من الضوابط والمعايير التي من شأنها أن تحقق النجاح الذي تطمح إليه. وبناء على هذا أعادت النظر في أعداد المجلة خلال ربع قرن، فأخذت منها ما برز على نظائره، وزادت عليها ما يسمو بها، وعلى هذا جاءت أبواب المجلة في ثوبها الجديد، وهي:

- ١ - **البحوث العلمية.** وتعد عماد مجلة الدارة، التي حاولت منذ أمد أن تحقق فيها أعلى درجات الدقة العلمية والجدة والموضوعية، وجاءت في حلتها الجديدة منتقاة موافقة لاتجاه المجلة محققة للغرض من إنشائها.
- ٢ - **البحوث المترجمة.** وهذا الباب يزود قراء العربية بترجمة للبحوث التي صدرت بلغات أجنبية كان لأصحابها اهتمام بتاريخ الجزيرة العربية عامة، أو بتاريخ المملكة العربية السعودية خاصة. ويشترط لنشر هذه البحوث ذكر اسم المؤلف الأصلي كاملا، والمصدر الذي أخذ البحث عنه، وتمييز تعليقات الباحث عن تعليقات المترجم. وإرفاق الأصل المترجَم لمطابقته وتحكيمه.
- ٣ - **الوثائق.** باب يهدف إلي خدمة الباحثين والمهتمين، بالتعريف والدراسة لعدد من الوثائق المحفوظة في مراكز حفظ الوثائق في دارة الملك عبدالعزيز وغيرها. ويشترط لنشر هذه الوثائق إرفاق صورة واضحة من الوثائق المدروسة، مع ذكر الجهة التي تحتفظ بها، ورقم الحفظ.
- ٤ - **باب ملخصات الرسائل العلمية.** وترمي المجلة من هذا الباب إلى تسليط الضوء على آخر الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) التي قدمت خلال السنوات الثلاث الأخيرة في مجال التاريخ السعودي خاصة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية عامة.
- ٥ - **باب البحوث الجارية.** وفي هذا الباب ترغب الدارة في تعريف المختصين بالبحوث والرسائل العلمية التي لم يتسن نشرها أو لم تتم مناقشتها حتى تاريخ إصدار عدد المجلة، ويشترط لنشر هذه البحوث أو الرسائل أن تتضمن خلاصة وافية لها إضافة إلى النتائج التي توصلت إليها، مرفقة بالخطة بالنسبة للرسائل العلمية.
- ٦ - **مراجعة الكتب.** تعريف بالكتب المطبوعة في مجالات الدارة المتنوعة، ونقدها بأسلوب علمي.

  وللنشر في هذا الباب ينبغي ألا تزيد المراجعة عن تسع صفحات، متضمنة موضوع الكتاب وحدوده الزمانية والمكانية والمرجعية، منهج الباحث في بحثه وأدواته ومصادره، إضافاته واستدراكاته على من سبقه، إيجابياته وسلبياته، إضافات المراجع واقتراحاته.

  وللمراجع اختيار طريقة عرض الكتاب بما يلائم الكتاب وما يراه مناسبًا.
- ٧ - **ملخصات الكتب.** باب يضع للقارئ ملخصًا للكتب المؤلفة حديثًا، في مجالات الدارة، ويعرض الغرض من تأليفها، وأبرز موضوعاتها، وما تميزت به من مصادر أو مناهج بحث أو ما تحتويه من أشكال وخرائط وصور ووثائق.

  ومجلة الدارة ترحب بالراغبين في نشر مراجعات علمية، أو ملخصات لكتبهم (وهو المستحسن) أو لكتب غيرهم، إذ تستقبلها على عنوانها البريدي، باب: مراجعة الكتب، أو باب: ملخصات الكتب.
- ٨ - **تعقيبات وتعليقات.** تنشر فيه المجلة ما يرد إليها من الباحثين والقراء من تعقيبات أو تعليقات على ما نشر فيها بغرض زيادة التواصل العلمي بين الباحث وقرائه.

شروط النشر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

وينبغي أن تتوافر في هذه البحوث الشروط الآتية:

١ - أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والجدة في الموضوع والعرض.

٢ - أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب، واضح الدلالة.

٣ - ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلا من رسالة علمية أو كتاب مطبوع.

٤ - أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسب الآلي، مرفقا معه القرص المنسوخ عليه.

٥ - أن يرفق مع البحث ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مع الحرص على الدقة في كتابة العنوان باللغة الإنجليزية.

٦ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية والصور والوثائق والمخطوطات.

٧ - أن توضع الحواشي في آخر البحث، على أن يكون الترقيم متواصلا.

٨ - أن تذكر المعلومات الوراقية (الببليوجرافية) للمصادر المعتمد عليها (الكتب، والمقالات، والمخطوطات) عند أول ذكر لها في الحواشي، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع.

٩ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية، وتكتب بلغتها بين قوسين عند أول ورود لها.

١٠ - أن يرفق الباحث سيرة ذاتية له توضح نشاطه العلمي والعملي.

منهج النشر

١ - تخضع البحوث الواردة للمجلة للتحكيم العلمي. ويلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعليل ما لم يعدل.

٢ - يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من المجلة.

٣ - تمنح المجلة الباحث مكافأة مالية، وفق اللائحة المعتمدة.

٤ - لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

٥ - تحتفظ المجلة بحقها في الحذف والاختزال والتعديل اليسير بما يتوافق مع أغراض الصياغة والمنهج العلمي المتبع.

٦ - لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

٧ - لا صلة لترتيب البحوث بالمجلة بالقيمة العلمية للبحث أو الباحث، إذ الترتيب موضوعي وفني، وبما يناسب أبواب المجلة.

٨ - ترسل البحوث والدراسات والآراء والتعليقات إلى رئيس التحرير.

المحتويات

البحوث

ملخصات رسائل علمية

بحوث مترجمة

مراجعات كتب

تعقيبات وتعليقات



الملك عبدالعزيز في مجلسه
في الرياض ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م)
المصور: إيجيرو ناكنو
المصدر: دارة الملك عبدالعزيز

زرقاء اليمامة
بين الحقيقة والخيال

أ. عبدالله بن محمد الشايع

تحدثت كتب التراث كثيرًا عن زرقاء اليمامة التي يضرب المثل في قُــوَّة إبصــارها، تلك المرأة التي كــان لهــا دور في أحـداث اليـمـامـة في عـصـرها القـديم أيام قـبـيلتي طسم وجديس. ومن يستعرض النصوص الكثيرة التي تكلمت عن هذه المرأة يلحظ أن هناك تفاوتًا في سرد الروايات؛ الأمر الذي يدعو إلى الشك في صحة بعض ما قيل عنها. وقبل أن نستعرض تلك الروايات دعونا نتعرف على اليمامة التي نسبت إليها "الزرقاء" فأقول: "اليمامة" لها اسم عامٍ واسم خاص، فالعام يطلق على إقليم اليمامة الممتد شمالاً حتى قرب مندفن جبل طويق (عارض اليمامة) في رمال "الثويرات" شمال مدينة الزلفي، والممتد جنوبًا حتى وراء قرية الفاو حيث يندفن جنوبًا من السليل والوادي في مكان اشتهر بالمندفن.

أما امتداد اليمامة من جهتي الشرق والغرب فهو من السعة بمكان، وتحديد هذا يجرنا إلى كلام قد يطول، ولسنا هنا في مجال تحديد امتدادها؛ حيث يكفينا معرفة ما يدل عليه لفظ اليمامة بمعناه العام.

أما لفظ اليمامة الخاص: فهو يعني مدينة بعينها تسمى اليمامة وهي قاعدة هذا الإقليم. وما تزال اليمامة بلدة محتفظة باسمها القديم إلى وقتنا الحاضر، وهي واقعة في الجهة الشمالية من محافظة الخرج على خط العرض ٠٠ ١١ ٢٤ وخط الطول ٤٦ ١٩ ٤٧، ويوجد فيها آثار مبان قديمة محاطة الآن بسياج. ومن قرى هذه المدينة في عصورها الزاهرة الخرج.

قال البكري: "الخَرْج: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده جيم؛ قرية من قرى اليمامة"(١). ويبدو لي أن قرية الخرج هذه هي أشهر القرى في تلك الناحية، ولذا نسب القدماء الوادي إليها فقالوا: وادي الخرج.

وقال أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: "الخرج: قرى باليمامة كثيرة ونخيل لبطون بكر بن وائل، قال ذو الرمة: بنفحة من خزامى الخرج هيجها"(٢).

ويقول ياقوت الحموي في معجمه: "الخرج... واد فيه قرى من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عُكاية من بكر بن وائل في طريق مكة من البصرة، وهو من خير واد باليمامة، أرضه أرض زرع ونخل قليل..."(٣).

---

(١) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، دار الكتب العلمية، ١١٩/١.

(٢) أبو القاسم محمود الزمخشري، الأمكنة والجبال والمياه، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار عمار، ص٩١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، ٣٥٧/٢.

أمـا الشـيـخ عـبـدالله بن خـمـيس فـقـد أطال الكلام عن الخـرج، ومما قاله: "وهكذا الخـرج في العصـور البائدة، أما في الجاهلية فقد كان الخرج - جـو اليمامة - منافسًا كبيرًا لحَجْر - الرياض - فقد كان في الخـرج - جو الخِضْرِمَة - وهي قصبة المنطقة ومدينتها العتيدة وحصنها المنيع. وحولها الحـصن العظيم الذي يقـال له الجَوْن وإليـه أشـار المتلمس بقوله:

ألم تر أن الجون أصبح راسيًا   تطيف به الأيام ما يتأيس (؟)

عصى تبعًا أيام أهلكت القرى   يطان عليـه بالصفيح ويكلس

والخضرمة تقع من الخرج قرب قرية اليمامة المعروفة الآن بالخـرج، ويرى الشيخ حـمـد الجـاسـر - رحـمـه الله - أنها هنالك، وأنهـا قـاعدة ملك هوذة بن علي السـحيمي رأس بني حنيفة آنذاك، مع أن بني سحيم كانت قاعدة بلادهم قَرَّان - القـرينة اليـوم - في وادي الشـعيب تحت حـريملاء وفـوق ملهم، وبذلك جـزم أبو عـبـيـد البكري في كتـابه مـعـجم مـا اسـتـعـجم، وقد أيد هذا القـول من المؤرخين ابن لـعـبون في تاريخه، ولا شك أن بني سحيم هم رهط هـوذة بن علي وفي شعر الأعشى ما يشير إلى أن هوذة كان في قَرَّان في قصيدته التي مطلعها:

أحيَّـتك تيـا أم تركت بدائكا   وكـانت قـتـولاً للرجـال كـذلكا

إلى أن قال:

إلى هوذة الوهاب أهدي مديحتي أرجي نوالاً فاضلاً عن عطائكا
تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما عمدت من أهله لسوائكا

فتجانف الناقة عن جو معناه تركه جانبًا، وما عمدت من أهله.. فمن هنا بمعنى اللام يعني وما عمدت لأهله سوى أنها عامدة لك..."(٤).

التعليق:

١ - نجد هنا أن الأستاذ عبدالله بن خميس، وهو مؤلف معجم اليمامة يقول: "أما في الجاهلية فقد كان الخرج - جو اليمامة - منافسًا لحَجْر... فقد كان في الخرج جو الخضارم وهي قصبة المنطقة". أقول تعليقًا على هذا: هناك فرق بين الخرج وبين جو اليمامة أو جو الخضرمة، فمن النصوص الواردة في كتب علماء المنازل والديار يستدل على التفريق بين المكانين، وأن لكل واحد اسمه الخاص به في الجاهلية وصدر الإسلام مع تقاربهما المكاني. يقول الهمداني وهو يصف الطريق من نجران إلى اليمامة: "... من نجران إلى العقيق أربع مراحل، ومن العقيق إلى الفَلَج سبع لطاف، ومن الفلج إلى الخرج ثلاث مراحل خفاف، ومن الخرج إلى الخضرمة مرحلة..."(٥).

---

(٤) عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ١/ ٣٧٣.

(٥) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، ص٣١٢.

فهذا يدلنا على أن الخرج شيء والخضرمة شيء آخر. أما الحربي - صاحب كتاب المناسك وأماكن طرق الحج - فعندما عدد البلدان التي يصلى فيها جمعة قال: "... ثم المنبر بجو بموضع من جو يقال له الخضرمة، وأهلها قوم من ربيعة يقال لهم السعول. ثم المنبر بالخرج وأهله قيس بن ثعلبة. والمنبر بالمجازة وأهلها بنو هزان من ربيعة"(٦).

٢ - مما يدل على أن صاحب معجم اليمامة غير متأكد من هذا التحديد للخضرمة قوله بعد ذلك: و"الخضرمة تقع من الخرج قرب قرية اليمامة المعروفة الآن بالخرج"، ويرى الشيخ حمد الجاسر أنها هنالك وأنها قاعدة ملك هوذة بن علي السحيمي. ثم أردف قائلاً: "مع أن بني سحيم كانت قاعدة بلادهم قران - القرينة اليوم في وادي الشعيب تحت حريملاء". أقول: إني مع الرأي الذي قال به شيخنا حمد الجاسر - رحمه الله - وهو ما أورده الشيخ في كتابه مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ. حيث قال هناك: "وتقع الخضرمة في جو في أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة اليمامة في العهد الحاضر، أو قريب من ذلك الموضع. وكان هوذة بن علي السحيمي الحنفي من تلك البلاد التي انتشرت فيها بنو حنيفة في ذلك العهد فامتد سلطانه على اليمامة كلها، وصار يحمي التجارة التي تأتي من بلاد الفرس، ومن

---

(٦) إبراهيم بن إسحاق الحربي، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص٦١٧.

شـرق الجـزيرة حـتى تبلغ سـوق حـجَر وغـيـره من أسـواق الجـزيرة"(٧).

ثم إن تشكيك الشيخ عبدالله بن خميس حول قاعدة ملك هوذة بن علي لكون قاعدة بلاد بني سحيم هي قران تشكيك لا مسوغ له، كما أنه لا وجه لاستشهاده بقول الأعشى على الرأي الذي يميل إليه:

تجانف عن جَوّ اليمامة ناقتي   وما عمدت من أهله لسوائكا

حيث فسر معنى البيت تفسيرًا يؤيد ما يقول به من رأي، من أن ناقة الأعشى تجانفت عن جو اليمامة، أي تركته جانبًا لتستمر في سيرها إلى قرَّان مقر إقامة هوذة. أما التعليل بأن معنى حرف الجر مِنْ هو اللام فهو تعليل غير قوي. وياقوت الحموي عندما أورد هذا البيت في معجمه "رسم الجَوّ" أبدل حرف الجر "في" بالحرف "عن" حيث قال: "وقال بعضهم:

تجانف عن جَوّ اليمامة ناقتي   وما عمدت من أهله لسوائكا

وظني أن حروف الجر لو اجتمعت متضافرة على لوي خطام ناقة الشاعر الأعشى عن قصدها لمقر سكنى هوذة بن علي في جو اليمامة إلى قُرَّان فلن تقوى على ذلك؛ لأن مقر سكنى الأعشى في منفوحة. فإذا افترضنا أن مقر هوذة في قُرَّان فما الذي يحمله على التوجه مع الطريق المعاكس - أي باتجاه جو اليمامة - لتتجانف ناقته عن أهله؟!

(٧) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ص٤٥.

وكان الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - قد انتقد من قال بهذا الرأي وهو البكري في كتابه معجم ما استعجم، حيث قال الجاسر في كتابه مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ تحت عنوان (حَجْر عند ظهور الإسلام): "ولما ظهر الإسلام كانت زعامة اليمامة وما حولها لِهَوْذة بن علي السُّحَيْمي الحنفي، وكان يسكن جَوّ الخضارم في الخرج، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتابًا يدعوه إلى الإسلام هذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هوذة بن علي: سلامٌ على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفِّ والحافر فأسْلِمْ تَسْلَمْ، وأجْعَل لك ما تحت يدك. ولكن هوذة كتب جوابًا يقول فيه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله؛ وأنا شاعر قومي، وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتَّبِعْكَ. ولما بلغ النبي ﷺ جوابه قال: لو سألني سَيَابَة - أي بلحةً - من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه!. فلم يلبث هوذة إلاَّ قليلاً ثم توفي. ويرى بعض المؤرخين أن منزل هوذة كان في قُرَّان بقرب مَلْهَم، ولكن الصحيح أنه كان في جَوّ في الخرج، وليس جَوّا الواقع في البَطِين بقرب المزاحمية كما توهم بعضهم.

وكان ثُمَامة بن أثال الحنفي يسامي هوذة بن علي في الشرف، وهو من أهل حَجْر. ولما بعث الرسول ﷺ الرسل إلى ملوك العرب لدعوتهم إلى الإسلام بعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة كما يعبر ابن هشام..."[٨].

(٨) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ص ٤٥- ٤٩.

ومع هذا وذاك، فإن قُرَّان - القرينة حاليًا - ليست مؤهلة لأن تكون مقر حكم لملك سيطر على اليمامة، وعلى طرق التجارة مثل هوذة بن علي الذي لعلو شأنه ألبسه كسرى تاجًا. ثم أين هي الآثار الباقية في قُرَّان لتدل على أنها كانت قاعدة لحكم ملك يقصده الشعراء مثل الأعشى بغية نواله؟! أما اليمامة فآثارها باقية حتى الآن، ولأهمية هذه الآثار: فقد أحيط ما تبقى من آثارها القديمة بسياج حتى يحين التعرف على ما تحت الأنقاض.

صحيح أن قُرَّان بلاد لبني سحيم، ولكن ألا يمكن انتشارهم خارجها؟ إن أقوال المؤرخين وعلماء البلدان تفيد بأنهم سكنوا جَوّ اليمامة، ومن هذه الأقوال ما ذكره الهمداني بقوله: "اليمامة: أرض اليمامة حَجْر وهي مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها وإليها تجلب الأشياء، ثم جَوّ وهي الخضرمة وهي اليمامة وهي من حَجْر على يوم وليلة وفيها بنو سُحَيْم وبنو ثمامة وبنو عامر بن حنيفة وبنو عجل"(٩).

وقد ذكر صاحب كتاب المناسك أن في السُّحَيْمِيَّة منبرًا، والسحيمية هذه تقع وسط جبل طويق شمال حريملاء والقرينة - قران قديمًا - وقد حددت مكانها أثناء تحقيقي لمسار الطريق التجاري الذي يمر بها، ومن هنا نعرف أن بني سحيم يقطنون أكثر من موضع في إقليم اليمامة.

---

(٩) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، ص٣٠٧- ٣٠٨.

هذا التباين في وجهات النظر حول تحديد موضع اليمامة - جَوّ - والتي تعددت أسماؤها حسب قصد القائل، فإذا قُصِدَتِ البلدة قيل جَوّ وإذا قصدت البلدة وما حولها قيل الخضرمة أو جَوّ الخضرمة أو جو اليمامة، وهذا مثل ما اعتاد الناس عليه منذ زمن ليس بالبعيد من تسمية العارض ويقصدون به تحديدًا الرياض وما حوله من نخيل وقرى.

وما دمنا تعرفنا على حَجْر اليمامة وأنه المكان الذي قامت عليه الآن مدينة الرياض، وأن اليمامة هي تلك البلدة التي ما زالت محتفظة باسمها القديم حتى يومنا هذا، وأن هذه البلدة هي التي ألقت الزرقاء من أحد بُتُلها تلك النظرة التي جَرَّت عليها وبالاً؛ دعونا نلق نظرة على ما قيل عن زرقائنا الكحيلة التي أنزلت من ذاك البنيان الشامخ.

زرقاء اليمامة:

عند بداية تدوين تاريخ البلدان وما وقع فيها من الحوادث، اهتم المؤرخون بتدوين أماكن التحضر ومقر الحكام والأمراء مثل الشام والعراق وبلاد فارس والروم؛ أما تلك النواحي البعيدة عنهم مثل منطقة اليمامة فلم يكتبوا عنها إلاَّ القليل الذي استقوه من أفواه الرواة.

ومعروف أن الروايات المتناقلة بشأن الأحداث القديمة يشوبها شيء من الزيادة والنقصان، مع ما يعتورها من المبالغة المفرطة في وصف الحوادث إلى الحد الذي يجعل القارئ يشك في صحة ما يقرأ.

ولعل حكاية زرقاء اليمامة وما قيل من أنها ترى الأشياء من مسافة بعيدة - أوصلها بعضهم إلى ثلاثة أيام لسير الإبل - خير مثال على تلك الروايات المبالغ فيها، ولهذا ضاعت الحقيقة في ثنايا تلك الأقاويل.

والتشكيك في صحة بعض الحوادث التاريخية منشؤه جناية القُصَّاص (الحَكَاوِيَّة) الذين اتخذوا من تشويه التاريخ مصدرًا لرزقهم، بحيث نصبوا أنفسهم رواة للقصص التاريخية فصاغوها بشيء من الخيال والمبالغة؛ إرضاءً واستثارة لمشاعر من يستمع إلى حكاياتهم من بسطاء الناس؛ فقد كان هؤلاء القصاص يتنافسون في حبك تلك القصص الخيالية التي استقوها من الحوادث الواقعية.

ومع هذا فإن القصص المستقاة من الروايات التاريخية مأخوذة بلا شك من حوادث حصلت، وعلى سبيل المثال فإن تغريبة بني هلال حقيقة واقعة، ولكنها أعطيت شيئًا من خيال القصاص؛ حتى أن الناس تصوروا أن بني هلال عمالقة ذوو قدرات خارقة في القوة والشجاعة؛ بحيث نسب إليهم كل عمل جبار لا يدرى من نفذه من الأمم السابقة، كالشواهد الأثرية المحيرة وآبار المياه القديمة وغيرها، وما هذا إلاَّ ناتج من حبك القصص التي تحكي عن مغامراتهم وبطولاتهم. وإنك لتعجب من سعة خيال هؤلاء المؤلفين لتلك الحكايات المنحولة وقدرتهم على نظم الأشعار الطويلة المؤيدة لما يسردونه من قصص، حتى أصبحت تلك الروايات يرددها الناس في مسامراتهم، وكل يزيد أو ينقص فيها.

وقد طبقت شهرة بني هلال الآفاق بحيث صار لهم موضع قدم في جميع الأقطار العربية، مثلهم مثل عنترة بن شداد صاحب البطولات الخارقة التي روج لها القصاص، فلا تكاد تسافر إلى قطر عربي إلاَّ وعنترة بن شداد كان له صولات وجولات في فيافيهم!!.

شهرة بني هلال طبقت الآفاق بحيث صار لهم موضع قدم في جميع الأقطار العربية

وإنها لمهمة صعبة أمام الباحث عندما يريد استخلاص الحقيقة من ركام الروايات الخيالية. فهل نتمكن هنا من انتشال حقيقة زرقاء اليمامة وما جرى لها من خلال تلك الروايات العديدة المتضاربة التي أفقدتنا حقيقة أمرها؛ تلك الحقيقة التي اختلطت بالخيال مثلما اختلط كحلها بدمها عندما ساح على وجنتيها؟!!، أملي أن نتمكن من هذا.

خلاصة ما قيل عن زرقاء اليمامة:

كثرت الأقوال في زرقاء اليمامة وما جرى منها وما جرى عليها، ولو تطرقت إلى ذكر كل ما قيل عنها في المراجع القديمة لأطلت القول إطالة لا مبرر لها، ولعلي أكتفي بما لخصه شيخنا حمد الجاسر - رحمه الله - من تلك الأقوال حيث قال وهو يتكلم عن قبيلتي طَسْم وجَدِيس: ".. ويرى المؤرخون في سبب هَلاك هاتين الأمتين قصة هي إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة، إلاَّ أنها على درجة من الإمتاع والطَّرافة، وشهرتها في كتب التاريخ تغني عن إيرادها كاملة؛ فلذا نكتفي بخلاصتها: كانت السيطرة لِطَسْم على جَدِيس، والملك من طسم كان لا ينهاه شيء عن تماديه في

الظلم والطغيان، حتى بلغ به الأمر إلى أنه حكم بألاَّ تُزَفّ بكْرٌ إلى بعلها من جديس حتى تُدْخَلَ عليه، فاستثارت امرأةٌ منهم نَخْوَةَ قومها، وكانوا أقل وأضعف من طسم، فعمدوا إلى الحيلة بأن دفنوا سيوفهم وأسلحتهم في الرمال، ودعوا الملك وقَوْمَهُ إلى وليمة أقاموها لهم فلما حضر هو وجنده ثار الجديسيون عليهم بالسلاح فقتلوهم، فاستجار الطسميون بأحد ملوك اليمن، فغزا نجدًا، وأوقع بجديس في الخرج وَقْعَةً منكرة، وخَرَّبَ البلاد، وهدم الحصون.

وكانت زرقاء اليمامة - وهي امرأة من طَسْم - مُتَزَوِّجَةً في جَدِيس وكانت حادة البصر، بدرجة يبالغ القصاصون في وصفها، فأنذرت الجديسيين حينما أبصرت الغزاة من مسافة بعيدة ولكنهم لم يصدقوها، فصبحهم الجيش فقضى عليهم وقتل الزرقاء، وكان اسمها اليمامة فسمي الإقليم باسمها على ما يروي المؤرخون الذين يوردون القصة مطولة، موشاة بكثير من الشعر المقول على ألسنة الجديسيين، وهو مَصْنُوعٌ بعد عهدهم بأحقاب طويلة، صنعه القصاص عند بدء تدوين التاريخ في القرن الثاني الهجري فما بعده. وأقدم شعر صحيح سجل تلك الحادثة هو شعر الأعشى وهو من أهل هذه البلاد، من بلدة منفوحة ومن شعره:

مـا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْـفَـارٍ كَنَظْرَتِهـا
حَقًّا كمـا صَدقَ الذِّئْبِيّ إذ سجعا

إِذْ قَلَّبَتْ مُـقْلَةً لَيْـسَتْ بِكَاذِبَةٍ
إِذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأْسَ الكلْبِ فَـارْتَفَـعَا

قَـالَتْ أرَى رَجُـلاً فـي كَـفِّـه كَـتِفٌ

أو يَخْـصِفُ النَّعْلَ لَهْـفي أيَّةً صَنَعَـا

فَكَذَّبوهـا بما قَـالَتْ فَـصَـبَّـحَـهُمْ

ذُو آل حَسَّان يُزْجي الموتَ والشّرَعَا

فَـاسْـتَنْزَلُوا أهْلَ جَـوٍّ من مَنَازلهم

وهَدَّمُوا شَامِخَ البُنْيَان فَاتَّضَعَا"(١٠)

انتهى ما قاله الشيخ حمد الجاسر مختصرًا، أما ياقوت الحموي فقد أسهب كثيرًا في كلامه عن اليمامة في كتابه معجم البلدان وأورد أشعارًا يبدو أن بعضها منحول، وسأعرج على شيء مما قاله لاحقًا حسبما تقتضيه الحال، وقد أورد أبيات الأعشى التي ساقها الشيخ الجاسر، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات الواردة ضمن الأبيات.

اسم زرقاء اليمامة:

تعددت أسماء تلك المرأة التي أكسبها الله ميزة عن غيرها، وهي قوة الإبصار للأشياء وإن كانت بعيدة، وهذه الميزة التي اتصفت بها حملت العرب أن يضربوا بها المثل، فقالوا: "أبصر من زرقاء اليمامة".

كما اتصفت بميزة ثانية وهي زرقة في عينيها وليس زرقة في لون بشرتها كما يتبادر إلى الذهن، والعيون الزرق نادرة عند العرب. وممن عرف من النساء عندهم بزرقة العيون ثلاث نساء هن: صاحبتنا زرقاء اليمامة، والزَّباء والبسوس.

(١٠) حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ص٢٨-٣١.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

ولهذه الصفة النادرة سميت بـ "الزرقاء"، واسمها الثاني "اليمامة"، وهناك اسم ثالث سماها به البعض وهو "عَنْزٌ" وهذا الأخير عندي ليس بشيء. فأي من هذه الأسماء الثلاثة سماها به أهلها؟

١ - اليمامة:

من قراءتي للنصوص الواردة يبدو لي أن اسمها كان اليمامة حيث اشتهر عند العرب تسمية بناتهم بما يستحسنونه من الحيوانات والطيور وغيرها، وعندما كبرت واشتهرت بقوة الإبصار أطلق عليها الاسم الآخر "الزرقاء". يقول ابن منظور عن اليمامة في رسم "يمم" من كتابه لسان العرب: "اليمام: طائر، قيل هو أعم من الحمام، وقيل: والحمام هو البري الذي لا يألف البيوت. وقيل: اليمام البري من الحمام الذي لا طوق له. والحمام: كل مطوق كالقمري والدبسي والفاختة... وعند الجوهري: اليمام الوحشي، الواحدة يمامة... وقال الجوهري: اليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، يقال: أبصر من زرقاء اليمامة. واليمامة: القرية التي قصبتها حَجْرُ، كان اسمها فيما خلا جَوًّا، وفي الصحاح، كان اسمها الجَوّ فسميت باسم هذه الجارية لكثرة ما أضيف إليها، وقيل: جَوّ اليمامة، والنسبة إلى اليمامة يمامي. وفي الحديث ذكر اليمامة، وهي الصقع المعروف شرقي الحجاز، ومدينتها العظمى حَجْرُ اليمامة، قال: وإنما سُمِّي اليمامة باسم امرأة كانت فيه تسكنه اسمها يمامة صُلِبَتْ على بابه..".

أقول: يظهر لي من الأقوال المستفيضة أن اسم زرقاء اليمامة الذي سماه به أهلها هو: اليمامة بنت سهم بن طسم. ومما يؤيد ما ذهبت إليه ما قاله تُبَّعٌ أو قيل على لسانه وهو الأقرب وذلك حينما اقتلع عينيها وصلبها على بوابة جَوّ:

فلا تُدعَ جَوٌّ ما بقيتُ بإسمها
ولكنها تدعى اليمامة مقبلا(١١)

٢ - الزرقاء:

حبا الله اليمامة زرقة في عينيها، وقوة إبصار بهاتين العينين الزرقاوين؛ الأمر الذي خلد ذكرها. وليت من كتبوا عنها اقتصروا على رواية ما حصل منها وقوة إبصارها حسب واقع أمرها دون مبالغة، ولكن يحلو لبعض المؤلفين إيراد الغث والسمين، وهذا مما يجعل الباحث عن حقيقة الوقائع في حيرة من أمره لما حصل من خلط عجيب في تلك المرويات، وقد يؤدي به الأمر إلى إنكار هذا الغث من القول مع سمينه.

ومن أمثال هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني حيث أورد في كتابه هذا كثيرًا من الروايات والقصص المنحولة، ولا أقصد بقولي هذا التقليل من قيمة هذا الكتاب فهو بمثابة خزانة من خزائن الأدب، غير أن الباحث فيه يجب أن يكون على حذر مما أورده فيه من المرويات التي لا يُعْتَدُّ بها، وخير مثال على هذا ما أورده عن زرقاء اليمامة.

(١١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، ٤٤٧/٥.

كان هم أبو الفرج الأصفهاني الوحيد هو رصد المرويات على علاتها دون تمحيص بغية إمتاع القارئ بكل نادر وغريب بصرف النظر عن صدق هذا القول من عدمه.

وعندما ذكر صوتًا من الأصوات المغناة، وهي أبيات للنابغة الذبياني يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه، ومنها:

قـالت ألا لَيْـتَـمـا هذا الحـمـامُ لنا
إلى حَـمـامَـتِنَـا ونصـفُـه فَـقَـد
فَـحَـسَّـبـوُه فَـألفَـوْه كـمـا حَـسَـبَتْ
تِسْـعًـا وتسـعين لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ
فكَمَّلَت مـائةً فـيـهـا حَـمَـامَـتُـهـا
وأَسْـرَعَتْ حِـسْـبَـةً في ذلك العَـدَدِ

قال: غناه ابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي. هذا خبر روي عن زرقاء اليمامة، ثم أورد بعد هذه أبياتًا ركيكة منسوبة إلى زرقاء اليمامة.

وهما بيتان يظهر عليهما الصنعة تنسب مرة للزرقاء ومرة تنسب لابنة الخَسّ غير أن الأولى أكملت العدد مئة بحمامتها، والثانية أكملته بقطاتها.

وقد استحسن بعض المتأخرين إيراد تلك الأبيات منسوبة إلى زرقاء اليمامة دون أن يتكلموا عن حقيقتها بل راحوا يفسرون ويؤكدون صحة عَدّ الزرقاء لهذا الحمام الطائر؛ لأن القوم تبعوه إلى الثَّمَد الذي ورده فحسبوه هناك وتأكدوا من عدده.

أقول: ليس هناك مانع من إيراد مثل هذه الروايات على سبيل التندر واختبار الذكاء بحل هذه الأحجية الحسابية مع ذكر مدى صحتها من عدمه، ولكنهم راحوا يؤكدون تلك الحسبة حتى إن بعض الرواة قال: إن هذا الحمام أو القطا وقع في شباك صياد هناك فأثبت لهم صحة العدد!!!

ورحم الله الشيخ حمد الجاسر حينما قال كما تقدم معنا وهو يتكلم عن زرقاء اليمامة وما قيل عن حِدَّة بصرها، وما حصل لجديس حينما غزاهم تُبَّع، من أن المؤرخين يوردون القصة مطولة، موشاة بكثير من الشعر على ألسنة الجديسيين وهو مَصْنُوعٌ بعد عهدهم بأحقاب طويلة، صنعه القصاص.

ومما يدل على صنعة هذه الأبيات التي تفنن الشراح في محاولة تصديقها؛ أنه لا يؤخذ بقول من قام بتعداد هذا الحمام أو القطا سواء من تتبعه إلى الثمد وعده هناك، أو في شباك الصياد. إذ ربما انضم إلى الحمام الطائر زيادة قبل وصوله للثمد أو كان هناك حمام سبقه إلى مورد الماء.

ولا يستبعد أن تكون زرقاء اليمامة جالسة مع صويحباتها فمر الحمام الوارد من فوق رؤوسهن فعدته وصادق صويحباتها على عدها للحمام؛ فأصبحت تلك الواقعة من النوادر التي رويت عنها، ولذا أشار إلى فطنتها وحكمها الجازم بعدد الحمام النابغة في أبياته المتقدمة.

أما أن زرقاء اليمامة قالت حينما مَرَّ الحمام مسرعًا إلى الثمد:

ليت الحمام ليه

إلى حمامتيه

ونصفه قديه

تم الحمام ميه

فهذان البيتان يظهر عليهما الوضع، وقد استطردت في الكلام حول هذه الأبيات من الشعر لألفت النظر إلى أن بعض الروايات لا يعتد بها وأن على الباحث في تحقيق الوقائع التاريخية، وكذا الأماكن الجغرافية أن يحرص على التمييز بين الروايات الصحيحة والروايات السقيمة حتى يصل إلى النتيجة التي يتوخاها، ولا يلتفت إلى تلك الروايات وأبيات الشعر الركيكة التي صنعها الشعراء وغناها المغنون في زمن أبي الفرج الأصفهاني؛ فكتابه مملوء بمثل هذه الأبيات المغناة التي منها الصحيح ومنها المنحول، فلنكن على حذر عند تحقيق الوقائع التاريخية وتحقيق الأماكن الجغرافية. ولعلنا نستخلص من الروايات المتواترة أن زرقاء اليمامة اسم منسوب إلى المكان "اليمامة" بعد أن سمي هذا المكان باسمها الذي سماها به أهلها الطسميون وهو اليمامة.

٣ - عَنْز:

من الأسماء التي أطلقت على زرقاء اليمامة "عَنْز"، وهذا الاسم يبدو لي أنه ألصق بصاحبة اليمامة إلصاقًا؛ لأنه اسم

لفتاة أخرى ورد اسمها في أحداث جَوّ عندما غزاها تُبَّع. وممن ذكر عنز الشاعر النمر بن تولب العكلي، حيث قال في قصيدته التي يعاتب فيها زوجته عندما لامته على إسرافه في الكرم، ومطلعها:

قَالَتْ لتَعْذِلني مِنَ اللَّيل اسْمَعِ
سَفَهًا تُبَيِّتُكِ المَلامَةَ فاهْجَعي

إلى أن قال:

وَفَتَاتِهِمْ عَنْزٍ عَشِيَّةَ آنَسَتْ
من بَعْدِ مَرْأى في البلادِ ومَسْمَعِ
قَالَتْ أرى رَجُلاً يُقَلِّبُ نَعْلَهُ
أُصُلاً وجَوٌّ آمِنٌ لم يَفْزَعِ(١٢)

وعندما أورد الأخفش الصغير في كتابه "الاختيارين" هذه القصيدة علق بقوله: "روى عوج: (عَشيَّة أَبْصَرَتْ) يريد: هلا سألت بعَنْزٍ التي كانت باليمامة، وهي الزَّرْقاءُ. وما أتى عليها فسيأتي علَيّ مثله. قال الأصمعي: (وفتاتهم) يريد طسمًا وجديسًا، وكنى عن أسمائهم، وتوهم أنهم قد عُرِفوا، حين أضاف عَنْزًا إليهم".

وقال في شرح البيت الذي بعده: "قال عوج: (وجَوٌّ آمِنٌ) اللفظ على البلد، والمراد أهل البلد، مثل واسأل القرية. وقال الأصمعي: (آمن) يريد الموضع، لم يَفْزَعْ أهله. وكان تُبَّعٌ من

---

(١٢) ديوان النمر بن تولب العكلي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ص٨٦.

التبابعة، غزا طسمًا وجديسًا، وكانت لهم جارية تسمى عَنْزًا، وكانت من أبعد خلق الله بصرًا، وهي التي ذكرها النابغة في قصة الحمام... إلى آخر ما قال[١٣].

هنا نجد أن النمر بن تولب سمى المرأة التي أبصرت ربيئة تُبَّع يقلب نعله، سماها عنزًا، بينما المتواتر من الروايات أن اسمها الزرقاء، ولذا ضرب المثل بحِدَّة بصرها. كما نلحظ أن هناك تناقضًا في توقيت تلك الرؤية بين ما ذكره النمر بن تولب، حيث حددها أُصُلاً أي: بعد العصر، وبين ما ذكره الأعشى بقوله: "إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا" ومعروف أن الآل وقته الضحى. معنى هذا أن هناك تفاوتًا بين مفهوم الشاعرين، وهذا التفاوت يدلنا على أن كلاً منهما عبر عن تصوره للرواية التي يتناقلها الناس في زمنهم، ولا غرابة في تعدد الروايات؛ لأن تلك الحوادث موغلة في القدم وغير مدونة، وما حصل للقدماء كهذين الشاعرين حصل للمؤرخين بعد زمنهم؛ ولهذا نجد التفاوت بين الروايات.

وحتى نتعرف على أماكننا الجغرافية فإنه لا بد من ترجيح أحد القولين حتى نستدل على مسرح تلك الأحداث على ضوء من واقع الأرض، وليس من واقع تلك الأقوال المتضاربة. وعندي أن كفة الأعشى سترجح بكفَّة النمر بن تولب، وذلك أن النمر بن تولب سمى المرأة عنْزًا ومعروف أن عنزًا هذه امرأة غير زرقاء اليمامة، ونَجِدُ جامع وشارح ديوان النمر بن تولب وشارحه وهو الدكتور محمد نبيل طريفي - أضاف

(١٣) الأخفش الصغير، كتاب الاختيارين، ص٢٧٢- ٢٧٣.

البيت الأخير من القصيدة بين قوسين هكذا :

[قَـالَتْ يَمَـامَـةُ أحْـمِلُوني قَـائمًـا
إنْ تَبْـعَـثُـوهُ بَارِكًـا بِي أُضْـرَعِ]

فإذا عرفنا أن يمامة هي زرقاء اليمامة، وهذه المسكينة لم تحظ بعناية وتدليل وتركب جملاً ليحملها عندما اصطفاها تُبَّعُ لنفسه نظرًا لجمالها الفائق؛ وإنما اقْتُلِعَتْ عيناها وصلبت على بوابة جَوّ، أما التي أركبت على الجمل فهي عنز.

قال صاحب القاموس المحيط في رسم عَنْز: "... وعَنْزُ: امرأةٌ من طَسْم، سُبِيَتْ، فحملوها في هَوْدَج، وأَلْطَفُوهَا بالقول، والفعل، فقالت: هذا شَرَّ يَوْمِيَّ، أي: حين صِرْتُ أُكْرَمُ للسِّباءِ. ونَصْبُ (شَرِّ) على معنى رَكِبَتْ في شَرِّ يَوْمَيْهَا".

وقال ياقوت الحموي في معجمه: "... كان تُبَّع لما ملك جَوًّا وقتل جديسًا اصطفى منهم امرأة حسناء لنفسه، فلما أراد أن يرتحل أمر بجمل فقُرِّبَ لها، ولم تكن رأته من قبل ذلك فقالت: ما هذا؟ قالوا: هو جمل، وكان اسمها عنز، فقالت: شَرٌّ يومَيَّ الذي أركب فيه الجملا. فصارت مثلاً"(١٤).

أقول: إن التفريق بين زرقاء اليمامة وعنز متواتر في المراجع القديمة.

---

(١٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، ٤/٤٧٦.

وفي هـذا النص الذي أورده ياقوت الحموي عبارة يبدو لي أنها من زيادات القصاص كما هي عادتهم في تشويه الحقائق التاريخية بما يدخلونه عليها من عبارات تستجلب علامات التعجب من سامعيهم. هذه العبارة هي: "أمر - أي تُبَّع - بجمل فقرب لها ولم تكن رأته من قبل". فهل يعقل أن امرأة من جديس تسكن اليمامة لم تكن رأت جملاً في حياتها؟!

ولعلي أكتفي بما ذكرته عن عَنْز وإلاَّ فالنصوص التي أوردت ذكرها كثيرة. ومما تقدم أقولُ: يبدو لي أن الشاعر النمر بن تولب سمع قصة غزو تبع لجديس من أفواه العامة في زمنه، وهي حكايات لها أصل من الحقيقة، ولكن أفسدها ما أدخل فيها من مبالغات. وما آفة الأخبار إلاَّ رواتها، فمن السهولة عندهم قلب اليمامة عَنْزًا!!

من هذا نعرف أن المرأة التي ألقت نظرتها التاريخية هي زرقاء اليمامة، وقد نظرت من فوق أحد المباني العالية؛ مما يدل على أن صاحبتنا متزوجة من أحد البارزين من جديس، ولهذا ألقت نظرتها من إحدى شرفات ذاك البنيان العالي. يقول الهمداني واصفًا تلك المباني الشامخة: "ثم القرية الخضراء خضراء حَجْر التي التقطها عبيد بين ثعلبة بن الدول، ولم يشرك فيها أحدًا، وهي حضور طسم وجديس وفيها آثارهم وحصونهم وبُتُلهم - الواحد بتيل - وهو هَنٌّ مربَّع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين. قال أبو مالك: لحقت منها بناءً طوله مئتا ذراع في السماء.

قال: وقيل كان منها ما طوله خمسمئة ذراع، من أحدها نظرت زرقاء اليمامة إلى من نزل من جَوَّجان من رأس الدَّام مسيرة يومين وليلتين، وكانت جديس تسكن الخَضرِمَة وكانت طسم تسكن الخضراء"(١٥).

وقفة عند هذا النص:

يُعدُّ الهمداني - رحمه الله - من أكثر البلدانيين وصفًا لأماكن اليمامة ووصف مسارات الطرق القديمة المؤدية إليها، وما ذاك إلاَّ لأنه أخذ الوصف من شيخه أبي مالك أحمد بن محمد بن سَهْل بن صباح اليشكري الذي قال عنه: "إنه كان قد سكن هذه المواضع ونجعها ورعاها وسافر فيها وكان بها خبيرًا"(١٦)، وهذا لا يعني أننا لن نناقش ما يورده الهمداني من أقوال وإن كانت روايته عن شيخه أبي مالك. فمن المحتمل أن يكون الهمداني لم يستوعب الكلام الذي أخبره به أبو مالك؛ نظرًا لأن الهمداني نفسه لم يمش في أرض اليمامة، وحتى لو استوعب رواية شيخه فلن نتورع عن مناقشة ما قاله أبو مالك متى كان لهذه المناقشة ما يبررها؛ لأننا نحاول أن نصل إلى التحقيق الصائب فيما نسعى إلى تحقيقه، وقد ناقشنا فيما تقدم ما ورد في شعر النمر بن تولب العكلي مع أنه أقدم منهما عهدًا. وقد عَنَّ لي في هذا النص ملحوظتان:

---

(١٥) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، ص٢٨٤.

(١٦) المرجع السابق، ص٢٧٩.

الملحوظة الأولى: أفادنا أبو مالك بأنه لحق من تلك البتل المستطيلة في السماء بناءً طوله مئتا ذراع. وهذه بلا شك مشاهدة عيان وليس من رأى كمن سمع، أما عن قوله: "كان منها ما طوله خمسمئة ذراع من أحدها نظرت زرقاء اليمامة"، فيبدو لي أن هذا الطول مبالغ فيه؛ حيث من المستبعد أن يبلغ بناء من الطين هذا العلو الشاهق.

والرجل لم يقل إني وقفت عليه مثل البناء الذي حدد طوله على ضوء المشاهدة، بل عن قول قيل له، ومن المحتمل أن يكون هذا من باب المبالغة في طول تلك المباني.

الملحوظة الثانية: كان أبو مالك يتكلم في وصفه عن خضراء حَجْر وحصونها وبتلها، وقال: إنه من أحد هذه البتل "نظرت زرقاء اليمامة إلى من نزل من جَوّجان من رأس الدَّام مسيرة يومين وليلتين". فإذا عرفنا أن خضراء حجر هي الرياض حديثًا، وأن الدَّام هو القف المرتفع الواقع جنوب الخرج، وقد أصاب الشيخ عبدالله بن خميس حينما حدده بعد إيراده لأقوال المتقدمين بقوله: "قلت: ويظهر من تحديدهم أنه هذا القُفّ المعرض جنوبي الخرج شرقيه، والذي تستند على واجهته الشمالية والغربية عيون الخرج، والخرج يشكل حوله زاوية منفرجة قاعدتها المنيصف وطرفها الغربي خفس دغرة، وطرفها الشرقي السَّهباء"(١٧).

أقول: إذا عرفنا أن الدَّام الذي انحدر منه الجيش الغازي باتجاه الشمال هو القف الذي يركب عيون الخرج من الجهة

(١٧) عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ١/٤٠٦.

الجنوبية، وأن خضراء حَجْر هي الرياض، فإن المسافة بينهما على السمت مئة كيلو متر على الأكثر، وإذا قلنا إن هذه المسافة تعادل يومين وليلتين كما ذكر، فهل تتمكن زرقاء اليمامة من مشاهدة من نزل من ذلك القُفّ؟

الجواب: إن مشاهدتها ممتنعة وذلك بسبب الموانع الطبيعية كالمرتفعات الجبلية. يضاف إلى هذا أن خضراء حَجْر في منخفض من الأرض، ولو افترضنا وجود مرصد حديث فوق مرتفع الدَّام جنوب الخرج ونظر منه ناظر لما تمكن من مشاهدة أبراج الرياض العالية حاليًا وذلك بسبب انخفاض الأرض ووجود ما يحول دون الرؤية.

وهناك أمر آخر وهو أن زرقاء اليمامة عندما نظرت تلك النظرة المشؤومة عليها لم تكن من أحد المباني العالية في خضراء حَجْر وإنما نظرت من أحد مباني جَوّ الخضرمة أي بلدة اليمامة حاليًا لكونها متزوجة من أحد رجال جديس القاطنين في جَوّ. وجَوّ تبعد عن مرتفع الدام عشرين كيلاً فقط، وهذا يعني أننا أمام كلام ألقي على عواهنه، وفيه شيء من المبالغة. أما عن جَوَّجان الوارد ذكره في قول الهمداني هذا فسوف يكون لي حوله وقفة طويلة عند الكلام عن الموضع الذي رأت عليه زرقاء اليمامة رَبيئَةَ تُبَّعٍ عندما أشرف عليه.

ولا يفهم من قولي هذا أنني أفرغ هذا النص من محتواه؛ فأبو مالك وصف للهمداني الأماكن التي وقف عليها، ولا غبار على وصفه لحالة البلاد في عصره، مثل كلامه عن

خضراء حَجْر وغيرها، أما ما يتعلق بأخبار طسم وجديس فيستوي مع غيره؛ لكون كل واحد منهم يروي تلك الأخبار التي عفا عليها الزمن حسبما سمعه من الآخرين. ومعروف أن تلك الأخبار عن الأمم القديمة دخلها شيء من الزيادات والمبالغة في الوصف. والمطلوب منا هو غربلة هذه النصوص الواردة لنستخلص منها ما يقرب من حقيقة الأمور التي جرت في ذاك العصر المتقدم بما يتمشى مع واقع الأرض؛ حيث ما زالت بعض المواضع مثل المرتفعات باقية لم تتغير.

الجبل الذي رأت زرقاء اليمامة فوقه ربيئة تُبَّع:

المكان الذي نظرت من فوقه زرقاء اليمامة هو أحد الحصون العالية في جَوّ وهو آخر حصن استولى عليه تُبَّع. والسؤال المطلوب الإجابة عنه هو: أين المكان المرتفع الذي صعده الربيئة ليستطلع ما وراءه باتجاه جَوّ فرمقته زرقاء اليمامة وأخبرت قومها بما شاهدته؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال من الصعوبة بمكان؛ نظرًا لاختلاف أقوال القدماء حول تحديد مكانه، منهم من قال: إنه مرتفع الدام ومنهم من قال: إنه جبل الكلب، وهناك فرق بين الموضعين من حيث المكان والبعد عن جَوّ؛ فالدام يقع جنوب جو اليمامة والكلب يقع غربًا منه مع ميل إلى الجنوب. وما علينا إلاَّ استعراض تلك الأقوال لنستخلص منها معرفة المكان الذي نظرت إليه الزرقاء. ولنبدأ بما قاله مؤلف معجم اليمامة عن ذاك المكان، قال وهو يتكلم عن الكلب: "... رأس جبل بارز جدًا، يقع غرب جنوب بلد الدُّلَم من الخرج.. ونحوه

نظرت زرقاء اليمامة من قمة بارزة في ظهر الدام إلى طلائع جيش حسان بن تُبَّع...". إلى أن قال: "وعرف ياقوت رأس الكلب بقوله: والكلب جبل بينه وبين اليمامة يوم؛ وهو الجبل الذي رأت عليه زرقاء اليمامة الربيئة التي مع تُبَّع". ولم يزد الهمداني على قوله: "رأس الكلب: جبل باليمامة".

وحتى الآن يعرف رأس الكلب عند العارفين من أهل تلك الناحية، وإليه أشار زيد بن زامل من أمراء الخرج الأقدمين، فقال:

لي ديرة بالسيف عديت عنها
وانا عليها مولع واعول عوال
يا الله عسى نفسي إلى جا حتتها
ما بين خشم الكلب والعرق والجال[١٨]

انتهى ما قاله باختصار.

قال الشيخ عبدالله بن خميس في تعريفه هنا للكلب: إنه رأس جبل بارز جدًا. ويبدو لي أنه أخذ هذا الوصف من قول الأعشى:

"إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا"

والكلب ما زال معروفًا باسمه حتى الآن يمر من طرفه الجنوبي طريق الأسفلت المتفرع من الطريق العام المتجه إلى وادي الدواسر، هذا الطريق المتفرع ذاهب جهة الغرب إلى الخبي وماوان، وقبل الوصول إلى الخبي يحاذيه الطريق.

(١٨) عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ٢/٣٠٩.

وهذا الجبل ليس قمة واحدة حتى نخصه برأس بارز، وإنما هو سلسلة من الجبال والقور الممتدة من الجنوب إلى الشمال، يحدها من ناحية الجنوب هذا الطريق المسفلت الذي وصفنا، ويحدها من الشمال الطريق المتجه غربًا إلى العين ومن ورائه القور التي من بينها الجبل المسمى أبو ولد نظرًا لبروز في عرضه فشبه برجل يحمل ولدًا. وأميل إلى القول الذي ذكره ياقوت في معجمه بشأن وصف جبل الكلب حيث قال: "رأس الكلب: جبل باليمامة، ويقال: إنما هي قارات تسمى رأس الكلب..."(١٩).

أقول: هذه القارات الممتدة غرب جو اليمامة هي ما يسمى بالكلب، أو رأس الكلب. ولعل قائلاً يقول: ولماذا سميت برأس الكلب؟ فأقول: رغم مقولة "الأسماء لا تعلل" فإن لكل مسمى سببًا لتسميته، قد يعرف هذا السبب وقد لا يعرف. ويبدو لي أن سبب تسمية هذه القور بهذا الاسم هو أن إحداها يوجد في عرضها شكل بارز يخيل للناظر إليه من إحدى الزوايا أنه شبيه برأس الكلب، ولهذا جاءت التسمية: مثله مثل أبو ولد. انظر إلى صورة هذا الشكل البارز المنظر رقم (١) وانظر إلى شكل أبو ولد المنظر رقم (٢).

أما عن تعليق المؤلف على قول ياقوت: "والكلب جبل بينه وبين اليمامة يوم" بقوله تهميشًا: "قوله اليمامة يقصد هنا قاعدتها حَجْر". أقول: لست مع الشيخ عبدالله بن خميس

---

(١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، ص١٤٣.

فيما ذهب إليه؛ فكلمة اليمامة في هذا النص المقصود بها مدينة اليمامة (جو قديمًا) وهي التي نظرت منها زرقاء اليمامة، فإذا عرفنا أن حَجْر (الرياض حاليًا) تبعد عن الكلب قرابة مئة كيلو متر؛ فهذه المسافة أكثر من يوم لسير الإبل، بينما اليمامة التي ما زالت محتفظة باسمها لا تبعد عن جبل الكلب سوى أربعين كيلاً، وهذه المسافة أقرب إلى واقع سير الإبل، يضاف إلى هذا تعذر رؤية جبل أو جبال الكلب من جهة حجر اليمامة لوجود الموانع الطبيعية.

ويظهر لي أن المكان المنظور منه والمكان المنظور إليه كان محل إشكال عند مؤلف معجم اليمامة، ولهذا نجده يقول وهو يتكلم عن موضع بَلادَ: "... وهناك شِعْب ينحدر من صفحة طويق مما يلي شعبي كلاوي والملحة، وينحدر مارًا تحت الطريق المعبد، ويفضي إلى ريع بين جبال تقوم فيه مبان أثرية وسدود وآبار وأسوار وحجايا في رؤوس الجبال، تدل على أن هذه المنطقة يومًا ما كانت ذات عمران وسكان وقوة ومنعة، ثم يفضي سيلها إلى الشمال من المزاحمية هذه المنطقة والشعب تسمى البليدة وهي أقرب هذه المسميات إلى حَجْر، ويتناقل رواة العوام من أهل تلك الجهة أن زرقاء اليمامة قد نظرت نظرتها التاريخية من الجبل السامق المطل على هذه البليدة، وفي ذلك نظر؛ فإنها رأت القوم وهم مقبلون مما يلي حدباء قذلة (الهلباء قديمًا) وهذه قطعًا لا ترى من هذا المكان، وإنما من مرتفعات طويق التي بين العمارية ولبن بطن الخال قديمًا. والأصح أن الزرقاء نظرت

نظرتها التاريخية من جبل الدام من الخرج مما يلي جَوجَان، نظرت من تلقاء رأس الكلب الأنف المعروف هنالك في جبل جنوب الدلم من الخرج..."[٢٠].

ولقد كان بودي أن الشيخ عبدالله بن خميس لم يلق بالاً لهذه المقولة من أن زرقاء اليمامة ألقت نظرتها من فوق الجبل المطل على البليدة الواقعة غرب مدينة الرياض شمالاً من المزاحمية، وأنه لم يطلق لقلمه العنان ليحلل من أين ألقت الزرقاء نظرتها من فوق تلك المرتفعات.

أما عن قوله: والأصح أن الزرقاء نظرت من جبل الدام من الخرج"؛ فهذا يعني أن هناك قولاً صحيحًا وقولاً أصح. والواقع أن ما رواه لنا عن العوام ليس له جانب من الصحة، وقد يكون سبب هذه المقولة هو قرب البليدة من جَوّ المزاحمية فحصل لبس بين هذا الجَوّ وبين جَوّ الخضرمة، وفرق بين الجَوَّين مثل الفرق بين الدّام وبين الكِلْب!!!

أما عن قوله – سلمه الله –: إن الزرقاء نظرت من جبل الدام مما يلي جوجان، نظرت من تلقاء رأس الكلب. فهذا القول يدل على أنه يرى أيضًا أن زرقاء اليمامة ألقت نظرتها وهي فوق جبل الدام، ومما يؤيد هذا قوله في رسم الكلب: "الكلب.. ونحوه نظرت زرقاء اليمامة من قمة بارزة في ظهر الدَّام إلى طلائع جيش حسان بن تُبَّع". وأقول: لست أدري ما الذي أتى بزرقاء اليمامة إلى هذه القمة البارزة في ظهر الدام حتى ألقت نظرتها المشهورة، فهل كانت ترعى غنمها

(٢٠) عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، ١/١٨٦.

هناك؟! إن الثابت من أقوال المتقدمين أنها ألقت نظرتها من أعلى بَتِيّل، وهو مبنى من الطين عال في السماء، وهو واحد من تلك البتل التي اشتهرت في اليمامة وحَجْرها، أما الكلام عن الدَّام وجَوّجَان بالحاء المعجمة أو حَوّجان بالحاء المهملة؛ فهذا موضوع يطول بحثه.

مقدار بعْد المكان المنظور إليه:

لا إشكال بأن زرقاء اليمامة ترى الأشياء من مكان بعيد، وهذه ميزة وهبها الله لها؛ وإلاَّ لما ضرب المثل بقوة إبصارها، وقوة الإبصار يمنحها الباري سبحانه؛ ولذا يتفاوت الناس عندما ينظرون لشيء بعيد، فالناس يخرجون لمحاولة رؤية هلال رمضان، ولا يراه منهم وإن كثروا إلاَّ واحد أو اثنان. وقد تفاوتت الروايات حول مسافة رؤية زرقاء اليمامة لربيئة تُبَّع عندما صعد الجبل للاستطلاع، وكذا مشاهدة الجيش الغازي عندما أقبل، وإن كان أفراده قد نفذوا تلك الحيلة وهي قلع الأشجار والتعمية بها على من يحاول النظر إلى زحفهم من بُعْدٍ.

وهذه أمور حفظتها الأساطير المروية على مَرّ العصور، ولا يمكن إنكارها إلاَّ بدليل قاطع، ولو حاولنا إنكار كثير من الروايات المبالغ في وصف أحداثها لجنينا على تاريخنا، وإنما الواجب هو تجريد تلك الروايات من المبالغات التي أدخلت عليها، وانتشال الصحيح من بين تلك الروايات التي شوهها القصاص بأكاذيبهم. وفيما يخص حادثة زرقاء اليمامة؛ فقد بولغ في مسافة مدى رؤيتها لهذا الجيش الغازي؛ الأمر الذي

حدا ببعض من كتبوا عنها أن يبعدوا المكان الذي نظرت منه عن المكان الذي نظرت إليه، وهو جبل الكلب.

١ - قال الهمداني: إنها نظرت إلى من نزل من جوجان من رأس الدَّام مسيرة يومين وليلتين (صفة جزيرة العرب: ص٢٨٤).

٢ - قال ياقوت في رسم الكلب: وهو الجبل الذي رأت عليه زرقاء اليمامة الربيئة، بينه وبين اليمامة يوم.

٣ - وقال أيضًا في رسم اليمامة: فسار تُبَّع في جيوشه حتى قرب من جَوّ، فلما كان على مقدار ليلة منها عند جبل هناك... إلخ.

٤ - قال صاحب كتاب "الأغاني" وهو يتكلم عن هند بنت النعمان: فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً[(٢١)].

٥ - قال صاحب "لسان العرب" رواية عن الجوهري، في مادة يمم:

اليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام.

٦ - قال جواد علي وهو يتكلم عن العرب البائدة: "وقد زعم أن زرقاء اليمامة ترى من مسيرة ثلاثة أيام"[(٢٢)].

---

(٢١) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ١٢٥/٢.

(٢٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٣١٩/١.

٧ - وفي "خزانة الأدب" للبغدادي، وهو يتكلم عن فتاة الحي زرقاء اليمامة قال: "فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الأطم الذي يقال له الكلب فنظرت إليهم"(٢٣).

٨ - قال الأخفش الأصغر في كتاب "الاختيارين" وهو يشرح قصيدة النمر بن تولب: "فلما كانوا على مسيرة يومين..." إلخ ص٢٧٣.

٩ - أورد القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" قصة غزو تُبَّع لليمامة، فقال: "...إنها الزرقاء ترى الشخص من مسيرة يوم وليلة"(٢٤).

وهناك أقوال أخرى. فأنت ترى معي أن الرواة غير متفقين على تحديد المسافة بين المنظور منه والمنظور إليه، ومنهم من يلقي القول عن غير معرفة بما يتكلم عنه مثلما قال البغدادي في رقم (٧) أن الزرقاء صعدت الأطم الذي يقال له الكلب!!! ولم يدر أن الكلب جبل لا علاقة له بآطام جديس التي نظرت من أحدها زرقاء اليمامة.

ترجيحي للمكان الذي نظرت إليه زرقاء اليمامة:

المكان الذي نظرت منه زرقاء اليمامة لا إشكال عندي بأنه من أحد مباني جَوّ (اليمامة) أما المكان الذي شاهدت فوقه ربيئة تُبَّع فيبدو لي أنه جبل الكلب المعروف باسمه حتى الآن،

(٢٣) البغدادي، خزانة الأدب، ٢٥٥/١٠.

(٢٤) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص١٣٤.

ولعل أصح ما قيل عنه هو شعر الأعشى كما قال الشيخ حمد الجاسر؛ حيث قال الأعشى:

إذ نظرت نظرة ليست بكاذبة

إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا

فعندما وصل تُبَّع بجيشه إلى مشارف جو كان وصوله مع طريق قديم ما زالت شواهده قائمة حتى الآن، وحتى لا يُرى هذا الجيش أقام خلفه وبعث استطلاعاته ومنها ذاك الذي صعد فوق رأس الكلب فانقطع حذاؤه، وعندما زحف الجيش وخلَّف الجبل وراء ظهره رأت زرقاء اليمامة شيئًا مقبلاً لم تتحقق منه بسبب تلك الحيلة التي عمد إليها تُبَّع حيث أصدر أمره للمقاتلين بأن يتستروا وراء أشجار قطعوها لإيهام من ينظر إليهم من بُعْد.

ولكن تلك الحيلة لم تنطل على الزرقاء؛ حيث أشعرت قومها بما شاهدته. قد يقول قائل: هذه من تحسينات القصاص. فأقول: ما دامت النصوص تكلمت عن هذه الواقعة، وهذه بلا شك من حيل الحروب، وحتى في وقتنا الحالي نرى المقاتلين في وسط الغابات وقد موهوا أجسامهم بغصون الأشجار، أليس كذلك؟

إن جبل الكلب يبعد عن جَوّ اليمامة البلدة، قرابة أربعين كيلاً فقط، وهذه المسافة معقولة بالنسبة لنظر زرقاء اليمامة؛ خاصة إذا عرفنا أنه لا يحول بين اليمامة وبين جبل الكلب عوائق طبيعية مثل المرتفعات الجبلية أو الرملية؛ ولذا فإني أرجح المدة التي ذكرها ياقوت الحموي، وهي مسافة

يوم، وفي قوله الثاني مسافة ليلة، ومعروف أن القادم من جهة جبل الكلب سيصل إلى مشارف مزارع جَوّ ونخيله قبل وصوله لعامر البلدة.

أما ما زاد عن هذه المسافة فلا يمكن رؤية أي قادم لليمامة؛ بسبب المرتفعات الجنوبية المحيطة بالمنطقة. أما القول بأن زرقاء اليمامة ألقت نظرتها تلك من أعلى أحد بُتُل حَجْر (الرياض حاليًا) وهو ما أورده الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب رواية عن شيخه أبي مالك، حيث نظرت إلى من نزل من جَوّجان من رأس الدام مسيرة يومين وليلتين، فقد استبعدت هذا القول لاستحالته كما أسلفت.

والهمداني يعرف أنه يقدم لليمامة طريق من الجنوب يمر بالدَّام، وكذا طريق آخر غربًا منه يمر عبر وادي السَّوْط ويترك جبل الكلب شرقًا منه غير بعيد، ولكن الهمداني رشح الطريق الأول، ولو أردنا الأخذ بقوله هذا وأن زرقاء اليمامة ألقت نظرتها من أحد بُتُل حَجْر اليمامة لمنعنا من ذلك تعذر الرؤية. أما إذا قلنا إنها - أي زرقاء اليمامة - ألقت نظرتها من أحد بتل جَوّ باتجاه الدام؛ فهو قول مستبعد أيضًا؛ لأن النازل من مرتفع الدام باتجاه جَوّ لا يبعد سوى عشرين كيلاً فقط.

وهذا الطريق الذي قلنا: إن تُبَّعًا سلكه في قدومه لليمامة غازيًا، طريق يحكي قصة تاريخ ضارب في عمق الزمن، وهو طريق ليس بغريب على تبابعة اليمن ولا سيما أن منهم تُبَّع الملقب بذي المنار. قال عنه ابن دريد: "أبرهة ذو المنار تُبَّع،

وأبرهة اسم حبشي، ذو المنار هو أول من بنى الأميال على الطرق، فسمي ذا المنار"(٢٥).

أثناء تحقيقي لمسار هذا الطريق الموغل في القدم كنت أقف عند كل تكثف لأعلامه ودلالاته المبالغ في بنائها وأسأل: من بناها وفي أي عصر تم تنفيذها، وكم من الرجال الأشداء قاموا بتنفيذ هذا العمل الجبار؟!!

إنها أسئلة لا تنتهي، ولكننا أمام أمر ليس بالخيال وإنما هو حقيقة ملموسة، وقد وصف أسلافنا هذه الأعلام والدلالات عند سلوكهم مثل هذا الطريق. قال الشاعر أبو ذؤيب الهذلي:

على طرق كَنُحُورِ الرِّكَاب تَحْسَبُ آرَامَهُنَّ الصُّرُوحَا
بِهِنَّ نَعَامٌ بناه الرِّجال تُلْقِي النَّفائضُ فيها السَّرِيحَا(٢٦)

وقال ابن لجأ:

ودون مزاركم لسرى المطايا من الأعلام أشباه وبيدُ
كأن أرومها والآل طاف على أرجائها نبط قعودُ(٢٧)

وقال الأعشى وهو من أهل اليمامة:

---

(٢٥) ابن دريد، الاشتقاق، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص٥٣٤.

(٢٦) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، مطبعة المدني، القاهرة، ٣٠٣/١.

(٢٧) ابن ميمون. منتهى الطلب من أشعار العرب، دار صادر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م. ٢٩٨/٧.

وبيــداء تحــسب آرامــهــا رجَــالَ إِيَادٍ بـأجــلادهـا
يقــول الدليل بهــا للصحــا ب لا تخطئوا بعض أرصادها[٢٨]

وفي المراحل الأخيرة من تحقيق مسار الطريق المار بحوطة بني تميم ثم وادي السَّوّط، ثم غربي جبل الكلب أحببت أن يشــاركني بعض المهــتــمين بتــاريخ بلادنا وخــاصــة من الأكاديميين؛ وذلك لـلاستنارة بآرائهم عسى أن نتمكن من حَلِّ رموز تلك الشواهد الأثرية المكثفة على مسارات الطرق بشكل لافت للنظر.

وفي يوم الخــمــيس ١٤٢٨/٤/٢٣هـ شــارك في الـرحلة الميدانية سعادة الدكتور رشود بن محمد الخريف وقد كان لمشــاركتـه الأثر الطيب؛ حيث عَرَّفنا على مســارب الأودية جنوب حوطة بنـي تميم وشمالها لكونه من أهلها. وقد شارك طيلة ذاك اليوم من الصباح حتى غروب الشمس في الصعود إلى المرتفعات الجبلية والهبوط منها للوقوف على علامات الطريق.

أما في يوم الجمعة فقد انضم إلينا معالي أمين عام دارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد بن عبدالله السماري؛ حيث تجولنا في وادي السَّوّط وما حوله، وكان يرافقه من الدارة الأستاذ عبدالرحمن بن محمد السدحان، ولا غرابة في مشاركتهما؛ لكون دارة الملك عبدالعزيز هي المحتضنة لمشروع

(٢٨) ميمون بن قيس، شرح ديوان الأعشى الكبير، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ص١٢٤.

تحقيق مسارات طرق القوافل القديمة وفق توجيهات كريمة من راعي العلم والمعرفة التاريخية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، يحفظه الله. (انظر إلى بعض أشكال وأنماط تلك الشواهد الأثرية المكثفة هناك الصور رقم (٣) و (٤) و(٥)).

وإني لأشكر من شارك في هذه الرحلة؛ حيث أحسست أن هناك من يهتم بما أقوم به من عمل؛ وهذا بلا شك مما يشجعني على بذل المزيد من الجهد قدر الطاقة لعلنا نتوصل إلى حقائق الأمور التي تترجمها لنا الأرض التي تحتضن تلك الشواهد الغريبة المحيرة التي مضى على إنشائها آلاف السنين، والتي منها نستقرئ تاريخنا القديم الذي لم يدون. وهذه الشواهد التي تم تتبعها مرت غربي جبل الكلب، (انظر إلى بعض أنماطها الصور رقم (٦) و(٧) و(٨)).

ولا يفوتني أن أشكر رفيق الرحلات الميدانية عبر هذا الطريق الأستاذ سعد بن عبدالعزيز السالم وذلك من مشارف نجران حتى الوصول إلى اليمامة وحَجْرها حيث تحمل معي مشاق البحث ومفاجآته.

خلاصة البحث:

ذكر المؤرخون أن طَسْمًا و جَدِيسًا من الأمم العربية البائدة، وكانت طسم تسكن جَوّ الخضرمة (اليمامة) في محافظة الخرج حاليًا.

وكانت الزرقاء، واسمها (اليمامة بنت سهم بن طسم) متزوجة في جديس وتسكن جَوّ، ولظلم ملكهم وجبروته - وهو من طسم -

أقـدم الجـديسـيـون على قـتله هـو وكـبـار أعـوانه في قـصـة مشهورة.

وقد استـعـان الطسمـيـون بملك اليـمن تُبَّع فـغـزا جـديسًـا، وعندمـا اقـتـرب الجـيـش الغـازي من جَـوّ الذي تقطنه زرقـاء اليمامـة المشهورة بقوة بصرهـا - حيث أصبح يضرب بها المثل فيقـال أبصر من زرقاء اليمـامة - أمر تُبَّع ربيئة له بأن يصعد فـوق الجـبل الـذي توقف عنده في آخـر مـرحلة من مـسـيـره ليـتطلع له، وهـذا الجـبـل يسـمـى الكلب ومـا يزال مـحـتـفظًا باسمه القديم حتى الآن.

كانت زرقاء اليمامـة تجيل نظرها الثاقب كعادتها من فوق أحد الحـصـون العـاليـة في جَـوّ فـشـاهـدت الربيـئـة وهـو فـوق أعلى الجـبـل يعـالج شـيـئًـا بأسنانـه لم تتـبـين حـقـيـقـة هـذا الشيء، فـأخـبـرت قـومهـا بما رأته، وعندمـا سـألوها عن الذي شـاهدته قـالت: رأيت رجـلاً يعـرش عظمًـا أو يخـصـف نعـلاً، ولكنهم لـم يصـدقـوهـا؛ وإلـى هـذا أشـار الأعـشـى فـي قـصـيـدتـه حيث قال:

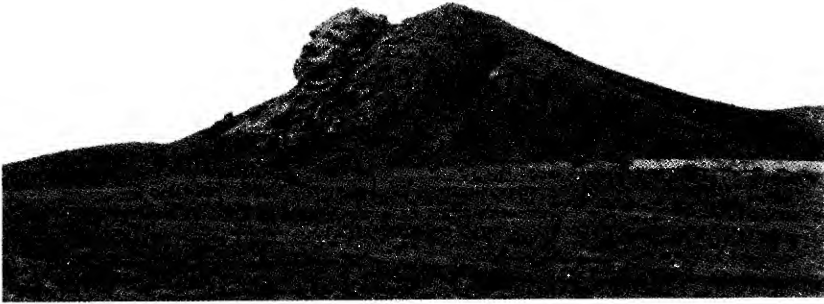
قَـالَتْ أَرَى رَجُـلاً فـي كَـفِّـه كَـتِفٌ
أو يَخْـصِفُ النَّعْلَ لَهْـفِي أَيَّةً صَنَعَـا

فـصـبـحـهـم الجيش وقتل وسـبى ودَمَّرَ الحـصـون العـاليـة، واقتلع تُبَّع عيني الزرقـاء وعلقهـا على بوابة جَـوّ، وأطلق على جَوّ اسم اليمامة وهو اسم الزرقاء، وقد لقبت بالزرقـاء نظرًا لزرقة في عينيها، وزرقة العيون لم تكن مألوفة عند العرب.

ولقد تعددت الآراء حول المكان الذي نظرت منه زرقاء اليمامة وكذا المكان الذي نظرت إليه كما هو واضح من أقوالهم في صلب البحث، وقد استخلصت من النصوص الواردة ومن واقع الأرض وكذا مسارات الطرق القديمة القادمة إلى اليمامة من جهة الجنوب؛ أن المكان الذي نظرت منه تلك النظرة التاريخية هو أحد بُتُل جَوٍّ الخضرمة، وأن المكان الذي نظرت إليه هو جبل الكلب الواقع غرب جَوّ على بعد أربعين كيلاً.

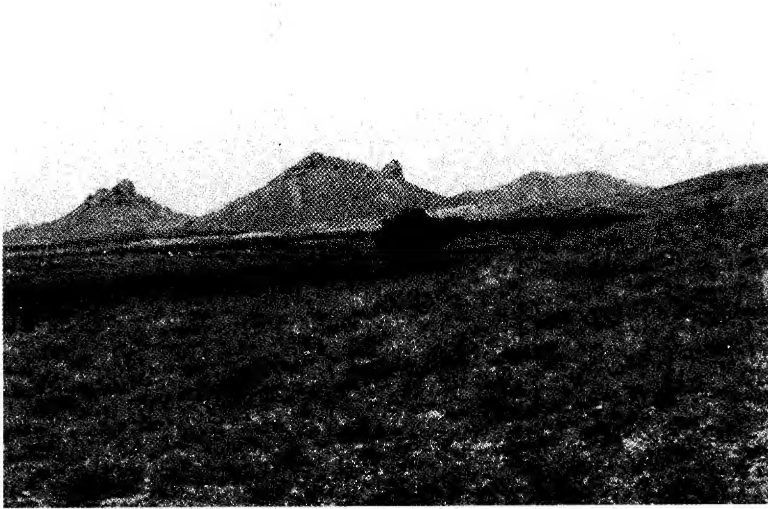
وهذا ما يتمشى مع النصوص الواردة التي رجحتها. أملي أن أكون قد وفقت إلى الصواب فيما كتبته، وما توفيقي إلاّ بالله هو حسبي ونعم الوكيل.

الملاحق



صورة رقم (١)

قارة من قور جبل الكلب



صورة رقم (٢)

جبل أبو ولد



صورة رقم (٣)
رأس أحد المذنبات الطويلة



صورة رقم (٤)
فحص أحد المذيلات ومن ورائه ركم كبير



صورة رقم (٥)

نقاش تاريخي في وادي السواط



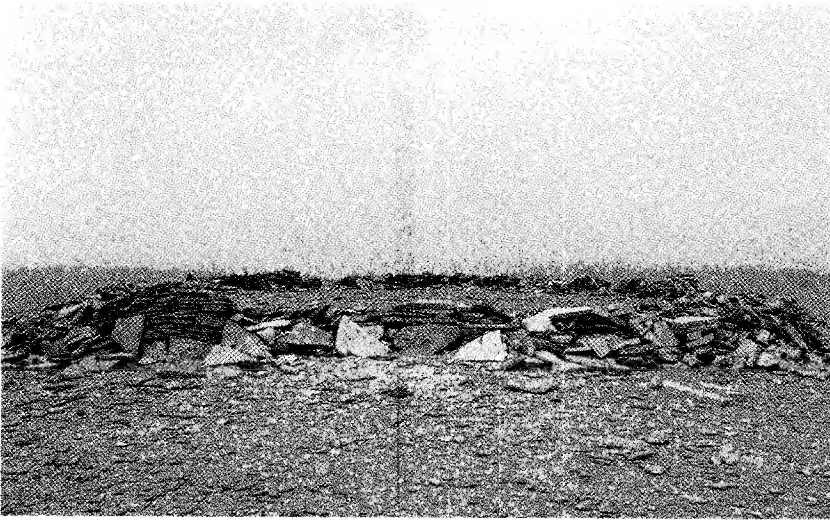
صورة رقم (٦)

أحد الأذيال شمال وادي ماوان



صورة رقم (٧)

أحد المذيلات غرب جبل الكلب



صورة رقم (٨)

إحدى الدوائر غرب جبل الكلب

أبو ظبي في الوثائق العثمانية

(١٢١٨-١٣٣٢هـ/ ١٨٠٣-١٩١٤م)

أ. حمد بن عبدالله العنقري
دارة الملك عبدالعزيز

تناولت الدراسات التاريخية الحديثة للخليج العربي تاريخ أبو ظبي؛ إلا أن معظمها لم يستفد من الوثائق العثمانية، حيث ركزت أغلبها على استخدام الوثائق البريطانية وبعض الوثائق البرتغالية، وذلك لأسباب عدة، يأتي على رأسها أن الوثائق العثمانية في السابق لم تكن متاحة بمثل ما هي عليه اليوم من تسهيل لإجراءات الاستفادة من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء (الأرشيف العثماني) بإسطنبول. ولذا تسعى هذه الدراسة للاعتماد على وثائق الأرشيف العثماني فقط، لعرض ما تضمنته الوثائق العثمانية من شؤون اقتصادية واجتماعية وسياسية تتعلق بإمارة أبو ظبي، إضافة إلى التعرف على سياسة الباب العالي ومحاولاته تأكيد نفوذه في المنطقة، وصورة هذا النفوذ من حيث القوة والعجز أمام النفوذ البريطاني المتصاعد في الخليج العربي، وأثر هذا الصراع على النفوذ في تاريخ المنطقة.

وهذا يعني أن منهج البحث واتجاهاته ونتائجه محددة بالمعلومات التي أمدتنا بها الوثائق العثمانية المتاحة - التي

اطلعت عليها - والتي يلحظ كثرتها خلال هذه الفترة، وتمثل رسائل وتقارير متبادلة من الدوائر المختلفة في الدولة والباب العالي، وبعضها تقارير أعدت لاطلاع السلطان العثماني الشخصي عليها. وهذه الوثائق جزء منها لم يستخدم من قبل، والجزء الآخر سبق أن وجد طريقه للنشر، حيث تمت الاستفادة مما ورد في كتاب وثائق التاريخ القطري[(١)] الذي تضمن وثائق عثمانية ذات مساس مباشر بمادة هذه الدراسة، كما نُشر بعض الوثائق المتعلقة بهذه الدراسة في دراسات سابقة أخرى.

وتأسيسًا على ذلك فإن هذه الدراسة تعكس وجهة نظر الدولة العثمانية دون غيرها، وأسلوب تعاملها مع الأحداث، وترددها في اتخاذ الإجراءات والقرارات الحاسمة بشأنها؛ ولذا فإن أسلوب الدراسة والمصطلحات الواردة فيها والنتائج التي خلصت إليها هي نتيجة لما ورد في الوثائق العثمانية فقط.

الإشارات الأولى في وثائق الأرشيف العثماني عن أبو ظبي:

لم يسم العثمانيون في البداية أبو ظبي باسمها، وإنما عرفت باسم القبيلة القاطنة فيها في تلك الفترة وهي قبيلة بني ياس، إضافة إلى أن العثمانيين كانوا لا يميزون بين أبوظبي وعمان في التسمية، إذ وردت التسمية في معظم الوثائق على أن هذه المنطقة هي منطقة عمان، وأنها جزء منها، وهذا الأمر يعود إلى عدم معرفة العثمانيين في البداية

---

(١) العناني، أحمد: وثائق التاريخ القطري، ديوان أمير دولة قطر، الدوحة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

طبيعة المنطقة وجغرافيتها، إضافة إلى عدهم إياها مناطق قبلية ما زالت في حالة البداوة.

وبما أن العثمانيين لم تتحدد لهم هذه المنطقة؛ فإنه يصعب معرفة المراد الجغرافي بمصطلح عمان في الوثائق العثمانية إلا بعد الاطلاع على كامل الملف الذي يضم الوثائق الواردة فيه لتحديد المنطقة المقصودة. فمثلاً يرى العثمانيون أن سواحل الخليج العربي وخليج عمان خاضعة لأملاكهم وواقعة تحت حكمهم، ولذا فإنهم يطلقون عليها سواحل نجد، بل إن هذا التحديد قد اتسع ليشمل الجزيرة العربية(٢)، بل إن عدم الدقة في معرفة المنطقة وجغرافيتها لا يشمل المركز الذي ربما يعذر لبعد المسافة وقلة المعلومات، لكنه يتعدى إلى الأشخاص القريبين منها، حيث يتضح عدم دقة بعض معلوماتهم حول المنطقة وأحداثها، فمثلاً كتب نائب قضاء قطر تقريرًا سريًا حول اجتماع أبي القاسم بالشيخ قاسم آل ثاني، وقد عرف أبا القاسم بأنه ممثل البريطانيين في مسقط(٣)، والصحيح أنه وكيل المقيم البريطاني في الخليج العربي ومقره الشارقة.

بل إن عدم الدقة يمتد إلى متصرف نجد الذي ذكر مساحة خيالية لمشيخة أبو ظبي، ووسع حدودها إلى مساحة

(٢) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 59642، يتضمن لائحة أعدها إبراهيم فوزي متصرف نجد بخصوص حادثة الزبارة في ٢٩ رجب ١٣١٤هـ.

(٣) الأرشيف العثماني تصنيف S.D 2158 /5، يتضمن خطابًا من السيد محمد الأمين نائب قضاء قطر إلى محمد نزيه متصرف نجد في ٢٤ صفر ١٣٠٣هـ.

مبالغ بها، فذكر بأن: "المساحة الواقعة في السواحل الممتدة من قضاء قطر وحتى مسقط، التي يطلق عليها عمان، هي تحت إدارة الشيخ زايد"، ولم يكتف بذلك بل إنه وصف أهالي سواحل المنطقة الطويلة الممتدة من عمان وجزيرة العرب وحتى باب المندب بأنهم من أتباع السلطنة العثمانية(٤)، ولا شك في مدى فداحة مثل هذه الأحكام المرتجلة عند من لا يخفى عليه تاريخ المنطقة.

ويستشري الأمر ويصل إلى تاريخ المنطقة أيضًا، فقد أعد محمد نجيب باشا والي بغداد تقارير عدة عن منطقة الخليج العربي، وعد مسقط وعمان والبحرين وجميع المناطق بينها من ممتلكات العثمانيين التي ورثوها عن الأجداد، لكنه استدرك فأشار إلى أنه تشكلت في هذه المناطق مشيخات استقلت عن الدولة العثمانية نتيجة إهمال العثمانيين، وتقصيرهم في الانتباه لهذه المناطق(٥).

---

(٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ASK 165/20، يتضمن خطابًا من متصرفية نجد إلى القيادة العسكرية في ١٧ ربيع الثاني ١٣١٨هـ.

(٥) الأرشيف العثماني تصنيف I.Mec.Mah 2067، يتضمن تقارير عدة من والي بغداد إلى الصدارة العظمى في عام ١٢٦٣هـ. وانظر: تصنيف Y.EE.KP. 36-38/3790، وتصنيف Y.EE.KP. 86-37/ 3782، يتضمن الأول تقريرًا للسلطان عبدالحميد الثاني بدون اسم معده، وأغلب الظن أن معده هو السيد فضل العلوي أمير ظفار، ويتضمن الإشارة إلى أن المناطق الساحلية على الخليج العربي هي من أملاك الدولة العثمانية، أما التقرير الثاني فقد أعده السيد فضل العلوي ذكر فيه أن جميع جزر الخليج العربي الواقعة في الجزء الغربي من الخليج هي جزر عثمانية. وانظر أيضا: تصنيف DH.MUI 18-2/32، يتضمن تقريرًا أعده رشيد الناصر بن ليلى لمجلس المبعوثان في ٧ المحرم ١٣٢٧هـ.

ونظرًا لعدم تفريق العثمانيين بين منطقة الساحل والداخل في التسمية؛ فإنهم في تعاملهم مع السيد أحمد بن سعيد (١١٥٧-١١٨٩هـ/ ١٧٤٤-١٧٨٣م) والسيد سعيد بن سلطان (١٢١٩-١٢٧٣هـ/ ١٧٩١-١٨٥٦م) كانوا يعدون المنطقة من ضمن أملاك البوسعيديين، وأنها ضمن نفوذ سلطنة مسقط[٦].

ولذا فلا يمكن الجزم بمعرفة بدايات تاريخ مشيخة أبوظبي في وثائق الأرشيف العثماني، إذ إن من تعامل مع هذا الأرشيف يقدر مدى صعوبة البحث فيه، بالرغم مما يحويه من وثائق مهمة جدًا عن الجزيرة العربية.

ولكن من أوائل الوثائق التي اطلع عليها الباحث وتحدثت عن المنطقة، هي الوثائق التي تعرضت لذكر قبيلة بني ياس، ففي أثناء التوسع السعودي في منطقة جنوب شرق الجزيرة العربية وساحل عمان انضمت قبائل بني ياس إلى السعوديين، ففي رسالة من أحمد بن رزق[٧] إلى علي باشا والي بغداد أشار فيها إلى أن ابن سعود "أرسل أربعماية مطية من أهل الأحسا ومشو بني ياس مع أهل عمان ونعيم

(٦) الأرشيف العثماني تصنيف HAT 3816، يتضمن رسالة من الإمام أحمد بن سعيد إلى السلطان العثماني في ٢٠ شعبان ١١٣٩هـ. وتصنيف A.DVNS.NMH.d.9 . يتضمن رسالة من السلطان العثماني إلى الإمام أحمد بن سعيد، تاريخ ٦ جمادى الآخرة ١١٩١هـ. وتصنيف HAT 3814، يتضمن خطابًا من محمد علي باشا والي مصر إلى السيد سعيد بن سلطان سلطان مسقط في عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م.

(٧) أحمد بن محمد بن رزق، تاجر من كبار تجار نجد، أسس قرية جو بالبحرين، واستقر في البصرة، وبها توفي عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، وألف ابن سند في ترجمته كتابًا سماه: "سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد".

وبني جتب ومشو صقر بن راشد شيخ القواسم أهل رأس الخيمة وجملة القوم الذين مشوهم مقدار ثمانية الآف مطية"، وأن هذه الحملة سارت إلى عمان في ربيع الثاني عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م[٨]، وقد أشار والي بغداد في خطاب رفعه للصدر الأعظم إلى أن قبائل بني ياس انضمت إلى السعوديين، وكذلك قبائل النعيم وبني قتب والقواسم[٩].

أما أول ورود لاسم شيخ أبو ظبي فكان اسم الشيخ سعيد بن طحنون بصفته شاهدًا على توقيع اتفاقية البريمي في شهر رجب ١٢٦٩هـ/ مايو ١٨٥٣م[١٠] بين الأمير عبدالله بن فيصل آل سعود الذي ينوب عن والده الإمام فيصل بن تركي، والسيد هلال بن محمد البوسعيدي نيابة عن السيد ثويني بن سعيد نائب سلطان مسقط، ولأهمية هذه الاتفاقية، ونظرا للحصول على نسخة عن الوثيقة العربية الأصلية فقد أفردتُ هذه الوثيقة بدراسة مستقلة[١١].

---

(٨) الأرشيف العثماني تصنيف HAT 3777-D، يتضمن رسالة من أحمد بن محمد بن رزق إلى علي باشا والي بغداد في ٦ جمادى الأولى ١٢١٨هـ.

(٩) الأرشيف العثماني تصنيف HAT 3777-D، يتضمن خطاب علي باشا والي بغداد إلى الصدارة العظمى، وفيه ترجمة الخطابات الواردة إلى علي باشا بأحداث ساحل الخليج العربي في ١٥ جمادى الثانية ١٢١٨هـ.

(١٠) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 12/60، يتضمن مجموعة من الاتفاقيات التي عقدتها الدولة السعودية الثانية مع عمان والبحرين.

(١١) العنقري، حمد بن عبدالله: "اتفاقية البريمي بين الدولة السعودية الثانية وسلطنة مسقط وعمان (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م)"، مجلة الدارة، س٣٣، ع٣، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص ٧٥-١٣٢.

ومن الملحوظ في الوثائق العثمانية أنها رصدت تخوف البريطانيين من التوسع السعودي، ولذا فقد سعت بريطانيا للحد من هذا النفوذ، وقد أشار الإمام عبدالله بن فيصل آل سعود في خطاب أرسله إلى نامق باشا والي بغداد في عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م إلى أن أملاك السعوديين تمتد من عمان إلى اليمن إلى الكويت، وطلب من والي بغداد التدخل لأجل منع البريطانيين من: "التآمّر على السواحل البحرية المتصلة بما تحت أيدينا من جعلان إلى عمان إلى الكويت ويدخل في ذلك جزيرة البحرين"(١٢).

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في أبو ظبي:

لم تتعرض الوثائق العثمانية بشكل مباشر إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مشيخة أبو ظبي - بحسب ما اطلعت عليه من وثائق - وإنما جاء الحديث عنها بشكل عرضي، أو بطريقة غير مباشرة، إذ ترد في الوثائق العثمانية نتف عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، بعكس الوضع السياسي الذي أسهبت الوثائق بالتعرض له، ولو كان فقط من ناحية الخلاف بين الشيخ زايد بن خليفة والشيخ قاسم بن محمد آل ثاني.

فتشير الوثائق العثمانية إلى أن التركيبة العامة للسكان في منطقة ساحل عمان - ومن بينها مشيخة أبو ظبي - تتكون من قبائل بدوية غير حضرية، وتصفهم بأنهم من العرب الرحل، الذين يعيشون متنقلين في الصحاري، ويعنون بتربية

(١٢) الأرشيف العثماني I.Mec.Mah 1381، يتضمن خطابات عدة من الإمام عبدالله بن فيصل إلى والي بغداد نامق باشا في عام ١٢٨٣هـ.

الجمال والغنم التي تعد موردهم الوحيد لإدامة حياتهم، فيمضون الشتاء في البوادي، والصيف داخل المدن(١٣).

أما أبرز القبائل التي تعيش في المنطقة فهي قبيلة بني ياس، وتشير التقارير العثمانية إلى انضمام هذه القبيلة إلى الدولة السعودية في عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م(١٤)، كما تركز الوثائق على فخذ القبيسات، وتذكر أنه فرع من بني ياس، وأن هذا الفرع ترك مشيخة أبو ظبي نتيجة الخلاف الذي جرى بينها وبين الشيخ زايد بن خليفة، وانتقل إلى منطقة العديد وسكن فيها، لكن تسويتهم لمشكلتهم مع شيخ أبو ظبي في عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، أدى إلى عودتهم إلى أراضيهم(١٥).

أما القبيلة الأخرى التي ترد بكثرة في الوثائق العثمانية فهي قبيلة المناصير، حيث ذكرت أن هذه القبيلة يقع جزء منها في عمان، بينما بقيتها في الأراضي المحيطة بقطر،

---

(١٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 11/3، يتضمن تقريرًا كتبه المشير نصرت باشا للسلطان عبدالحميد الثاني عن أحوال العراق الماضية والمستقبلية، وهذه التقرير بدون تاريخ، ويقدر أنه كتب في عام ١٣٠٨هـ تقريبًا. وتصنيف DH.MUI 18-2/32، يتضمن خطابًا من حسين ناظم باشا إلى وزير الداخلية في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ.

(١٤) الأرشيف العثماني تصنيف HAT 3777-D، يتضمن رسالة من أحمد بن محمد بن رزق إلى علي باشا والي بغداد في ٦ جمادى الأولى ١٢١٨هـ. والتصنيف نفسه، يتضمن خطاب علي باشا والي بغداد إلى الصدارة العظمى، وفيه ترجمة الخطابات الواردة إلى علي باشا بأحداث ساحل الخليج العربي في ١٥ جمادى الثانية ١٢١٨هـ.

(١٥) الأرشيف العثماني تصنيف HR.SYS 108/28، يتضمن تقريرًا من متصرفية نجد إلى ولاية البصرة في ٤ جمادى الأولى ١٣٣١هـ.

ويدين القسم الكائن في عمان بالولاء للشيخ زايد الذي يتخذ من مدينة أبو ظبي مقرًا له، بينما يخضع الجزء الكائن في قطر للشيخ قاسم(١٦).

ويتردد المناصير التابعون لمشيخة أبوظبي على قطر، وينزلون ويقيمون في مختلف الأماكن، وأغلبهم يقيمون في ديارهم(١٧)، وهذه الديار تبعد عن العديد شرقًا بمسافة خمسة أو ستة أيام(١٨).

وقد أسهم تنقل القبائل في المنطقة والمناطق المجاورة إلى حصول زيجات أدت إلى زيادة الترابط فيما بينها، وبحكم صلات القربى الناتجة عن هذه الزيجات؛ أصبحت المنطقة موحدة لهذا الأمر(١٩).

---

(١٦) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 8/3، يتضمن تقريرًا من أحمد مظفر بك وسيد إسماعيل بك عن قطر في ١٢ ربيع الأول ١٣١١هـ.

(١٧) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MUI 17-4/22، يتضمن تقريرًا من حقي بك وكيل قائد نجد إلى ولاية البصرة في ١٧ رجب ١٣٢٧هـ.

(١٨) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 268914، يتضمن تقريرًا من حقي بك وكيل قائد نجد إلى ولاية البصرة في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ.

(١٩) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 60/12، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ. وتصنيف I.ASK 1309/R-16، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ. هذا وقد نشر هذا التقرير أكثر من مرة، فقد نشره أولاً العناني ثم السبيعي ثم صابان. انظر: العناني، المرجع السابق، ٢/ ١٢١-١٢٨. السبيعي، عبدالله بن ناصر: اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م، مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض، ص٤٠-٤٣، ٦٥-٦٦، ١٩٧-١٩٨. صابان، سهيل: "قطر في إحصائية عثمانية في بدايات لقرن الرابع عشر الهجري"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، ع ٧٣، (شتاء ٢٠٠١م)، ص ١٣٣-١٥٤. ثم أعاد =

أما عدد سكان المشيخة فليس لدينا معلومات دقيقة بهذا الخصوص؛ سوى ما يستفاد من بعض المعلومات الواردة عن عدد المقاتلين في المشيخة. فقد أورد الشيخ قاسم في برقية أرسلها إلى الصدر الأعظم ذكر فيها أن الشيخ زايد سيهاجم قطر بجماعة كبيرة تقدر بنحو عشرين ألف رجل[٢٠]، بينما ذكر والي البصرة هدايت باشا أن عدد مقاتلي الشيخ زايد بلغ عددهم خمسة آلاف في هذا الهجوم[٢١]. أما رشيد الناصر بن ليلى فقد ذكر في تقرير أعده لمجلس المبعوثان بأن "قوة القبائل المختلفة التي تقيم بعد قطر في منتهى شرقي جزيرة العرب في المحل المعروف بعمان حوالي خمسة عشر ألفا"[٢٢]. بينما ذكر القنصل العثماني في لنجة أن تعداد مساكن أبو ظبي ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف منزل[٢٣].

= نشره مرة أخرى في كتاب: الجزيرة العربية بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٣٩-٣٦٢.

(٢٠) الأرشيف العثماني تصنيف HR.TO 392/50، يتضمن برقية من الشيخ قاسم آل ثاني إلى الصدر الأعظم في ٣ شعبان ١٣٠٦هـ. وتصنيف MV. 42. Sy. 34، يتضمن محضر جلسة مجلس الوكلاء في ١٣ شعبان ١٣٠٦هـ.

(٢١) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 14/78، يتضمن برقية من هدايت باشا والي البصرة إلى الكتابة الأولى للسلطان عبدالحميد الثاني في ٥ رمضان ١٣٠٦هـ.

(٢٢) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MUI 18-2/32، يتضمن تقريرًا أعده رشيد الناصر بن ليلى لمجلس المبعوثان في ١١ ذي القعدة ١٣٢٦هـ.

(٢٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ESA 51/75، يتضمن خطابا من محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة إلى =

ومن خلال هذه الآراء يمكن الوصول إلى عدد تقريبي لسكان المشيخة، بأنه يتراوح ما بين خمسة وعشرين ألف إلى ثلاثين ألف نسمة، وذلك بمتوسط حساب عدد المنازل، بالنظر إلى أن المنزل الواحد قد يوجد به ما بين خمسة إلى سبعة أشخاص.

أما موقع أبو ظبي فهو موقع متميز وإستراتيجي[٢٤]، وهذا الموقع أسهم في جعل هذه المشيخة تحتل نفوذًا متزايدًا في المنطقة[٢٥]، لكن قلل من قيمة هذا الموقع أسباب عدة منها: طبيعة أراضي المنطقة التي هي عبارة عن أراض رملية خالية من المياه[٢٦]. إضافة إلى أن ميناء أبو ظبي تميز بالضحالة وقلة العمق، ووجود الحجارة والصخور على عمق أقدام عدة؛ ما جعل السفن الكبيرة لا تستطيع الاقتراب من الساحل ودخول الميناء، فكانت وسيلتها الوحيدة استخدام القوارب الصغيرة والسفن الشراعية[٢٧].

= أحمد باشا عزت العابد السكرتير الثاني للسلطان في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ. وانظر ترجمة هذا الخطاب في: صابان، سهيل: "علاقة سكان الخليج العربي بالدولة العثمانية: ١٢٨٨-١٣٢٥هـ/ ١٨٧١-١٩٠٧م"، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، ع ٣، (ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ إبريل ٢٠٠٧م)، ص ٨٢-٨٧.

(٢٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ESA 51/75، يتضمن خطابا من محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة إلى أحمد باشا عزت العابد السكرتير الثاني للسلطان في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ.

(٢٥) الوثيقة نفسها.

(٢٦) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 59642، يتضمن لائحة أعدها إبراهيم فوزي متصرف نجد في ٢٩ رجب ١٣١٤هـ. وقد أشار إلى أن ذلك من أسباب عدم تبعية المنطقة للدولة العثمانية.

(٢٧) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 8/3، يتضمن تقريرًا من أحمد مظفر بك وسيد إسماعيل بك عن قطر في ١٢ ربيع الأول ١٣١١هـ.

ولقد أسهمت طبيعة المنطقة الصحراوية في التأثير على أوضاع سكانها، وبسبب اهتمام الأهالي بالبحث عن لقمة العيش لم ينتشر العلم والتعلم والتعليم بين أفراد القبائل في المنطقة(٢٨).

كما تسببت الغارات المتبادلة بين القبائل في انتشار الأسلحة بينهم، حيث استخدم الأهالي الأسلحة الحديثة، كالمارتيني(٢٩) والموزر(٣٠) والريفل(٣١)، ومصدر هذه الأسلحة من أسواق أبو ظبي، التي انتشر فيها السلاح المهرب في الخليج العربي(٣٢).

---

(٢٨) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MUI 18-2/32، يتضمن تقريرًا كتبه عبدالرحمن بن أحمد إلياس المدني للصدر الأعظم، وهذا التقرير بدون تاريخ، ويحتمل أنه كتب في مطلع عام ١٣٢٧هـ تقريبًا.

(٢٩) المارتيني: بنادق إنجليزية الصنع، صنعت في عام ١٨٧١م، واستخدمت في نجد والجزيرة العربية على نطاق واسع، نظرًا لإعجاب الناس بها؛ لأنها جاءت بعد البنادق القديمة التي تحشى بالبارود. الجنيدل، سعد بن عبدالله: معجم التراث (السلاح)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٧هـ، ص١٩٣-١٩٥. العبودي، محمد بن ناصر: كلمات قضت معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢/١٢٢٦.

(٣٠) الموزر: بنادق ألمانية تنسب إلى الألماني بتر بول موزر، وتحوي مخزنًا مكونًا من عشرة خراطيش وطولها حوالي ٣١١ مم عيار ٧,٦٣ مم. إدارة التوجيه المعنوي بالقوات المسلحة الليبية: موسوعة السلاح المصورة (الأسلحة الخفيفة)، دار المختار للطباعة والنشر، إيطاليا، ١٩٨٠م، ٥/ ٢٢٤.

(٣١) الريفل: بندقية نارية تزود بطلقة واحدة، وهي من أقدم البنادق التي استعملت بعد الفتيل والمقمع، رصاصتها تدخل من أسفلها ولها جهاز مبسط، وتاريخ صناعتها ١٨٥٧م. الجنيدل، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٣٢) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MUI 18-2/32، يتضمن تقريرًا كتبه عبدالرحمن بن أحمد إلياس المدني للصدر الأعظم، وهذا التقرير بدون تاريخ، ويقدر أنه كتب في مطلع عام ١٣٢٧هـ تقريبًا.

أما الأعمال التي زاولها أهالي المشيخة فتمثلت في الغوص والصيد والتجارة(٣٣)، وأسهمت هذه الأعمال في امتلاك البعض من سكان المشيخة لأسباب الغنى واليسار(٣٤)، حيث بلغ إجمالي قيمة مبيعات اللؤلؤ المستخرج من الخليج العربي ما قيمته مليون ليرة عثمانية سنويًا(٣٥)، ومن المعروف أن أفضل مغاصات اللؤلؤ هي التي تقع شمال أبو ظبي وجنوب قطر، وأدى التسابق على امتلاك أفضل الأماكن لاستخراج اللؤلؤ إلى تصاعد الخلاف بين شيخي أبو ظبي وقطر(٣٦).

ولاهتمام أهالي أبو ظبي بالغوص واستخراج اللؤلؤ وجدت مهن ارتبطت بهذه المهنة، تمثلت بصناعة السفن الشراعية والقوارب التي تخرج للغوص، فقد بلغ ما تملكه مشيخة أبو ظبي من السفن الشراعية والقوارب ما مقداره ألفا سفينة

(٣٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ESA 51/75، يتضمن خطابا من محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة إلى أحمد باشا عزت العابد السكرتير الثاني للسلطان في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ. وتصنيف Y.A.Res 27/19، يتضمن تقريرًا من قائد البحرية في البصرة إلى وزارة البحرية في ٢٣ ربيع الأول ١٣٠٢هـ.

(٣٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ESA 51/75، يتضمن خطابا من محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة إلى أحمد باشا عزت العابد السكرتير الثاني للسلطان في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ.

(٣٥) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 27/19، يتضمن تقريرًا من قائد البحرية في البصرة إلى وزارة البحرية في ٨ ربيع الثاني ١٣٠١هـ.

(٣٦) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 60/12، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ. وتصنيف I.ASK 1309/R-16، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

وقارب[٣٧]، وخروج هذه السفن والقوارب للغوص يستلزم وجود عدد من النواخذ[٣٨] والسرادل[٣٩] والغواصين والسيوب[٤٠] لأجل العمل فيها. كما أسهم وجود هذه السفن والقوارب إلى توافر مهن لصناعتها تتمثل في وجود الصناع والنجارين للقيام ببناء السفن والقوارب. أما العلَم الذي كانت السفن تحمله فقد كان في الغالب عبارة عن قماش أحمر[٤١].

ولذا فإن اقتصاد مشيخة أبو ظبي شهد انتعاشًا جيدًا في عهد الشيخ زايد بن خليفة، فقد وردت إشارات في الوثائق العثمانية إلى مداخيل المشيخة، حيث ذكر أن مداخيلها تمثلت في الرسوم التي درج شيوخ الخليج العربي على أخذها من سفن الغوص والمعروفة باسم القلاطة[٤٢]، فقد كان الشيخ

---

(٣٧) الوثيقة نفسها.

(٣٨) النواخذ جمع نوخذا وهو ربان السفينة وقائدها، وقد يكون مالك السفينة نفسها. الرومي، أحمد البشر: معجم المصطلحات البحرية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ١٩٩٦م، ص ١٧٦.

(٣٩) السرادل جمع سردال، وهي تحريف لكلمة السركال التي تعني قائد سفينة الغوص الذي يقوم بإرشادها إلى مغاصات اللؤلؤ. الرومي، المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٤٠) السيوب جمع سيب هو البحار الذي يقوم على خدمة الغواص أثناء الغوص، وخدمة السفينة وإعدادها وكل ما ينتابها في البحر والبر. الرومي، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٤١) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 59642، يتضمن لائحة أعدها إبراهيم فوزي متصرف نجد بخصوص حادثة الزبارة في ٢٩ رجب ١٣١٤هـ.

(٤٢) القلاطة هي الحصة التي يتسلمها الشيوخ والحكام من تجار اللؤلؤ وممولي عمليات الغوص عن كل سفينة ربحت أو خسرت. حنظل، فالح: معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٨٥م، ص ٣٠١.

زايد يحصل من كل سفينة ما بين أربعين إلى عشرين ريالاً فرانسيًا(٤٣).

أما المصدر الآخر فهو الإعانة التي تتلقاها المشيخة من مسقط، فقد تلقى الشيخ زايد من سلطان مسقط مبلغ خمسة آلاف ريال فرانسي، وتلقى من إمام الرستاق ألفي ريال(٤٤)، وبالرغم من أن هذه الإعانة وردت في سياق دفع غزو ابن رشيد المحتمل على المنطقة، فإن من الواضح أن مسقط كانت تمد المشيخة بإعانة متى ما توافر لها ذلك.

ومن المداخيل التي تحصلها المشيخة الرسوم والضرائب، ولا تفصح الوثائق العثمانية عن معلومات عن هذه الرسوم والضرائب، وعلى ماذا كانت تفرض، وكم مقدارها، لكنها أشارت إلى أن هذه الضرائب والتكاليف ستكون سببًا - مع تسلط القبائل - في انقطاع الأهالي عن التجارة(٤٥).

أما المناطق التي كانت تخرج منها سفن الغوص في مشيخة أبو ظبي، فقد ذكرت الوثائق منطقة واحدة هي جزيرة دلمة(٤٦)، وقد كان ازدهار هذه الجزيرة سببًا في

(٤٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 60/12، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ. وتصنيف I.ASK 1309/R-16، يتضمن تقريرًا أعده وكيل قائمقام قطر في ٤ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ.

(٤٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 14/78، يتضمن برقية من هدايت باشا والي البصرة إلى الكتابة الأولى للسلطان عبدالحميد الثاني في ٥ رمضان ١٣٠٦هـ.

(٤٥) الوثيقة نفسها.

(٤٦) الوثيقة نفسها.

محاولة العثمانيين إحياء منطقة العديد، بتعيين مدير لها، حيث أشار متصرف نجد إلى المزايا التي يمكن من خلالها الاستفادة من هذا التعيين، الذي ينطوي على عنصر جذب يتمثل في وجود إيرادات خاصة يمكن تحصيلها من هذا الموقع، إضافة إلى أنه في حال نشر الأمن والنظام هناك فقد يؤدي ذلك إلى إعمار المنطقة وازدهارها، ويجعلها منافسة لجزيرة دلمة التابعة لشيخ أبو ظبي، وأن ذلك قد يمثل عائقًا للمصالح المشتركة بين شيخ أبو ظبي وشركائه. أما في حالة عدم استثمار هذا الموقع فإن المنطقة ستبقى ضمن نفوذ شيخ أبوظبي(٤٧).

ونظرًا لتفوق أبو ظبي في تجارة اللؤلؤ؛ فإن بريطانيا سعت إلى إضفاء الحماية على فئة من الهنود في المناطق التي وقعت معها اتفاقية السلم الدائم، ومنها أبو ظبي، حيث اشتغل هؤلاء الهنود بالتجارة وخصوصًا تجارة اللؤلؤ، وعند حدوث إشكال بين الأهالي والهنود كانت بريطانيا تتدخل لحماية هؤلاء الهنود والدفاع عنهم(٤٨).

الأوضاع السياسية في أبو ظبي:

شكل الصراع بين القوى المحليّة على تركة الدولة السعودية الثانية في سواحل الخليج العربي منعطفًا تاريخيًا مهمًا طبع العقود الثلاثة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

---

(٤٧) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 162189، يتضمن تقريرًا من طالب النقيب متصرف نجد إلى نظارة الداخلية في ١٥ ذي الحجة ١٣٢٠هـ.

(٤٨) الأرشيف العثماني تصنيف 10/ S.D 2158، يتضمن خطابًا من ولاية البصرة إلى وزارة الداخلية في رجب ١٣٠١هـ.

الميلاديين، وتجلى الصراع في أوضح صوره بين مشيخة أبو ظبي من جانب وقائمقامية قطر التابعة آنذاك للعثمانيين من جانب آخر.

حفلت الكثير من الوثائق العثمانية بأخبار الصراع بين مشيخة أبو ظبي وقائمقامية قطر، وقد اتخذ المسؤولون العثمانيون موقفا غير ودي من شيخ أبو ظبي وتعاملوا معه على أنه متمرد خارج على القانون، ينتهك حرمة السلطنة، لكن اللافت للنظر في هذه المسألة هو وقوف الدولة بالفعل موقف المتفرج من الصراع الوشيك.

وقد أدى تزايد نفوذ الشيخ زايد بن خليفة في المنطقة إلى قلق المسؤولين العثمانيين، حيث كتب المشير نصرت باشا - أحد مستشاري ومرافقي السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م) - تقريرًا مطولاً عن أحوال العراق ومنطقة شرقي الجزيرة العربية، تطرق فيه إلى أن الشيخ زايد استولى على نواحي عمان، ومن غير المستبعد انضمامه مع ابن رشيد، كما أضاف أن البريطانيين يترددون بشكل مستمر على أبو ظبي وعمان وظفار وحضرموت، وأن مقر المقيم البريطاني في بوشهر[٤٩] وهو مكلف من قبل دولته بتنفيذ السياسة البريطانية الخاصة بالخليج العربي، ويتمتع هذا المقيم بنفوذ كبير لدى سكان المنطقة الممتدة من البصرة إلى مسقط، وقد تأسف كاتب التقرير على هذه

(٤٩) بوشهر: ميناء على الساحل الشرقي للخليج العربي، ويعد الميناء الرئيس لإيران، وهو مقر المعتمد البريطاني في الخليج. لوريمر، ج.ج: دليل الخليج: القسم الجغرافي، الديوان الأميري، الدوحة، ط.٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/ ٥٤٠.

المناطق ومنها أبو ظبي التي تعد - من وجهة نظره - من الممالك العثمانية، ومع ذلك لا يوجد فيها أي تمثيل عثماني، إنما النفوذ فيها للبريطانيين، ولذا فإن لبريطانيا سفناً حربية تستخدمها في الخليج العربي، وأن لربابنة هذه السفن صلاحيات مفتوحة، تتمثل في القبض على المخالفين ومصادرة أموالهم ونفيهم إلى مناطق أخرى، وقد أشار إلى أسباب عزوف شيوخ المنطقة عن الدولة العثمانية، والتي منها: سوء أخلاق موظفي الدولة، وطمعهم وجشعهم، وحبهم للأموال، ومخالفتهم للشريعة(٥٠).

وبالرغم من هذا القلق، فإن موقف المسؤولين العثمانيين ظل موقف المتفرج على الأحداث، حيث أسهمت مواقفهم غير الودية من الشيخ قاسم بن ثاني في عدم إفادة الدولة العثمانية من توسيع نطاق حدود متصرفية نجد، فقد أشار تقرير كتب بدون اسم ولا تاريخ ضمن أوراق شورى الدولة عند مناقشته لمشكلة البانيان(٥١) في قطر عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م بأن تصرفات والي البصرة السابق ومتصرف نجد السابق هي التي أدت إلى

(٥٠) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 11/3، يتضمن تقريرًا كتبه المشير نصرت باشا للسلطان عبدالحميد الثاني عن أحوال العراق.

(٥١) البانيان: كلمة هندية تعني التاجر غير المسلم. والمراد بها هنا: جماعة من هنود السند، هاجروا وسكنوا منطقة الخليج العربي، وأسسوا فيها محلات تجارية وأسواقًا عرفت باسم أسواق البانيان. حنظل، فالح: معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام، أبو ظبي، ط.٢، ١٩٩٨م، ص ٧٩. وللاستزادة حول الوجود الهندي في الخليج العربي انظر: القاسمي، نورة بنت محمد: الوجود الهندي في الخليج العربي ١٨٢٠-١٩٤٧م، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ١٩٩٦م.

عدم التمكن من توسيع حدود متصرفية نجد إلى مسقط، وقد أشار التقرير إلى أن العارفين بالمنطقة يعلمون أن نهاية سواحل شبه الجزيرة العربية تنتهي بعمان، وبأن للشيخ قاسم علاقات جيدة بالقبائل المنتشرة على طول تلك السواحل، ولدى هذه القبائل طلبة علم يعرفون معنى طاعة أمير المؤمنين الذي هو سلطان الدولة العثمانية ووجوب الخضوع له، وبسبب سوء تصرفات ولاية البصرة ومتصرفية نجد الذين تعاملوا مع هذه القبائل بالتعامل نفسه مع الشيخ قاسم؛ أدى ذلك إلى ابتعاد هذه القبائل عن الدولة العثمانية ولجوئهم للآخرين(٥٢).

العارفون بالمنطقة يعلمون أن نهاية سواحل شبة الجزيرة العربية تنتهي بعمان

أما بريطانيا فقد استغلت الفرصة، حيث زار أبو القاسم وكيل المقيم البريطاني في الخليج العربي(٥٣) قطر، وقابل الشيخ قاسم لأجل التباحث معه حول مشكلة البانيان في قطر، وجرى الحديث عن علاقة الشيخ قاسم بالشيخ زايد والخلاف بينهما، وكان هذا الموضوع قد أخذ أغلب الوقت من الاجتماع الذي استمر ساعتين، وقد لام أبو القاسم الشيخ قاسمًا على لجوئه إلى الدولة العثمانية التي لم يُفِد منها شيئًا(٥٤)، وقارن

(٥٢) الأرشيف العثماني تصنيف S.D 2158 /10، يتضمن مسودة تقرير عن الخليج العربي بدون اسم وبدون تاريخ.

(٥٣) ذكر التقرير العثماني أن مقر إقامة أبي القاسم في مسقط، والصحيح كما ذكرنا سابقا أن مقره في الشارقة.

(٥٤) الأرشيف العثماني تصنيف S.D 2158 /5، يتضمن خطابًا من السيد محمد الأمين نائب قضاء قطر إلى محمد نزيه متصرف نجد في ٢٤ صفر ١٣٠٣هـ.

أبو القــاسـم بين وضع الشـيخ قـاسم الذي تـأثر بمشكلة البـانيـان، وَوَضْع الشيخ زايد الـذي لجـأ إلى حماية بريطانيا، وكان مـراد أبو القـاسم من هذه المقارنـة محـاولة إقناع الشيخ قاسم بتوقيع اتفاقية حماية مثل التي وقعها شيوخ الساحل.

هذه التحركات البريطانية أربكت العثمانيين، وقد رصدت الاستخبارات العثمانية بوادر بروز هذا الصراع على السطح، فكلف السلطان عبدالحميد الثاني محمد عالي باشا والي ولاية البصرة بكتابة تقرير عن الأوضاع في البصرة وساحل الخليج العربي، فكتب تقريرًا طويلاً استوفى فيه أوضاع ابن رشيد بنجد، وأوضاع سواحل الخليج العربي، والإمامة في مسقط، وذكر الأحداث التي وقعت قبيل وفاة السيد تركي بن سعيد(٥٥) وثورة أخيه السيد عبدالعزيز عليه(٥٦)، ثم تولي

(٥٥) تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، ولد في زنجبار عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وعاش بها فترة طويلة، ثم أرسله أبوه إلى عمان، وعينه حاكمًا على صحار، ثم رحل إلى الهند واستقر بها إلى أن عاد إلى مسقط بعد مقتل الإمام عزان بن قيس البوسعيدي، وتولى الحكم فيها عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، واستمر إلى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م. العنقري، حمد بن عبدالله: حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد ١٢٨٩-١٣١٥هـ/١٨٧٣-١٨٩٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨٦.

(٥٦) عبدالعزيز بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، ولد في زنجبار وعاش بها فترة طويلة، وشارك في المحاولة الانقلابية ضد أخيه السيد ماجد، انتقل بعدها إلى عمان؛ وأعلن الثورة على أخيه السيد تركي، فنفي إلى بومبي، ثم عاد منها إلى عمان؛ ليصبح نائب السلطان أثناء سفر أخيه السيد تركي إلى الهند للعلاج. توفي في بومبي عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٦م. العنقري، حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد، ص١٨٦.

السيد فيصل بن تركي[٥٧] السلطنة، وإشاعة البريطانيين أن السيد عبدالعزيز يعد العدة للثورة على ابن أخيه، وذلك بدعم من ابن رشيد.

ولأهمية ما ذكره عن بريطانيا ودورها في المنطقة نورده هنا موجزًا، حيث ذكر أن البريطانيين "ليس لهم في الوقت الحاضر أي محاولة سياسية مكشوفة تستهدف البصرة والخطة العراقية من الممالك المحروسة، إلا أنهم يبذلون ما في وسعهم لحمل عمان والسواحل العربية على قبول الحماية الإنجليزية والرضوخ لها، ويستخدمون كل وسيلة في سبيل ذلك، ولكنهم يقومون بمحاولاتهم هذه بدعوى تأمين الحماية والمصالح لطائفة البانيان من التجار الهنود، لأن مشايخ العربان يرفضون رفضًا باتًا الاتفاق معهم على أي نوع من الحماية والتعاون، ويترقب الإنجليز نشوب نزاع وخلاف بين القبائل والعشائر في المنطقة؛ لكي يلبوا طلب المساعدة من إحداها على الأخرى وفرض الحماية الإنجليزية عليها بهذه الطريقة".

وقد خلص في نهاية تقريره إلى التدابير الواجب اتخاذها التي تتمثل في لفت أنظار ابن رشيد إلى مسقط وساحل الخليج وتحريضه على احتلالها، وأن هذا الأمر فيه نفع سياسي للدولة العثمانية؛ مبينًا أن وضعية ابن رشيد الحالية

---

(٥٧) فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه عام ١٣٠٥هـ/ ١٩٠٦م، حاول في بداية حكمه التخلص من تدخل بريطانيا في شؤون دولته، ومحاولة إيجاد توازن بين القوى الأجنبية في بلاده، لكن لم يستطع، وزاد تدخل بريطانيا في دولته، كان محبًا للإصلاح وترقية بلاده توفي عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م. العنقري، حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد، ص١٨٧.

تجعله هو المرشح للقيام بضم عمان وساحلها للدولة، وفي حالة حصول ردود فعل من الدول الكبرى وخصوصًا بريطانيا فإن الدولة تحتج بأن "ابن رشيد شيخ عربي مستقل كإمام مسكت"، وأن الدولة العثمانية غير مسؤولة عن تصرفاته وعما يقوم به من أعمال(٥٨).

ولأهمية مثل هذا الموضوع للدولة العثمانية؛ إذ إنها تتنافس مع البريطانيين حول مناطق نفوذ كل منهما في الجزيرة العربية، وحرص الدولة العثمانية على إعادة نفوذها في منطقة الخليج العربي، فقد رأت الدولة العثمانية تكليف ولاية البصرة في متابعة هذا الموضوع، وإعداد الدراسات والتقارير عنه، وطالبت ابن رشيد بالبحث عما يجده لدى الإمام عبدالله بن فيصل آل سعود من الاتفاقيات التي عقدها والده الإمام فيصل بن تركي مع البحرين وعمان، والتي اعترف فيها لويس بلي المقيم البريطاني في الخليج "بأن القطيف والبحرين ومسقط وعمان هي تابعة لحكم آل سعود"، وإرسالها إلى ولاية البصرة(٥٩).

قامت ولاية البصرة بدورها برصد هذا الوضع، حيث أبرقت في ٥ صفر ١٣٠٦هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٨م إلى وزارة

---

(٥٨) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 9/3، يتضمن تقريرًا كتبه والي البصرة الأسبق محمد عالي باشا في ٨ رجب ١٣٠٥هـ.

(٥٩) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 12/60، يتضمن رسالة من نافذ باشا والي البصرة إلى الأمير محمد بن رشيد في ١٢ رجب ١٣٠٥هـ. والتصنيف نفسه، يتضمن رسالة من شعبان باشا الذي خلف نافذ باشا في ولاية البصرة إلى الأمير محمد بن رشيد في ٢٢ شوال ١٣٠٥هـ.

الداخلية تخبرها أن شيخ أبو ظبي اعتدى على قطر؛ الأمر الذي دفع القائمقام قاسم آل ثاني إلى طلب المساعدة من أمير حائل محمد بن عبدالله بن رشيد، والذي أبدى بدوره استعداده للوقوف مع قاسم آل ثاني. ويذكر شعبان باشا والي البصرة بأن شيخ أبو ظبي عندما علم بما تم بين ابن رشيد وقاسم آل ثاني؛ سارع بالاتصال بأمير حائل يذكره بأنه لا عداوة بين مشيخة أبو ظبي وإمارة حائل، ولا خلاف بينهما يوجب أن يقف ابن رشيد مع الشيخ قاسم ضد شيخ أبو ظبي، إلا إن كان أمير حائل يهدف من ذلك إلى بسط سيطرته على كل المناطق التي كانت خاضعة لآل سعود، فإنه - أي شيخ أبو ظبي - لا يطمع فيها وبإمكان ابن رشيد الاستيلاء عليها دون الدخول في حرب معه(٦٠).

ومن اللافت للنظر أن قائمقام قطر بعث يستنجد بأمير حائل على الرغم من أنه تابع - ولو اسميًا - للدولة العثمانية، وكان عليه أن يستنجد بالسلطات العثمانية القريبة منه في الأحساء، لكن قاسم آل ثاني يفسر ذلك الأمر في خطاب كتبه إلى متصرفية نجد أوضح فيه أنه قطع الأمل في أن تقدم له الحكومة العثمانية مساعدة، بدليل أن قطر تتعرض لتجاوزات كثيرة من قبل الإنجليز دون أن تحرك الحكومة ساكنًا(٦١).

ويبدو أن وزارة الداخلية قد تفاعلت مع برقية والي البصرة السابقة، ولذلك فإن الوزير رفع أمر الحرب الوشيكة

(٦٠) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MKT 1554/14، يتضمن برقية من شعبان باشا والي البصرة إلى وزير الداخلية في ٥ صفر ١٣٠٦هـ.
(٦١) الوثيقة نفسها.

بين أمير حائل وشيخ أبو ظبي إلى الصدر الأعظم مستفسرًا عن التدابير الواجب اتخاذها من قبل السلطات العثمانية في المنطقة لمنع نشوب مثل تلك الحرب، ولهذا شكلت لجنة برئاسة الوزير لمناقشة السبل الواجب اتخاذها لمنع وقوع الحرب أو تلافي العواقب التي تنتج عنها[٦٢].

وحرصًا من الباب العالي على عدم التسرع في اتخاذ قرار قد لا تحمد عقباه، فإنه سارع إلى مخاطبة كل من: قيادة الأركان العامة للجيوش العثمانية، ووزارة الخارجية، والسفارة العثمانية في لندن، وولاية البصرة، لاستطلاع مرئياتهم حول هذا الموضوع، وبعد وصول تقارير تلك الجهات سارع الباب العالي إلى عقد جلسة خاصة لمجلس الوكلاء في ٢٢ صفر ١٣٠٦هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٨م لمناقشة سيطرة الشيخ زايد على العشائر والقبائل التابعة للدولة العثمانية، وهجومه على الشيخ قاسم قائمقام قطر التابع للدولة، والنظر في المزاعم البريطانية حول مسقط، ومناقشة المعاهدة التي تزعم بريطانيا أنها عقدتها مع فرنسا والتي تنص على الاعتراف باستقلال مسقط، وحيث لم تكن هذه المعاهدة متوافرة لدى وزارة الخارجية العثمانية، فقد رأى مجلس الوكلاء تكليف السفارة العثمانية في لندن بطلب نسخة من هذه المعاهدة من وزارة الخارجية البريطانية[٦٣].

---

(٦٢) الأرشيف العثماني تصنيف DH.MKT 1555/5، يتضمن خطابًا من وزير الداخلية إلى الصدر الأعظم في ١٠ صفر ١٣٠٦هـ.

(٦٣) الأرشيف العثماني تصنيف MV. 37. Sy. 1، يتضمن محضر جلسة مجلس الوكلاء في ٢٢ صفر ١٣٠٦هـ.

في تلك الأثناء كان ابن رشيد قد عزم على المضي في مساعدة الشيخ قاسم، فأرسل بعثة إلى إسطنبول لمقابلة السلطان عبدالحميد الثاني، والتباحث مع رجالات الدولة العثمانية حول هذا المشروع، وقد كلف ابن رشيد رجاله بتسليم السلطان أربعة خطابات منه، ضمنها خطابي واليي البصرة نافذ باشا وشعبان باشا، اللذين سبق أن طالبا ابن رشيد بالبحث عن الاتفاقيات التي وقعها الإمام فيصل بن تركي مع البحرين وعمان[٦٤]، وكان من ضمن هذه الأوراق الاتفاقية التي عقدت في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م بين الأمير عبدالله بن فيصل ممثلاً عن والده الإمام فيصل، وهلال بن محمد ممثلاً عن السيد ثويني بن سعيد نائب سلطان مسقط، التي أقر فيها هلال بدفع مسقط مبلغ (١٢) ألف ريال زكاة سنوية للدولة السعودية الثانية[٦٥]. وقد التمس ابن رشيد من السلطان بأن يسمح لرئيس بعثته عبدالعزيز العتيق بالمثول بين يديه ليتقدم بطلب بعض الحاجات، ولم يفصح الخطاب عنها بأي شيء، وإنما أشار إلى أن عبدالعزيز يخبر بها السلطان شفهيًا[٦٦].

(٦٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 138/26، يتضمن رسالة من الأمير محمد بن رشيد إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

(٦٥) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 12/60، يتضمن مجموعة من الاتفاقيات التي عقدتها الدولة السعودية مع البحرين وعمان. وانظر: العنقري، "اتفاقية البريمي"، ص ١١٢ - ١١٦.

(٦٦) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.AZJ 14/66، يتضمن رسالة من الأمير محمد بن رشيد إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

وإضافة إلى ما سبق فقد أسهمت الصحافة عمومًا في الكتابة حول هذا الموضوع، وخصوصًا الصحافة الفارسية التي اهتمت بقضية الأحداث في الخليج ونجد، فقد نشرت صحيفة "إطلاع" الفارسية تقريرًا حول عمان والساحل، وذكرت فيه أن عمان كانت تدفع الزكاة لحاكم نجد الإمام فيصل بن تركي، وابنه الإمام عبدالله الذي تولى نجد بعد وفاة أبيه، وعندما حصل الاختلاف في نجد انقطعت عمان عن دفع الزكاة، وأشارت الصحيفة إلى أن الحاكم الحالي لنجد الأمير محمد بن رشيد يطالب عمان بدفع زكاتها المترتبة عليها إليه[٦٧].

ولخطورة الوضع وتسارع الأحداث أحال الباب العالي القضية إلى مجلس الوكلاء مدعمة ببرقيات الشيخ قاسم آل ثاني ووالي البصرة والخطابات الإلحاقية لوزير الداخلية، ومن الملحوظ أن برقية قائمقام قطر قد حملت كثيرًا من المبالغات، حيث ذكر أن شيخ أبو ظبي يستعد للهجوم على قطر مع جماعة كبيرة تقدر بنحو عشرين ألف رجل[٦٨].

لذا قام الباب العالي بتشكيل لجنة برئاسة منير باشا وزير الداخلية من أجل عمل مسح شامل لسواحل الخليج العربي[٦٩].

---

(٦٧) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.TKM 14/39، يتضمن ترجمة لصحيفة إطلاع الإيرانية الصادرة في ٢٩ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

(٦٨) الأرشيف العثماني تصنيف HR.TO 392/50، يتضمن برقية من الشيخ قاسم آل ثاني إلى الصدر الأعظم في ٣ شعبان ١٣٠٦هـ. وتصنيف MV. 42. Sy. 34، يتضمن محضر جلسة مجلس الوكلاء في ١٣ شعبان ١٣٠٦هـ.

(٦٩) الأرشيف العثماني تصنيف BEO. Basra Gelen Defteri.969. Sy. 30، يتضمن ملخص برقية من وزارة الداخلية إلى ولاية البصرة في شهر شعبان ١٣٠٦هـ.

وقد تمخض عمل هذه اللجنة عن إرسال برقية لولاية البصرة في ٥ شعبان ١٣٠٦هـ/ ٦ أبريل ١٨٨٩م تتضمن أوامر لعاكف باشا متصرف نجد لاتخاذ الإجراءات الضرورية وإحاطة إسطنبول بكل ما يستجد من تطورات[٧٠].

ومن الواضح أن الشيخ قاسم كان يريد الحصول على الاهتمام والدعم الكافيين من قبل السلطات العثمانية بإثارة مخاوفها، وهو الأمر الذي لم ينطل على مجلس الوكلاء بطبيعة الحال، لكن أعضاء المجلس الذين ناقشوا الموضوع في جلستهم بتاريخ ١٣ شعبان ١٣٠٦هـ/ ١٣ أبريل ١٨٨٩م أكدوا وجوب الحفاظ على قطر وعشائرها وفرض الأمن والاستقرار في المنطقة[٧١]، وبناءً على بعض المعطيات، ومنها عدم إمكانية تحريك العساكر العثمانية في ولاية البصرة ومتصرفية نجد من مواقعهم، وكذلك عدم توافر عدد كافٍ من الكتائب التابعة للجيش الهمايوني السادس؛ فقد قرر مجلس الوكلاء بخصوص هذه المسألة أن تشكل كتيبة جديدة من مجموع الكتائب الأخرى من نحو خمسمئة عسكري، وأن توفر الحكومة قطعتين من المدافع والمهمات العسكرية الأخرى ووضعها تحت تصرف متصرف نجد عاكف باشا، بحيث تستقل كل هذه العساكر والأسلحة السفينة العثمانية (زحاف) إلى قطر[٧٢].

(٧٠) الأرشيف العثماني تصنيف I.Mec.Mah 4699، يتضمن برقية من وزير الداخلية إلى ولاية البصرة في ٥ شعبان ١٣٠٦هـ.

(٧١) الوثيقة نفسها.

(٧٢) الوثيقة نفسها.

ويبدو أن خشية العثمانيين من وقوع مصادمات جديدة جعل جميع دوائرها تحاول تلافي حدوث المشكلات من جانب، والحفاظ على هيبة الدولة من جانب آخر؛ ولذلك فإن مرافق السلطان العثماني درويش باشا قد أبرق في منتصف شهر شعبان ١٣٠٦هـ/ أبريل ١٨٨٩م، إلى ولاية بغداد يستحثها على الإيعاز لمشيرية الجيش الهمايوني السادس للإدلاء برأيها حول التدابير الواجب اتخاذها من قبل الحكومة لمنع وقوع المشكلة، ولقد أشار كاتب السلطان العثماني ثريا باشا - في تعليقه على برقية درويش باشا - أن هذه البرقية تبين إرادة السلطان العثماني ورغبته[٧٣].

حاولت السلطات العثمانية كعادتها في مثل هذه الحالات أن تصور تهديد شيخ أبو ظبي لقائمقامية قطر كجزء من خطة بريطانية في المنطقة، وأن الشيخ زايد بن خليفة كغيره من شيوخ الخليج الآخرين يتآمر معهم للإضرار بالمصالح العليا للدولة العثمانية[٧٤]، وهي تهمة فشلت الحكومة العثمانية في إثباتها في كثير من الحالات، بل هي جزء من هرب العثمانيين عن مشكلاتهم المتفاقمة في أكثر من مكان.

---

(٧٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.BSK 15/59، يتضمن برقية من المرافق الشخصي للسلطان درويش باشا إلى ولاية بغداد في ٢٦ شعبان ١٣٠٦هـ.

(٧٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 14/78، يتضمن برقية من هدايت باشا والي البصرة إلى الكتابة الأولى للسلطان عبدالحميد الثاني في ٥ رمضان ١٣٠٦هـ.

أما الشيخ قاسم فقد يئس من تلقي الدعم من العثمانيين؛ لذا هاجم مشيخة أبو ظبي، ونتج عن هجومه هذا تكاتف أغلب شيوخ الساحل العماني وسلطنة مسقط مع الشيخ زايد، حيث انهالت المساعدات عليه، حيث تلقى دعمًا ماليًا من سلطان مسقط قدره خمسة آلاف ريال، كما قدم له السيد إبراهيم بن قيس بن عزان[٧٥] ألفي ريال؛ وذلك لإعداد الحملة ضد قطر. وحينما بلغت هذه الاستعدادات الشيخ قاسم بن ثاني؛ سارع بالكتابة إلى ابن رشيد يطلب منه المساعدة العاجلة والعون، لكن ابن رشيد رد عليه بأن الموسم موسم حج، وإذا ما انتهى الموسم فسوف يرسل العساكر مع إبل الحجاج و"يجعل زايد في وضع يرثى له"[٧٦].

وما إن أتم الشيخ زايد بن خليفة استعداداته بعد حصوله على الدعم والمساعدة؛ حتى هاجم قطر بقوة كبيرة تراوح تعدادها ما بين خمسة آلاف وعشرين ألف مقاتل، وذلك في شهر رمضان ١٣٠٦هـ/ مايو ١٨٨٩هـ، وقد استطاع الشيخ زايد تحقيق هدفه وهو الانتقام من الشيخ قاسم نتيجة هجومه السابق على أبو ظبي[٧٧].

(٧٥) إبراهيم بن قيس بن عزان البوسعيدي، كانت له إمارة الرستاق في عُمان، واستمر فيها إلى أن توفي في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م. العنقري، حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد، ص٢٠١.

(٧٦) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.UM 14/78، يتضمن برقية من هدايت باشا والي البصرة إلى الكتابة الأولى للسلطان عبدالحميد الثاني في ٥ رمضان ١٣٠٦هـ.

(٧٧) عرفت هذه الموقعة بموقعة القارة. الأرشيف العثماني تصنيف HR.TO 392/50، يتضمن برقية من الشيخ قاسم آل ثاني إلى الصدر =

وفي تحليل لأسباب الهجوم؛ أرجع وزير الداخلية العثماني في خطاب إلى السلطان أسباب هجوم الشيخ زايد إلى أفعال الشيخ قاسم وغاراته، وخشيته من استمرار مثل هذه الغارات، وأشار إلى أن أصابع البريطانيين خلف هذه الأحداث، وأن مقصدهم جر ابن رشيد للإقدام على مساعدة الشيخ قاسم ضد خصومه، وأن هجومهما معًا على عمان سيؤدي إلى حصول مشكلات سياسية للدولة التي هي في غنى عنها؛ لذا اقترح وجود سفينة حربية تكون قبالة قطر مع زيادة السريتين الموجودتين في قطر(٧٨). وهذا الرأي يمثل الاتجاه الثاني لدى إسطنبول، الذي يرى منع ابن رشيد من التعرض لأبو ظبي، خشية من وضع الدولة في موقف حرج تجاه النفوذ البريطاني بالمنطقة.

وعندما عين محمد عاكف باشا متصرفًا على لواء نجد في شهر جمادى الأولى ١٣٠٦هـ/ يناير ١٨٨٩م كتب لائحة قدمها إلى والي البصرة اقترح فيها التدابير الواجب اتخاذها من أجل تأييد الروابط السياسية والإدارية وتقويتها في ساحل البحرين ونجد والأحساء ونواحيها، وتثبيت الأمن فيها، وقد اشتملت اللائحة على ست مواد، وخصصت المادة

= الأعظم في ٣ شعبان ١٣٠٦هـ. وتصنيف Y.PRK.UM 14/78، يتضمن برقية من هدايت باشا والي البصرة إلى الكتابة الأولى للسلطان عبدالحميد الثاني في ٥ رمضان ١٣٠٦هـ. وتصنيف Y.EE 8/3، يتضمن تقريرًا من أحمد مظفر بك وسيد إسماعيل بك عن قطر في ١٢ ربيع الأول ١٣١١هـ.

(٧٨) الأرشيف العثماني تصنيف Y.MTV 40/23، يتضمن خطابًا من وزير الداخلية منير باشا إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٥ صفر ١٣٠٧هـ.

الثالثة لقائمقامية قطر، حيث طالب بزيادة عدد الموظفين في المواقع الحكومية هناك من أجل تحسين سير الإدارة فيها، وزيادة القوات العسكرية لحفظ الأمن فيها. أما عمان وسواحل عمان فقد تحدث عنها في المادة الرابعة وذكر أن الأمر مرهون بقضية الاستيلاء عليها وأن تحويلها إلى متصرفية يستلزم وجود خمسمئة من الهجانة وسريتين من الخيالة(٧٩).

وكان من ضمن تلك المقترحات قضية بناء مخافر عسكرية للدولة العثمانية في المنطقة(٨٠). وقد أغضب هذا الأمر البريطانيين، حيث أرسلت الحكومة البريطانية مذكرة

(٧٩) الأرشيف العثماني تصنيف I.Mec.Mah 4699، يتضمن لائحة بأحوال لواء نجد والأحساء وقطر ونواحيها في ٢٢ شوال ١٣٠٦هـ.

(٨٠) يضم الأرشيف العثماني تقارير عدة حول سيادة الباب العالي ومناطق نفوذه في الخليج العربي، ومعظم هذه الوثائق تندرج تحت تصنيف وزارة الخارجية/ القسم السياسي، وقد تم تنظيم هذه التقارير والتنسيق بينها، ثم قامت وزارة الخارجية العثمانية فيما بعد بإصدارها على شكل كتيبات لتوضيح وجهة نظر الدولة العثمانية عن بعض الأحداث في المناطق التابعة لها أو القريبة من حدودها، ويمكن الاطلاع على التقارير الآتية لمعرفة موقف الباب العالي من تلك الأحداث:

HR.SYS 93/16, 93/18, 93/19, 93/29, 94/4, 94/9, 94/12, 103/3, 104/10, 104/51, 108/15, 110/23, 114/38.

ومن هذه الكتيبات التي أصدرتها وزارة الخارجية مما يدخل في موضوع البحث ما يأتي: أغلو، فخر الدين روم بك ومحمد نابي: قطر سواحلي مسأله سي، وزارة الخارجية، إسطنبول، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م. أغلو، فخر الدين روم بك ومحمد نابي: بحرين آد الري مسأله سي، وزارة الخارجية، إسطنبول، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م. أغلو، فخر الدين روم بك ومحمد نابي: مسقط مسأله سي، وزارة الخارجية، =

دبلوماسية بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٠٨هـ/ ٢٢ مارس ١٨٩١م، معلنة أنها لن تغض الطرف عن قيام العثمانيين ببناء مخافر عسكرية في الزبارة وغيرها[٨١]، وقد تضمنت هذه المذكرة التي سلّمها السفير البريطاني بإسطنبول للباب العالي احتجاج بريطانيا بخصوص انتشار الشائعات التي ترددت حول اعتزام الحكومة العثمانية بناء مخافر عسكرية في المنطقة ومدى حقيقة ذلك، وأن الحكومة البريطانية لن تغض الطرف عن قيام الدولة العثمانية بالاستيلاء على منطقة تعد ضمن نطاق نفوذها[٨٢]، وخصوصًا أنه سبق للدولة العثمانية أن تعهدت على لسان وزير خارجيتها سرور باشا في ٣ شوال ١٢٨٨هـ/ ١٥ ديسمبر ١٨٧١م بعدم تعرضها شيوخ الساحل المستقلين[٨٣].

= إسطنبول، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م. صابان، سهيل: "الجزيرة العربية في أعمال مؤلفين عثمانيين مع ترجمتيهما"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ٣، ع ١، (المحرم-جمادى الآخرة ١٤١٨هـ)، ص٢٣٣-٢٣٧. وقد استخدمنا هنا كتاب قطر سواحلي مسأله سي؛ وسيشار إلى هذا المصدر اختصارًا فيما بعد بـ "المسألة القطرية"، علمًا أن لهذا الكتيب ترجمة عربية نشرت ضمن: العناني، المرجع السابق، ٢/ ١٥٩-١٦٨.

(٨١) الزبارة: بلدة ازدهرت في القرن الثاني عشر الهجري، تقع في شمال شبه جزيرة قطر، قبالة جزيرة البحرين. الجاسر، حمد بن محمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٢/ ٨٠٦.

(٨٢) المسألة القطرية، ص ٢.

(٨٣) الأرشيف العثماني تصنيف MV. 175. Sy. 25، يتضمن محضر جلسة مجلس الوكلاء في ٣ ربيع الثاني ١٣٣١هـ.

رد الباب العالي بمذكرة في ٥ ذي الحجة ١٣٠٨هـ/ ١١ يوليو ١٨٩١م، أشار فيها إلى أن الحكومة العثمانية لا تعلم شيئًا عن الاتفاقية التي وقعها البريطانيون مع شيخ أبو ظبي، وأنه ليس لها تأثير على الواقع(٨٤).

أغضب هذا الرد الحكومة البريطانية التي سارعت في ٢١ المحرم ١٣٠٩هـ/ ٢٦ أغسطس ١٨٩١م بالرد على مذكرة الباب العالي، وكررت الحكومة البريطانية ادعاءاتها السابقة، وأرفقت بتلك المذكرة نص الاتفاقية الموقعة في ٢٦ رجب ١٢٦٩هـ/ ٤ مايو ١٨٥٣م مع مشايخ رأس الخيمة وأبو ظبي ودبي وعجمان وأم القوين(٨٥).

لم يتعجل الباب العالي الرد على المذكرة البريطانية، وفضل التأني في إرسال مذكرته محاولاً تهدئة الجانب البريطاني، والبحث في سجلاته عما يدعم وجهة النظر العثمانية، حيث طلب الباب العالي من مستشاريه بحث هذا الموضوع، وقد رأى مستشارو الباب العالي أن الاتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع شيوخ الساحل لا تشكل مساسًا بحقوق السلطنة العثمانية، وأن ما قامت به بريطانيا هو عبارة عن توقيع اتفاقيات للمحافظة على السلم والصلح بين مشيخات الساحل، وأن هذه الاتفاقيات لا تخول لبريطانيا الاعتراض على الباب العالي في وضع مخافر عسكرية في المنطقة، وأن هذه الأماكن هي تحت إدارة السلطنة العثمانية منذ القدم حسب زعمهم(٨٦).

---

(٨٤) المسألة القطرية، ص ٣.

(٨٥) المصدر نفسه.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٤.

إثر هذه الاستشارة ردت الحكومة العثمانية في شهر جمادى الآخرة ١٣٠٩هـ/ يناير ١٨٩٢م على المذكرة البريطانية مؤكدة فيها ما جاء في مذكرتها السابقة، وأن على المقيم البريطاني في الخليج عدم تجاهل كون هذه المناطق تابعة لسيادة السلطان العثماني، وأنه يتعين على الموظفين البريطانيين تجنب التورط في أعمال الوساطة بين المشايخ في تلك المنطقة دون الحصول على موافقة مسبقة من الباب العالي، وأن قيام البريطانيين بتوقيع مثل هذه الاتفاقيات في ظل عدم علم الحكومة العثمانية لن يؤثر على حقوق السلطان العثماني في السيادة عليها، كما تذرع الباب العالي بأن تلك الاتفاقيات كانت مجرد اتفاقيات وقعت مع بعض المشايخ، وليس لها أثر على حق الحكومة العثمانية في بناء مخافر عسكرية في المنطقة[٨٧].

أدى تزعزع الأمن في المنطقة، وكثرة هجوم القبائل على المدن والقوافل التجارية إلى محاولة الأهالي رمي التهم على الآخرين، ففي ١٢ شوال ١٣٠٩هـ/ ٩ مايو ١٨٩٢م أثناء مرور قافلة تجارية ضخمة - تضم نفائس السلع ومبالغ مالية نقدية كبيرة تقدر بحوالي عشرين ألف ليرة ذهبية عثمانية، وبصحبتها كبار تجار الأحساء - بين العقير والهفوف هاجمتها مجموعة كبيرة من القبائل وصادرت هذه القافلة وقتلت مجموعة من كبار التجار، منهم عبدالعزيز بن فهد أحد كبار التجار في الأحساء، وقد أغضب هذا الهجوم تجار الأحساء، واتهموا السلطات العثمانية المحلية بالتقصير، ورفع ستة وعشرون تاجرًا منهم خطابًا مؤثرًا إلى السلطان

(٨٧) المصدر نفسه.

عبدالحميد الثاني في ٨ ذي القعدة ١٣٠٩هـ/ ٣ يونيو ١٨٩٢م اتهموا فيه أفرادًا من قبيلة المناصير، وأشاروا في خطابهم إلى وقوف الشيخ زايد بن خليفة خلف المهاجمين، وفي لهجة شديدة هددوا فيه بأنه إن لم تقم الدولة العثمانية باتخاذ إجراء رادع يعيد لهم ما نهب من أموالهم، ويوفر لهم الأمن فإنهم سيضطرون إلى ترك بلادهم والهجرة من أوطانهم مكرهين على ذلك(٨٨). ويبدو أن سبب اتهام التجار الشيخ زايد يرجع إلى أن قبيلة المناصير يعيش جزء كبير منها في أراضي مشيخة أبو ظبي، ويدينون بالولاء للشيخ زايد(٨٩). ومع ذلك فإن السلطات العثمانية في تقديرها للحادث لم تشر بالاتهام لمشيخة أبو ظبي، ورأت أن تقصير السلطات المحلية كان وراء حدوث ما حصل، وأن الأجدر اتخاذ تدابير فعلية لحفظ البلاد والأمن في المنطقة(٩٠).

السلطات العثمانية في تقديرها للحادث لم تشر بالاتهام لمشيخة أبو ظبي

وفي السياق ذاته ذكر والي البصرة في برقية مؤرخة في رجب من عام ١٣١١هـ/ يناير ١٨٩٤م أن الوكيل البريطاني في مسقط قد عرج على البحرين في طريقه إلى مكان

(٨٨) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 60/12، يتضمن خطابًا من تجار الأحساء إلى الصدارة العظمى في ٨ ذي القعدة ١٣٠٩هـ. وتصنيف I.ASK 1309/R-16، يتضمن خطابًا من تجار الأحساء إلى الصدارة العظمى في ٨ ذي القعدة ١٣٠٩هـ.

(٨٩) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 8/3، يتضمن تقريرًا من أحمد مظفر بك وسيد إسماعيل بك عن قطر في ١٢ ربيع الأول ١٣١١هـ.

(٩٠) الأرشيف العثماني تصنيف Y.A.Res 60/12، يتضمن قرار مجلس الوكلاء في ٢٤ المحرم ١٣١٠هـ. وتصنيف I.ASK 1309/R-16، يتضمن قرار مجلس الوكلاء في ٢٤ المحرم ١٣١٠هـ.

وظيفته قادمًا من بوشهر، حيث التقى في تلك الزيارة الخاطفة بابن شيخ أبو ظبي الذي كان موجودًا بالبحرين حينها، وأن الرجلين اجتمعا دون أن يذكر ما أسفر عنه ذلك الاجتماع، ثم يذكر بعد ذلك أن الوكيل البريطاني عرض على ابن الشيخ زايد مرافقته وهو متوجه إلى مسقط لكن هذا الأخير اعتذر عن قبول ذلك الاقتراح[٩١].

في عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، شهد شرق الجزيرة العربية نشاطًا ملحوظًا للأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي اتخذ من الواحات القريبة من الأحساء منطلقًا لكثير من الحملات التي أقلق بها السلطات العثمانية في الأحساء والبصرة، عدا إثارة حفيظة أمير نجد - آنذاك - ابن رشيد، ولقد أوكلت الحكومة العثمانية لقواتها وحلفائها في المنطقة تدبر أمر الأمير السعودي، ولذلك اقترح قائمقام قطر الشيخ قاسم آل ثاني على الحكومة العثمانية الاستعانة بالشيخ زايد والقبائل التابعة له، وأن الشيخ زايد قد أبدى موافقته على مساندة العثمانيين لولا تدخل القنصل الإنجليزي في بوشهر الذي أقنع شيخ أبو ظبي بعدم تقديم المساعدة لقائمقام قطر[٩٢].

من الواضح أن الرواية العثمانية السابقة تحتاج إلى وقفات عدة، الأولى: أن هنالك محاولة عثمانية مبكرة لاتهام الأمير عبدالعزيز آل سعود بارتباطه بالبريطانيين، من خلال نشاطه المتصاعد في المنطقة، بينما من الثابت أن البريطانيين لم يعيروا

(٩١) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.DH 7/37، يتضمن برقية من والي البصرة عن أحداث البحرين مؤرخة في شهر رجب ١٣١١هـ.

(٩٢) الأرشيف العثماني تصنيف HR.SYS 104/37، يتضمن برقية من محسن باشا والي البصرة إلى قيادة الأركان في ١٨ رجب ١٣١٨هـ.

الأمير السعودي أي اهتمام إلا بعد أن أخرج العثمانيين من الأحساء عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م حيث بدأوا في النظر في إمكانية الاتصال به وحماية مصالحهم، ولا سيما أن المؤشرات تدل على تخطيط بريطانيا السيطرة على المناطق التي كانت الدولة العثمانية تسيطر عليها، بما فيها الأحساء، من خلال توقيع الاتفاقية الإنجليزية العثمانية في عام ١٩١٤م، والثانية: هي العمل العثماني الدؤوب على تصوير شيخ أبو ظبي وبقية شيوخ الساحل المتصالح على أنهم موظفون بريطانيون يتلقون التعليمات من القنصل البريطاني في بوشهر، وعلى الرغم من الإقرار بأن هؤلاء الشيوخ قد فقدوا كثيرًا من صلاحياتهم بتوقيع معاهدات الحماية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن الصورة العثمانية للعلاقة بين الطرفين كانت تبالغ كثيرًا.

الوقفة الثالثة: هي في علاقة العثمانيين بالشيخ زايد، إذ تحول - في غضون سنوات - من خطر يتهدد قائمقامية قطر إلى حليف يقدم المساندة لها ضد أعدائها، وهو أمر يدعو للتساؤل عن تطور هذه العلاقة والمراحل التي مرت بها، ثم إن التبرير العثماني - كما يبدو لي - كان سطحيًا؛ إذ إن علاقة الشيخ زايد بالبريطانيين لم تتغير كثيرًا منذ كان الشيخ زايد يهدد قائمقامية قطر في مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[٩٣].

(٩٣) سبق أن وردت معلومات للعثمانيين عن تعاون مشترك بين شيخ قطر وشيخ أبو ظبي. الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ASK 98/43، يتضمن خطابًا أعده طبيب الكتيبة الثالثة بالآلية الثالثة والأربعين في الجيش السادس إلياس منصور في ٧ ذي القعدة ١٣١١هـ.

ومن خلال ما سبق يظهر أن رؤية العثمانيين للشيخ زايد غير واضحة، وكثيرًا ما كانوا يتخبطون في اتخاذ القرار؛ لذا كانوا يبحثون عن أفضل السبل لجذب شيخ أبوظبي إلى ناحيتهم.

أما البريطانيون فقد حاولوا استفزاز العثمانيين، فزار المقيم البريطاني في الخليج وبصحبته السيد فيصل بن تركي سلطان مسقط[٩٤] في نهاية عام ١٣٢٣هـ/ بداية عام ١٩٠٦م مشايخ الساحل في أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان، واقترح عليهم رفع العلم البريطاني على أراضيهم. لكن الشيخ زايد رفض ذلك، ولم يقبل عرض المقيم البريطاني. أما الحكومة العثمانية فإنها اتبعت سياسة حذرة تجاه التصرفات البريطانية، آخذة بتوصية من وزير خارجيتها الذي يرى أن بريطانيا قد وقّعت مع شيوخ الساحل اتفاقية الصلح الدائم في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م، وبموجبها أسست نوعًا من الحماية تفرض على هؤلاء الشيوخ مراجعة بريطانيا في حل مشكلاتهم الداخلية، وتمنعهم بها من توقيع أي اتفاقية مع أطراف أخرى غير بريطانيا، فإنه - والحالة هذه - لابد من التصرف بحكمة وحذر حيال هذا الموضوع[٩٥].

---

(٩٤) في الوثيقة ورد أن لقبه إمام، لأن الوثائق العثمانية لا تطلق على سلطان مسقط اسم سلطان؛ وإنما تشير إليه بلقب إمام، إذ إن العثمانيين لا يعترفون بالسلطنة وألقاب السلطان إلا للسلاطين العثمانيين فقط.

(٩٥) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 192674، يتضمن تقريرًا من توفيق باشا وزير الخارجية إلى الصدر الأعظم في ١١ ربيع الأول ١٣٢٣هـ.

ومن الواضح أن الحكومة العثمانية كانت عاجزة عن التصرف أمام النفوذ البريطاني في المنطقة؛ وخصوصًا أنها - أي إمارة أبو ظبي - خارج دائرة نفوذها وتأثيرها، والموقف الوحيد الذي قامت به الحكومة العثمانية هي توجيه التعليمات لموظفيها في المنطقة بتوخي الحذر والحكمة في مساعيهم لكسب ود مشايخ هذه المنطقة، مع عدم السماح بعمليات نقل أسلحة قد تتسرب إلى نجد والبصرة[٩٦].

أما محاولات السعي للتقريب بين الدولة العثمانية وشيوخ الساحل، فقد سعى بها محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة، الذي اقترح وسائل عدة لكسب قلوب أهالي الساحل إلى جانب الدولة العثمانية، منها ما ذكره في خطاب أرسله إلى أحمد باشا عزت العابد[٩٧] في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ/ ٣ يناير ١٩٠٨م أشار فيه إلى أن أهالي البر

(٩٦) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 208506، يتضمن تقريرًا عن تحركات البريطانيين في الخليج في ٥ المحرم ١٣٢٤هـ.

(٩٧) أحمد باشا عزت بن محيي الدين أبي الهول العابد، من أمراء المشارفة في بادية الشام، ولد عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، وتعلم في دمشق وبيروت، وتعين في الوظائف الحكومية، واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني؛ فجعله سكرتيرًا وكاتبًا خاصًا له، واستمر على ذلك إلى قيام الانقلاب العثماني في ٢٤ جمادى الآخرة عام ١٣٢٦هـ/ ٢٣ يوليو ١٩٠٨م، فغادر إسطنبول متوجهًا إلى الدول الغربية، وتنقل بينها وبين مصر حتى توفي فيها عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م. طرازي، الفيكونت فيليب: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣م، ٢/٢١٥-٢٢١. الحكيم، يوسف: سورية والعهد العثماني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص٥٧-٥٩،١٧٠-١٧١. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م،١/١٦٩-١٧٠.

والبحر في الخليج العربي هم من أهل السنة والجماعة، وأن لهم رغبة أكيدة في الدخول تحت لواء الدولة العثمانية، ورفع العلم العثماني فيها، وما منعهم إلا عدم وصول السفن العثمانية في الخليج إلى مناطقهم؛ ما دفعهم إلى الدخول ضمن النفوذ البريطاني، مع أنهم ليس لديهم رغبة في التدخل البريطاني في شؤونهم، ولا يرغبون في رفع الأعلام الأجنبية، لكن الضغوط الشديدة عليهم من البريطانيين تجعلهم يرضخون لهذه الضغوط.

وبعد أن أطال القنصل في شرح هذه الأمور، اقترح أمورًا عدة، منها منح شيوخ أبو ظبي نياشين عثمانية[٩٨]، بحيث يوجه النيشان العثماني من الدرجة الثالثة إلى الشيخ زايد بن خليفة شيخ أبو ظبي، كما طلب توجيه النيشان العثماني من الدرجة الرابعة إلى عدد من أبنائه وهم: الشيخ خليفة بن زايد[٩٩]،

(٩٨) النيشان العثماني أنشأه السلطان عبدالعزيز (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م) في ٦ جمادى الآخرة ١٢٧٨هـ/ ٨ ديسمبر ١٨٦١م، وهو مثمن الشكل، نقش في وسطه هلال وعبارة "المستند بالتوفيقات الربانية عبدالعزيز خان ملك الدولة العثمانية"، وهو يتكون في الأصل من أربع درجات، أضيف إليها درجة؛ فأصبح من خمس درجات، ولا يمنح هذا النيشان إلا لمن سبق له الحصول على النيشان المجيدي. وللاستزادة عنه وطبقاته وكيفية منحه، انظر: جلاد، فيليب: قاموس الإدارة والقضاء، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٨٩١م، ٤/ ٦٢٢، ٦/ ٩٦٨-٩٧٠.

(٩٩) الشيخ خليفة بن زايد بن خليفة: أكبر أبناء الشيخ زايد، وكان المرشح بعده لتولي المشيخة، لكنه رفض وفضل التنازل عنها لأخيه الشيخ طحنون. مايترا، جوينتي وعفراء الحجي: قصر الحصن تاريخ حكام أبوظبي (١٧٩٣-١٩٦٦م)، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٤.

والشيخ طحنون بن زايد[١٠٠]، والشيخ حمدان بن زايد[١٠١]، والشيخ صقر بن زايد[١٠٢].

كما اقترح القنصل توجيه النيشان العثماني من الدرجة الثالثة إلى عدد من أعيان مدينة أبو ظبي، منهم الشيخ خلف العتيبة[١٠٣]، وتوجيه النيشان العثماني من الدرجة الرابعة لابنه الشيخ أحمد بن خلف العتيبة[١٠٤].

ورغم محاولات العثمانيين اتباع أساليب سياسية مختلفة مع شيوخ الساحل تباينت بين الشدة والتهدئة واللطافة، إلا أن محاولاتهم لم تفلح، وقد حاولوا اتباع سياسة دينية، مثل:

(١٠٠) الشيخ طحنون بن زايد بن خليفة: شيخ أبو ظبي، تولى عليها بعد وفاة والده عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، واستمر إلى وفاته عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م. مايترا، المرجع السابق، ص ٢٠٤-٢٠٦.

(١٠١) الشيخ حمدان بن زايد بن خليفة: شيخ أبو ظبي، تولى عليها بعد وفاة أخيه الشيخ طحنون عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، واستمر إلى اغتياله على يد أخيه الشيخ سلطان عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م. مايترا، المرجع السابق، ص ٢٠٦-٢٢٦.

(١٠٢) الشيخ صقر بن زايد بن خليفة: شيخ أبو ظبي، تولى عليها بعد اغتيال أخيه الشيخ سلطان عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، واستمر إلى اغتياله عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م. مايترا، المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(١٠٣) الشيخ خلف بن عبدالله العتيبة: ولد في أبوظبي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م وبها نشأ، زاول تجارة اللؤلؤ، وأصبح من أشهر تجارها في الخليج العربي، له دور في الحركة التعليمية في أبو ظبي، توفي في منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ منتصف القرن العشرين الميلادي. الطابور، عبدالله: رجال في تاريخ الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢/ ١١٧-١٣٧.

(١٠٤) الأرشيف العثماني تصنيف Y.PRK.ESA 51/75، يتضمن خطابا من محمد بن عبدالله الخاجا القنصل العثماني بمدينة لنجة إلى أحمد باشا عزت العابد السكرتير الثاني للسلطان في ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٥هـ.

الحث على الدخول في طاعة أمير المؤمنين، وتبيين فضل الجماعة، والتحذير من الخروج عليه، إلا أن البريطانيين كافحوا هذه السياسة ونجحوا في إفشالها.

وقد أوجز سليمان شفيق باشا والي البصرة وعبدالرحمن إلياس المدني وخليل خالد بك وعمر فوزي بك سياسة الدولة العثمانية وقارنوها بسياسة بريطانيا، وخلصوا إلى أن البريطانيين يعملون بدأب شديد في الخليج العربي، ويقدمون الهدايا والأعطيات للوصول إلى مأربهم، بينما مسؤولو الدولة العثمانية أهملوا هذه المنطقة ولم يبذلوا أي شيء لأجل مد النفوذ العثماني إليها[١٠٥].

وعلى الرغم من ذلك حرص العثمانيون على توخي الحذر والحكمة في التعامل مع أحداث المنطقة، لكن الأمور لم تسر حسب ما أرادوا، إذ تأزمت العلاقات بينهم وبين الشيخ قاسم مرات عدة، لعل من أبرزها الحادثة التي عرفت بحادثة حجر بريمان[١٠٦]، إذ هاجمت بعض القبائل بمساندة من الشيخ قاسم بعض الجنود العثمانيين، وقد أشار وكيل قائد الفرقة العسكرية بمتصرفية نجد حقي بك أن تلك القبائل ومنها

---

(١٠٥) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 8/7، يتضمن تقريرًا كتبه خليل خالد بك وكيل السفير العثماني بلندن في ١٩ شوال ١٣١٥هـ. وتصنيف Y.EE.KP 86-33/3259، يتضمن تقريرًا كتبه عبدالرحمن بن أحمد إلياس المدني في ٩ شوال ١٣٢٦هـ. وتصنيف /DH.KMS 2 2-2، يتضمن برقية من عمر فوزي بك إلى وزير الحربية في ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ. والتصنيف نفسه، يتضمن برقية من سليمان شفيق باشا إلى وزير الداخلية في ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ.

(١٠٦) بريمان: منهل يقع بين العقير والهفوف، على بعد ١٤ ميلاً في الجنوب الغربي من العقير. الجاسر، المرجع السابق، ٢/ ٨٠٦.

قبيلة المناصير التابعة لمشيخة أبو ظبي لم تقدم على ما فعلته إلا بتوجيه من الشيخ قاسم والشيخ زايد[١٠٧]، ورغم أن حقي بك وجه أصابع الاتهام بشكل شبه كامل لقائمقام قطر؛ إلا أنه أشار إلى أن لمشيخة أبو ظبي دورًا في ذلك، وهو أمر يدعو للتساؤل عن هذا التحول في العلاقة بين الشيخ قاسم والشيخ زايد من الصدام إلى الوئام، ومن خطر يتهدد قائمقامية قطر إلى حليف يقدم المساندة لها ضد أعدائها، وهو أمر يدعو إلى التوقف عنده طويلاً، حيث إن العلاقة بين الطرفين لم تتغير، وهو ما يدعو إلى الشك في مصداقية بعض الوثائق العثمانية، التي يكون مصدرها مستقى من مصدر غير موثوق به، إنما لأجل تبرير الحادث بطريقة لا تغضب السلطات العثمانية العليا على كاتب التقرير.

شكل عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م منعطفًا في تاريخ الخليج العربي، وذلك بدخول الدولة العثمانية مع بريطانيا في مفاوضات سياسية لأجل التوصل إلى صيغة نهائية يتم فيها تحديد مناطق نفوذ كل منهما في الجزيرة العربية، ولذا فقد جندت الدولة العثمانية جميع الإمكانات والجهود لأجل هذا الموضوع، وكان من ضمنها سعي سفير الدولة العثمانية في لندن للاطلاع على جميع الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ سواحل الخليج العربي وزعمائه، حيث تمكن السفير من نقل صور عن هذه الاتفاقيات من وزارة الهند في وايتهول بلندن، والتي منها: اتفاقية السلم العام في عام

---

(١٠٧) الأرشيف العثماني تصنيف BEO 268914، يتضمن تقريرًا من حقي بك وكيل قائد نجد إلى ولاية البصرة في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ.

١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م، واتفاقية تفتيش السفن التي تنقل وتبيع الرقيق في عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، واتفاقية مصادرة السفن التي تنقل وتبيع الرقيق في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، واتفاقية الهدنة البحرية الثانية في عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، واتفاقية منع تجارة الرقيق في عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، واتفاقية الصلح الدائم في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م، واتفاقية إلغاء تجارة الرقيق في عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، واتفاقية المحافظة على خطوط وأعمدة التلغراف في عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م، وتعهد شيخ أبو ظبي بالمحافظة على عدم الإخلال بالأمن البحري في عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، كما تعهد شيخ أبوظبي بإلغاء تجارة الرقيق في عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، واتفاقية الحماية في عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، واتفاقية نزع السلاح في عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، وجميع هذه الاتفاقيات وقعها شيخ أبو ظبي(١٠٨).

وأثناء إجراء الدولة العثمانية مباحثات سياسية مع بريطانيا، كانت في الوقت نفسه تجري اتصالات بالأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود للوصول معه إلى اتفاقية لتنظيم العلاقة معه، والتوصل إلى صيغة مناسبة للتفاهم حول وضع النفوذ العثماني في المنطقة(١٠٩)، وقد شكلت الدولة العثمانية وفدًا للتباحث مع الأمير عبدالعزيز تكون من سليمان شفيق باشا وطالب النقيب وعمر فوزي بك، وقد

---

(١٠٨) الأرشيف العثماني تصنيف HR.SYS 110/23، يتضمن مجموعة الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ ساحل الخليج العربي.

(١٠٩) للاطلاع على تفاصيل المحادثات بين الملك عبدالعزيز والسلطات العثمانية في الصبيحية، انظر: الجابري، مستور محسن: علاقة آل سعود بالدولة العثمانية (١٣٠٩-١٣٣٧هـ/١٨٩١-١٩١٨م)، رسالة =

التقى الأخير مع الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت، وجرى لقاء بينهما، أوضحه عمر فوزي في برقية أرسلها إلى وزارة الحربية العثمانية، ذكر فيها أن الشيخ مبارك نصحه بعقد اتفاقية مع الأمير عبدالعزيز؛ لقوته المتنامية وسيطرته على كثير من المناطق. ولذلك تمكن الأمير عبدالعزيز من توقيع اتفاقية الصبيحية التي مكنته من استعادة المناطق التابعة للدولة السعودية(١١٠).

وأخيرًا ... فإن الوثائق العثمانية تقدم رؤية جديدة للأحداث، هي رؤية الباب العالي وتوجيهاته لمقاومة النفوذ البريطاني في المنطقة، وتسهم - حينما تتكامل لدى الباحث مع الوثائق البريطانية - في التوصل إلى تفسيرات جديدة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث تختلف الوثائق البريطانية في مجملها عن الوثائق العثمانية المعاصرة

= دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١٩٧- ٢٠٠. السبيعي، عبد الله الناصر: التصدي السعودي للحكم العثماني للأحساء والقطيف ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م. دراسة وثائقية، الرياض، ١٩٩٩م. آل سعود، خالد بن ثنيان: العلاقات السعودية البريطانية (١٣٤١- ١٣٥١هـ/ ١٩٢٢- ١٩٣٢م) دراسة وثائقية، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥. القحطاني، سعيد بن محمد بن مفرح: سياسة الدولة العثمانية تجاه الملك عبدالعزيز في ضوء المصادر العثمانية (١٣١٩-١٣٣٦هـ / ١٩٠٢-١٩١٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٢٩-١٩٨.

Goldberg, Jacob: The 1914 Saudi - Ottoman Treaty - My the or Reality?, Jurnal of Comtemporary History, 289-314.

(١١٠) الأرشيف العثماني تصنيف DH.KMS 2/2-2، يتضمن برقية من عمر فوزي بك إلى وزير الحربية في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ.

لها - في هذه المنطقة - واعتمادها على سياسة معينة صاغتها المؤسسات البريطانية التي التزمت بتحقيق الأهداف الواضحة لها، أما الوثائق العثمانية فهي تمثل ردود الأفعال لدى العثمانيين تجاه النفوذ البريطاني، وهي في مجملها تعكس أهدافًا شخصية - بشكل عام - لكاتبها، وتمثل صورة لتخبط السياسة العثمانية في سنواتها الأخيرة، ولذا فإن على الباحث الرجوع إلى الوثائق العثمانية على الرغم مما يكتنفها من سلبيات ومبالغات، وعدم الاكتفاء بوجهة نظر واحدة، والنظر بشمولية لجميع وجهات النظر من أجل الخروج برؤية أكثر وضوحًا للواقع التاريخي في المنطقة.

الملاحق

نماذج من الوثائق العثمانية المستخدمة في الدراسة

٥٠

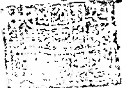
٥٨

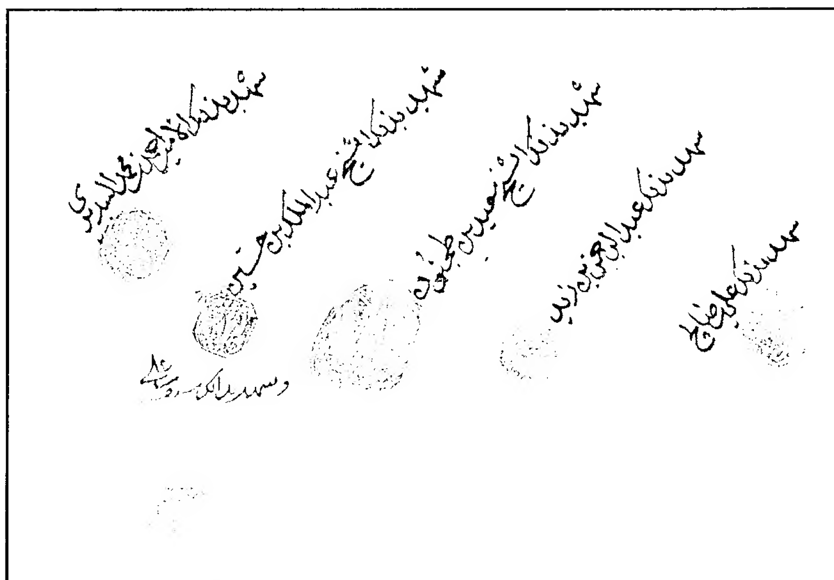
قطر حادثه سنك اسباب وصورت وقوعى

قطر وقعه سنك اسباب وصورت وقوعى حقنده قطرده اجرا ايديلن تحقيقات و وقوعبولان مستنبطات
موتوقفه كمال (?) نظراً بصره والئ سابقى حافظ محمد پاشا نجد حواليسنده شقاوتك ازاله سى وامنيت
وآسايشك استقرار واعاده سى ايچون ايكيوز كسور نفردن مركب اوردو ايله اوبيريجى نشانجى طابورى قاقنده (?)
اولديغى حالده نجد سنجاغنه (?) نجده عزيمت ايدرك اتخاذ ايلديكى بعض تدابير انضباطيه ايله بسنه التى ماه ظرفنده
حوالئ مذكورهنك آسايشنى اعاده يه موفق اولمش ايسه ده شقاوت مذكورهنك اصل محرك ومشوقلرى
قطر قضاسى قائممقامى شيخ جاسم اولديغى و بورده ابوشهرده بولنان سابق انكليز قونسلوسى ايله مومى اليه
بينده بولنان ايكى نجدهسنه (?) اول تنظيم ايدلمش انكليزلرك مداخلهلرينه قپو آچمش اولديغى قطر ونجد حواليسنه
جاسمك تحريكات متماديه اجرا ايتمش حقنده بعض مواد مضره يى متضمن اولهرق امضا النسه (?) اولديغى بعضا وبونده
ومومى اليه شيخك مرحوم قونسلوس ايله ابوشهرده مقيم حاجى احمد الكبابى وقطيف قصبهسنك قائممقامى
تاروت اطرافنده دارين نام قريه ده ساكن محمد بن عبد الوهاب نام كسهلرك معاونت ووساطتلريله
كرك عشاير وعربانه مقتضى اسلحه ومهمات حربيه يى وقبيله تدارك واستحضار برله داعيهء تفرده دوشمكه
نشئات ايلديكى وشيخ جاسمك برقاچ سنه دنبرو قضانك هر درلو رسوم وتجارتنى كندوسنه حصر ايله
معيته اولان دكوس ديرمديكى وايكى سنه اول عربانك باشنه طوپليهرق حقوق قصبهسنى تضييع و
اداره قضايى تشكيل مقصديله قطره كوندريلان مأموريه اهميت ديرميهرك تشكيلاتى تأخير ايتديكى ومجبرا
ايله حقوق آره سنده بربوك قافلهيى اوره ديرديغى خبر آلنمش اوزرينه هم نفسه تحقيقات اوجهتلرك
آسايشنى اعاده ايتمك وهم ده مرحوم قونسلوسك القاآت مفسدانهسنه قارشو تدابير جديه
اتخاذ ايلمك اوزره بيكباشى يوسف افنديك تحت قوماندهسنده بولنان مذكور نشانجى طابورى
وطابور آغاسى فارس آغا قوماندهسنده كى بوز نفر ضبطيه واللى نفر عقيل سواريسى ايله حقوقدن
حركت وشباطك اونده رديجى كونى قطره مواصلت ايدوب شيخ جاسمك پاره قوتيله الده
ايتمش اولديغى المناصير عشيرتندن و بنى هاجر عشيرتنك برمقدار سباه عشاير سائرهدن مركب درت
بيشيوز قدر عربانك باشنده اولديغى حالده برماه مقدم چوله چكلديكى خبر ويرلمسندن ناشى عشاير
مذكورهيى طاغيده رق كلوب عرض اطاعت ودخالت ايتمسى حقنده حافظ پاشانك مومى اليه
وقوعبولان تأمينات ونصايحنه قارشو شيخ جاسم دولته مطيع وصادق اولديغى وشو قدر كه دعوت
واقعهيه اجابت ايدهمهجكنى ووالى پاشا عسكريله بورادن قالقوب كيدهجك اولديغى تقديرده
كندوسنه هديه اولهرق اوندبيك ليره اعطا و وقوعبولهجق بالجمله تكليفات ومطالباتى تسويه و
اجرا ايلهجكنى متعلقاتندن شيخ خالد آل ثانى ايله بلدير مسى اوزرينه حافظ پاشا تكليفات واقعهيى رد
ايله شيخ جاسمدن — باشنده كى عربانى طاغيده رق كلوب عرض اطاعت ودخالت ايتمسندن بشقه —
برشى طلب اولنمديغى وكندوسى دولتك بر قائممقامى اولديغندن بلاخوف نزدينه كلمسنى ودعاسنه
بولنديغى اطاعت وعبوديتى بو وجهله اثبات ايتمسى افهام ايلهكله منسوبيندن اولوب اول اثناده عسكرا
حافظ پاشانك نزدينه كلانلر پاشاى مشار اليهك سوزينه اعتماد ايتمسى لزومنده بحثله شيخ
جاسمى بو خصوصده اقناعه قالقشمش اوزرينه شيخ جاسم « حافظ پاشانك فكر ونيتى كندوسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أما
بعد فالذي صار عليه القرار والصلح والعهد فيما يصلح ذات المسلمين بين هلال
بن محمد وعبدالله بن الإمام فيصل بن تركي هلال أهل عمان بني سعيد وعبدالله عن الإمام
فيصل وصار العهد بينهما على طاعة الله وسنة رسوله وعلى النصح والصداقة وأن
يكون الخصيم والصديق واحد وعلى المعاصبة فيما يخص الطرفين من اللوازم والمناصره
وشروط هذا الصلح الجديد على ما كان عليه السابق من [illegible]
الى [illegible] الجذر [illegible] وباطنه ومجرى البادية وما اشتمل عليه من وادي حتى الى وادي
[illegible] ابن سعود على حسب ما سبق وبني علي وبني [illegible] كلها [illegible]
[illegible] بني سعيد ومن الجنوب [illegible] ساحل جعلان [illegible]
[illegible] بني سعيد [illegible] على هذا الشرط في كل حول اثني عشر الف ريال
للإمام فيصل بن تركي على كل سنة تجب [illegible] اليه [illegible]
[illegible] في [illegible] كل سنة [illegible] شيئا [illegible]
[illegible] فهو في ذمة الإمام فيصل بن تركي يلزمه الرجوع والقوم [illegible]
وصار ذلك القرار على حضرة الشيخ العالم الفقيه عبد الملك بن حسين والأمير
أحمد بن [illegible] عبد الرحمن [illegible] بن علي وناصر بن
[illegible] خير الشاهدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
حرر تمام رجب ١٢٦٩ [illegible] هلال [illegible]





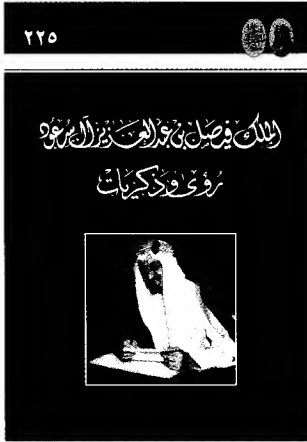
الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود

رؤى وذكريات

تحرير

د. فهد بن عبدالله السماري

١٧٣ صفحة



يضم الكتاب مختارات من شذرات أقلام، كتبت بمداد الوفاء دراسات وخواطر وذكريات وانطباعات عن الملك فيصل أسكنه الله فسيح جناته، نشرت متفرقة في دوريات مختلفة، ودعت الأهمية إلى جمعها ونشرها متوافقة مع انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل، لكونها تشكل أفقا واسعا يمكن أن تنطلق منه دراسات تثري المكتبة التاريخية المتعلقة بالملك فيصل رحمه الله.

وقد تميزت هذه المقالات والدراسات والخواطر بغنى المعنى بعبارات تجسد المحبة التي يكنها أولئك الكتاب للملك فيصل رحمه الله، ونظرتهم العميقة إلى سياساته الموفقة على الصعيد الداخلي والمستوى الخارجي، ونقلهم الصادق لبعض من مواقفه التاريخية، وحديثهم الشيق عن جوانب من شخصيته الفذة التي حازت إعجاب الكثيرين.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

ابن حمزة الجزائري (ق. ١٠هـ/١٦م)
مدرّس الرياضيات في مكة المكرمة

أ. د. أبو بكر خالد سعد الله

قسم الرياضيات - المدرسة العليا للأساتذة - القبة - الجزائر

كثير هم علماء الدين والفكر والأدب الذين قصدوا الحجاز، بعد ظهور الإسلام، لأداء فريضة الحج. وهناك من الغرب الإسلامي عدد كبير من هؤلاء الرجال الذين اتجهوا شرقا لنيل العلم في مصر والشام والجزيرة العربية حتى انتهى بهم المطاف في مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء المناسك الدينية، ثم قفلوا عائدين إلى ذويهم في المغرب العربي الكبير والأندلس. لكن أغلبهم كانوا وثيقي الصلة بالعلوم الإنسانية، ولا سيما الدينية والشرعية، بعيدين عن مسائل الرياضيات الجافة والعلوم المجردة.

ورغم ذلك يمكن أن نجد بعض الاستثناءات لهذه القاعدة. دعنا نذكر بعضا منها، على سبيل المثال لا الحصر، ولنكتف بالعلماء الأربعة الآتية أسماؤهم:

الرياضي أبو الحسن علي بن محمد على القرشي البسطي، الشهير بالقلصادي (المولود بالأندلس عام ٨١٠هـ/١٤٦٢م والمتوفى بتونس عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م) الذي

يعد أشهر رياضيي القرن التاسع الهجري في الغرب الإسلامي. وقد لقّبه بعضهم بـ"الفقيه والأستاذ العالم المتفنّن". وكان القلصادي قد رحل إلى المشرق والتقى بعلمائه واستفاد منهم وأفاد، واتجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى غرناطة. ومن المعلوم أن القلصادي أبدع أيما إبداع في نظرية الأعداد، ومن أشهر مؤلفاته "كشف الأسرار عن علم الغبار".

ويمكن أن نذكر أيضا الرياضي والفلكي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان الفاسي، الشهير بالروداني، الذي ولد بالمغرب الأقصى عام ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م. وبعد أن تعلم وذاع صيته في بلاد مراكش سافر إلى المشرق وأخذ من علماء مصر والشام، وقام بفريضة الحج وجاور المدينة المنورة. وقد توفي بالشام عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م. ومن كتبه المعروفة هناك "بهجة الطلاب في الإسطرلاب" و"تحفة أولي الألباب في العمل بالإسطرلاب".

ولا شك أن أبا الحكم عمر بن عبدالرحمن بن أحمد بن علي الكرماني (المتوفي بسرقسطة عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) جدير أيضا بالذكر. فهو من رياضيي قرطبة المتضلعين في الهندسة والحساب[١]. وقد سافر إلى المشرق وانتهى به المطاف في الجزيرة العربية، واهتم هناك بالهندسة والطب ثم رجع إلى موطنه الأندلس.

---

(١) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيرون، ١٩٨٥، ص. ١٧١-١٧٢.

وهناك من الجزائر الرياضي الشهير أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الآبلي (٦٨١هـ/١٢٨٠م-٧٥٧هـ/١٣٥٦م) المولود بمدينة تلمسان (غرب الجزائر)، وأصله من آبلة بالأندلس، وهو من شيوخ العلامة ابن خلدون. وفي عام ٧٠٠هـ/١٣٠٢م فرّ من تلمسان - إثر حصارها من قبل جيش بني مرين - متجها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وأقام بمصر ثم عاد إلى مسقط رأسه بعد أن استتب الأمن بتلمسان.

ومن الملحوظ أن هؤلاء الرياضيين المغاربة زاروا الحجاز دون أن يمكثوا هناك طويلا. أما الرياضي ابن حمزة الجزائري الذي يهمّنا هنا فقد سافر إلى مكة المكرمة عاقدا العزم على الإقامة فيها إقامة دائمة، وراح يدرّس الرياضيات في حرمها المكي ... وقد وافته المنية بتلك البقاع المقدسة.

من هو ابن حمزة؟

هو علي بن والي، المعروف بابن حمزة الجزائري (المغربي)[٢]، ولم يحدد المؤرخون تاريخ ولادته ولا وفاته بدقة. لكنهم متفقون على أنه من مشاهير علماء الرياضيات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. وقد ولد ونشأ ابن حمزة بالجزائر العاصمة، وهو من أب جزائري وأم تركية. وحرص والده على تعليمه طوال فترة الطفولة فتعلم القرآن والحديث مظهرًا منذ ريعان شبابه موهبة خاصة في الرياضيات[٣].

(2) Lamrabet D. : Introduction à l'histoire des mathématiques maghrébines, Imp. Al -Maarif Al-Jadida, Rabat, 1994, p.143.

(٣) بوعمران، الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، ١٩٩٥، ص. ١٧١-١٧٣.

وعند بلوغه سن العشرين لم يجد الوالد بالجزائر أساتذة قادرين على تعليم ابنه فقرّر إرساله إلى إسطنبول عند أسرة والدته حتى يتمكّن من مواصلة دراسته. ويُذْكر أن ابن حمزة عُرف آنذاك بحسن السيرة والسلوك. واتجه بعد ذلك إلى تدرِيس الرياضيات للأتراك وللقادمين إلى إسطنبول من أبناء العثمانيين المنتشرين خارج تركيا، ثم سرعان ما ذاع صيته والتحق، في اسطنبول، بديوان المال في قصر السلطان العثماني ليتولى شؤون الحسابات.

وقد لقب ابن حمزة بـ"النسّاب" لأنه كان يعمل وفق مبدأ "الأمانة العلمية" المعمول به اليوم في مجال البحوث والدراسات، فينسب كل عمل يلجأ إليه في أعماله الرياضية إلى صاحبه. وفي هذا السياق نجده يشيد بمن نقل عنهم، مثل سنان بن الفتح الحراني الحاسب (أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، وعلي بن عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري (توفي ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩)، وأبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن الهائم (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م-٨١٥هـ/١٤١٢م)، وأبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن غازي المكناسي المغربي (٨٥٨هـ/١٤٥٦م-٩١٩هـ/ ١٥١٣م)، وعماد الدين يحيى بن أحمد الكاشي (توفي عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ، و نصير الدين الطوسي (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م-٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م)، وأبو الحسن على بن أحمد النسوي (نحو ١٠٣٠م)، إلخ.

رحيله إلى مكة المكرمة

ظل ابن حمزة في منصبه بإسطنبول حتى علِم بوفاة والده الذي كان يقيم بالجزائر، فرحل إلى مسقط رأسه لرعاية والدته. وفي الجزائر عمل ابن حمزة في متاجر أبيه، فكان يؤجرها لصغار التجار. لكنه سرعان ما باعها ... وباع معها البيت الذي كان يسكنه بعد أن قرّر الرحيل برفقة والدته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والإقامة بجوار الحرم المكي.

وهكذا كان ابن حمزة يقوم في الحجاز بتدريس علم الحساب للحُجّاج القادمين إلى مكة المكرمة. فذاع صيته حيث كان يركّز على المسائل الحسابية ذات العلاقة بما يحتاجه الناس في حياتهم اليومية، ومنها مسائل الميراث ونحوها. ويُرْوى أنه سئل ذات مرة عن قضية ميراث - عرفت فيما بعد بالمسألة المكيّة، وهي التي سنقدمها أدناه - من قِبل أحد الحجاج الهنود أعيت الرياضيين بالهند دون أن يجدوا لها حلا. لكن ابن حمزة تمكّن من حلّها مقدما تفاصيلها في جدول يبيّن نصيب كل وريث. ولمّا بلغ الوالي العثماني بمكة - في عهد السلطان مراد خان بن سليم خان - حلّ هذه المسألة، طلب منه أن يعمل في ديوان المال بمكة، فوافق ابن حمزة ومكث في هذا المنصب نحو خمسة عشر عاما.

ابن حمزة واللوغاريتمات

اهتم ابن حمزة اهتماما بالغا بما يعرف في الرياضيات بالمتواليات (أو المتتاليات) الهندسية والحسابية والربط

بين هاتين الفئتين من المتواليات(٤)، فقادته أبحاثه في هذا المجال إلى وضع أسس ما يعرف اليوم باللوغريتمات. وقد صبّ تلك الأفكار الأصيلة في كتابه الشهير" تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد" الذي ألّفه في مكة المكرمة باللغة التركية.

وحتى نبسّط مضمون الفكرة الأصيلة التي أتى بها ابن حمزة ودورها في هذا المجال، نذكّر أن هناك عمليات حسابية أربع في الرياضيات، هي الجمع والطرح والضرب والقسمة. ويضطر الرياضيون إلى الانتقال من عملية إلى أخرى خلال إجراء حساباتهم المختلفة. ولذا لا بد من إيجاد معابر ننتقل بواسطتها من عملية إلى أخرى دون الكثير من العناء. وقد استطاع واضعو الجبر أن يفتحوا معبرا للانتقال من الجمع إلى الطرح ومن الضرب إلى القسمة. لكن ظل الانتقال من الضرب إلى الجمع، ومن القسمة إلى الطرح غير متوفر. وكان سنان بن الفتح قد فتح هذا الباب، قبل ابن حمزة، في كتاب حول "الجمع والتفريق" حيث تناول موضوع الانتقال من الضرب والقسمة إلى الجمع والطرح.

هناك خاصية أساسية للوغاريتم تتمثل في كونه يحوّل عملية الضرب إلى عملية الجمع، ويحول عملية القسمة إلى عملية الطرح. أين يكمن إسهام ابن حمزة؟ إنه يكمن في دراسة هذا التحويل (حوالي ٩٥٠هـ/١٥٤٣م).

---

(٤) الدفاع، علي عبدالله: العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.

وينسب الغرب - ومن حذا حذوهم - ابتكار اللوغاريتمات إلى العالمين الإنكليزيين جون نابيير (Napier) (٩٥٧-١٠٢٦هـ/ ١٥٥٠-١٦١٧م) وهنري بريكس (Briggs) (٩٦٣-١٠٤٠هـ/ ١٥٥٦- ١٦٣٠م)، ويضيف بعضهم الساعاتي السويسري جوست بورجي (Burgi) (٩٥٩-١٠٤٢هـ/ ١٥٥٢-١٦٣٢م). فالأول عمل في المتواليات الهندسية والحسابية، وأتى بلفظ "لوغاريتم"، عندما واجه مسائل حسابية معقدة مرتبطة بالتجارة وعلم الفلك واقتنع أنه من الأفضل إيجاد سبيل يسمح بتحويل عملية ضرب الأعداد إلى جمعها. وكان نابيير ينظر إلى اللوغاريتم بأنه وسيلة تسمح بإنشاء جداول تكون في أحد أعمدتها جداءات يقابلها عمود يحمل مجاميع. أما بريكس فقام بعملية اختصار، حيث ارتأى أنه من الأفضل استخدام النظام العشري في بعض الحسابات. ثم أتى بورجي فطوّر جداول نابيير.

وعندما ينظر المرء إلى ما قام به ابن حمزة في دراسة المتواليات الهندسية والحسابية ويقارنها بعمل نابيير فسيجد فيها الكثير من نقاط الالتقاء، علما أن عمل ابن حمزة سبق عمل نابيير بأزيد من عقدين. يقول مؤرخ العلوم قدري حافظ طوقان في هذا الموضوع: "ولو أن ابن حمزة استعمل مع المتوالية الهندسية المذكورة المتوالية العددية التي تبدأ بالصفر، ... لكان اخترع اللوغاريتمات التي أوجدها نابيير وبورجي بعده - أي بعد ابن حمزة - بأربع وعشرين سنة"(٥) ثم يضيف: "ما دار بخلدي

(٥) طوقان قدري حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشروق، بيروت، ١٩٦٨م، ص٨٦.

أني سأجد بحوثا لعالم عربي كابن حمزة هي في حد ذاتها الأساس والخطوة الأولى في وضع أصول اللوغاريتم."(٦).

وبطبيعة الحال فإن سبق ابن حمزة في هذا العمل لا يعني أن نابيير اطلع على عمله وسرقه منه دون الإشارة إليه. فهذا ما لم يتم ثبوته.

كتاب "تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد"

لقد ذكرنا أن هذا الكتاب ألّفه صاحبه في الحجاز (وهو باللغة التركية)، بل ويذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"(٧) أنه ألفه بمكة المكرمة. أما صالح زكي فيشير إلى هذا الكتاب(٨) ويصفه بأنه "من أكمل الكتب الحسابية". ويضم الكتاب مقدمة وأربع مقالات وخاتمة.

فجاء في المقدمة حديث عن الحساب وأصول الترقيم. وتضمنت المقالة الأولى عملا حول الأعداد الصحيحة والعمليات عليها. وتدرس المقالة الثانية موضوع الكسور والجذور ونحوها. أما المقالة الثالثة فتعالج المعادلات والجبر والمقابلة. وتتناول المقالة الرابعة موضوعا في الهندسة يتعلق بالمساحات والحجوم. كما تضمن الكتاب مجموعة من المسائل الهامة، منها مسائل طريفة مثل المسألة الموالية.

---

(٦) المرجع السابق، ص٨٦.

(٧) حاجي خليفة، كشف الظنون في أساس الكتب والفنون، ج. ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص٢٢١.

(٨) صالح زكي: آثار باقية، إسطنبول، ١٣٢٩هـ.

المسألة المكّية

طرحت هذه المسألة على ابن حمزة الجزائري بمكة المكرمة عندما كان يدرّس في الحرم المكي أسس الحساب والرياضيات، وهذا نصها[٩]:

"ترك رجل تسعة أولاد، وقد توفي عن إحدى وثمانين نخلة. تعطي النخلة الأولى في كل سنة تمرا زنته رطل واحد، والثانية تعطي رطلين. والثالثة ثلاثة أرطال. وهكذا إلى النخلة الحادية والثمانين التي تعطي واحدا وثمانين رطلا."

السؤال: المطلوب تقسيم النخلات بحيث يكون لكل ولد ٩ نخلات تعطي نصيبا من التمر يساوي نصيب كل واحد من بقية الإخوة.

حل المسألة المكِّية: نشير في البداية إلى أن هذه المسألة ليست يسيرة الحل حتى لدى رياضيي هذا الزمن، لأنها تتطلب - بلغة اليوم - حل جملة معادلات جبرية تتكون من ٨١ معادلة ومجهولا مع بعض القيود، كوجوب اختلاف المجاهيل مثنى مثنى ... في حين تعوّد طلابنا الجامعيون على حل مثل هذه الجملة عندما لا تتجاوز مكوناتها بضع معادلات. أما ابن حمزة فقد قدّم حلّ المسألة المكّية في الجدول الآتي دون تقديم أي تفسير أو توضيح لكيفية اهتدائه إلى الحل. لكنك تستطيع التأكد بسهولة من صحة الحل المقدم:

(٩) انظر طوقان، مصدر سابق، ص ٤٧١-٤٧٣.

	الولد الأول	الولد الثاني	الولد الثالث	الولد الرابع	الولد الخامس	الولد السادس	الولد السابع	الولد الثامن	الولد التاسع
أرقام النخيل	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
	١٨	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
	٢٦	٢٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
	٣٤	٣٥	٣٦	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣
	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١
	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩
	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٥٥	٥٦	٥٧
	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٦٤	٦٥
	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٧٣
عدد الأرطال	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩

كيف ملأ ابن حمزة الجدول؟ لاحظ ما يلي:

- السطر الأول ملئ بالأعداد من ١ إلى ٩ على التوالي حتى الخانة الأخيرة.
- أما السطر الثاني فنهمل مؤقتا الخانة الأولى، ونبدأ من الخانة الثانية ونضع فيها العدد ١٠ ونواصل بالأعداد المتوالية ١١، ١٢، ...، ١٧. يكون العدد ١٧ في الخانة الأخيرة. وبعد ذلك نضع في الخانة الأولى التي أهملناه العدد ١٨ (الموالي لـ ١٧).

وهكذا يكون السطر الثاني قد ملئت كل خاناته.

في السطر الثالث، نهمل مؤقتا الخانتين الأولى والثانية ونبدأ بملء الخانة الثالثة ونضع فيها العدد الموالي لـ ١٨، وهو ١٩ ونواصل ملء الخانات المتوالية بالأعداد المتتالية ٢٠، ٢١، ...، ٢٥. وهكذا يكون ٢٥ هو العدد الذي يشغل الخانة الأخيرة في هذا السطر. نعود بعد ذلك إلى الخانتين الأولى والثانية في هذا السطر ونملأهما بالعددين المتواليين ٢٦، ٢٧.

- السطر الرابع نهمل فيه الخانات الأولى والثانية والثالثة، ونبدأ بملأ الخانة الرابعة بالعدد الذي يلي ٢٧، وهو ٢٨ ونواصل ملء السطر بالأعداد المتوالية ٢٩، ٣٠، ...، ٣٣. ثم نعود إلى الخانات الثلاث الأولى التي أهملناها في البداية فنضع فيها الأعداد المتوالية ٣٤، ٣٥، ٣٦.
وهكذا دواليك حتى السطر التاسع.

وهكذا نستطيع اختصار حياة الرياضي ابن حمزة وأعماله في ثلاث نقاط هي:

١ - كان مولده في عاصمة الجزائر ودراسته "العليا" بتركيا، وقد قرّر الرحيل مع والدته إلى مكة المكرمة والإقامة هناك بصفة دائمة.

٢ - كان تأليفه كتاب "تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد" في مكة المكرمة.

٣ - احتوى هذا الكتاب على أسس مفهوم اللوغاريتمات.

وبذلك يكون لمكة المكرمة الفضل في إيواء عالم من الغرب الإسلامي تمكّن خلال إقامته فيها من إنجاز عمل رياضي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

عظيم. وأبرز ما في هذا العمل وضع أسس اللوغاريتم الذي صار اليوم أداة رياضية طيّعة في متناول دارسي الرياضيات والفيزياء ومختلف الفروع العلمية ... بل إن كثيرا منا يستعملها اليوم دون أن يدري، وذلك من خلال أجهزة الحاسوب والآلات الحاسبة. فكيف لا نذكر ونتذكّر هذا الاسم البارز ومأواه في عالمنا العربي الإسلامي عند الحديث عن اللوغاريتمات؟

صرة أهالي مكة المكرمة

د. سهيل صابان
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

يتناول هذا البحث الإرسالية المالية المعروفة بالصرة السلطانية إلى أهالي مكة المكرمة عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٨م بموجب دفتر الصرة ذي الرقم (١٣٢) من مجموع دفاتر الصرة الخاصة بأهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف التي وصل عددها في الأرشيف العثماني إلى (٤١٧٠) دفترًا للحقبة من عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م وحتى عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بشكل متسلسل، ما عدا خمس سنوات، هي: ١١١٢هـ، و ١٢٢٤هـ، و١٢٢٥هـ، و١٢٢٦هـ، و١٢٢٧هـ.

قسمت الأسماء الواردة في الدفتر أربعة وثلاثين قسمًا، تضمن كل قسم منها أسماء أصحابه المخصصة لهم الصرة ضمن فئتهم، بدءًا من فئة قاضي مكة المكرمة وأئمة المذاهب الأربعة فيها، وبعض أعيان مكة المكرمة وأشرافها، وانتهاءً بفئة آغاوات الحرم المكي الشريف، إضافة إلى الجماعات الأخرى، مثل جماعة سقاة زمزم أثناء غسل الكعبة المشرفة، ومصروفات زيت القناديل التي توقد بين الصفا والمروة، وكثير من الوظائف الأخرى، والمخصصات غير محددة الصرف

التي تركت مفتوحة لأهالي مكة المكرمة، وخصصت لها مبالغ من أموال الأسرة العثمانية الحاكمة وبعض الوزراء وكبار رجال الدولة العثمانية في إستانبول وأوقافهم.

ولأجل استمرار تلك العطاءات لأهالي الحرمين الشريفين بشكل عام، لم يكتف الواقفون بإرسال الأموال إلى هذه البقعة المقدسة مرة أو مرات عدة، بل أوقفوا لها أوقافًا كثيرة في أنحاء مترامية من الأناضول وغيرها من أراضي الدولة العثمانية. ولأجل تنظيم تلك الأوقاف، وإرسال تلك العطاءات والأموال، وتوفير حاجات الحرمين الشريفين، أنشئت في إستانبول نظارة خاصة، سميت بنظارة أوقاف الحرمين الشريفين.

وعلى الرغم من أن هذا الدفتر خاص بالأموال التي وزعت على أهالي مكة المكرمة عام ١٠٧٨هـ/١٦٦٨م، فإنه تضمن الكثير من المعلومات عن بيت الله الحرام، والوظائف الموجودة فيه، والفئات العاملة في خدمته، كما احتوى على معلومات كثيرة عن المجتمع المكي، حيث وردت تلك المعلومات عرضًا ضمن الأسماء المدرجة في الدفتر.

دفاتر الصرة في الأرشيف العثماني

الصرة[١] تعني كيس النقود. واصطلاحًا تطلق على الأموال ومختلف الهدايا التي كان السلاطين العثمانيون يرسلونها إلى أهالي مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف. وكانت

---

(١) حول تعريف مفصل بالصرة، والصرة في عهد السلطان سليم وابنه السلطان سليمان القانوني انظر:

Osmanli Devletinde Surre-i Humayun ve Surre Alaylari/ Munir Atalar.- Ankara: DIB, 1991. p. 1-19.

قافلة الصرة تخرج من إستانبول في شهر رجب من كل سنة باحتفال رسمي، وتصل في بداية شهر ذي الحجة إلى مكة المكرمة. فتوزع تلك الأموال والهدايا على أهالي الحرمين الشريفين بمعرفة أمين الصرة وقاضي مكة المكرمة وشيخ الحرم، بدءًا من الأعيان والأشراف وانتهاءً بالفقراء والمساكين. وقد بدأ إرسال الأموال إلى الحرمين الشريفين في العهد العباسي، واستمر في عهد الفاطميين والأيوبيين والمماليك، واتخذت شكلاً نظاميًا خصصت لها مؤسسة خاصة في عهد العثمانيين، وتعلق بها كثير من الوظائف، مثل قافلة الصرة التي ضمت كثيرًا من الموظفين المتخصصين في شؤون الصرة. ونشأ من ذلك كثير من المصطلحات الخاصة بالصرة في الدولة العثمانية[٢]. وأقدم دفتر للصرة في الأرشيف العثماني يعود لعام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م. وبدءًا من هذا التاريخ، فإن الأرشيف العثماني يضم دفاتر الصرة بشكل متسلسل حتى عام ١٣٢٧هـ /١٩٠٩م كما سبق ذكره. وفي الحقبة الأولى كانت دفاتر صرة مكة المكرمة والمدينة المنورة موحدة، ثم أصبحت دفاتر كل منهما مستقلة. وفي السنوات الأخيرة أصبحت من جديد دفاتر موحدة. ويضم أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول المعروف بالأرشيف العثماني (٤١٧٠) دفترًا من دفاتر الصرة تحت الرقم التصنيفي العام للأرشيف (٩٦٣)[٣].

---

(٢) حول هذه المصطلحات بشيء من التفصيل انظر المرجع السابق. ص٢٠٧ وما بعدها.

(3) Basbakanlik Osmanli Arsivi Rehberi.-Istanbul: Osmanli Arsivleri Daire Baskanligi, 2000. p. 244.

التعريف بالدفتر رقم (١٣٢) من دفاتر صرة أهالي مكة المكرمة

يقع هذا الدفتر -- المحفوظ في الأرشيف العثماني تحت تصنيف EV.HMK.SR. 132 - في خمسين ورقة، أي مئة صفحة، مقاس (١٣×٤١سم). وتضم كل صفحة للورقة الواحدة واحدًا وعشرين اسمًا (ثلاثة أعمدة، في كل عمود سبعة أسماء). وأدرجت الأسماء بدءًا من الورقة الرابعة. وأول عبارة بدئ بها الدفتر هي: الصرة الشريفة السلطانية الرومية الجديدة الواجبة، المرسلة لأهالي مكة المكرمة في سنة ثمان وسبعين وألف. وآخرها في الورقة الخمسين: "قُسم ما حواه بين أصحابه وقوبل كل طالب بطلابه، وأنا الفقير السيد عبدالله القاضي بمكة المكرمة، أكرمه ربه ونعَّمه". وتضمن الدفتر ختمه الحاوي اسمه "عبدالله بن محمد". ثم عبارة: "قُسّم ووزّع ما فيه بمعرفة العبد الفقير محمد، مير اللواء شيخ الحرم بمكة المشرفة وحاكم جدة". وتضم ختمه المحتوي على اسمه: "محمد باشا".

وقد عدّ الباحث مجموع الأسماء الواردة في الدفتر دون الوظائف، فوجدها حوالي ألف وخمسمئة اسم. وذلك بعدّ الحصة الواحدة اسمًا واحدًا، حتى لو ذكر فيها عدة أشخاص من الأسرة نفسها. مثل الحصة المخصصة لـ "أولاد السيد حسين بن علي بافقيه العيدروس". وكذلك الحصة المخصصة لـ "الشيخ محمد بن أحمد". ومثل ذلك الحصة المخصصة لـ"عبدالله جلبي وأحمد وإخوتهم أولاد عتاقي أفندي شيخ الحرم"[٤].

(٤) الصفحة ٤/أ و ب.

وقد قسم الدفتر عدة أقسام، جُمعت كل فئة من الفئات التي سميت بالجماعات في حيز واحد متتابع الصفحات على النحو الآتي:

١ - ضم قاضي مكة المكرمة وأئمة المذاهب الأربعة فيها ما عدا إمام المذهب الشافعي، كما حوى بعض أعيان مكة المكرمة وأشرافها. وقد بلغ مجموع الأسماء الواردة في هذا القسم - مع دمج الأولاد والبنات فيها: أي عدهم اسمًا واحدًا - ثلاثمئة وتسعة عشر اسمًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم من الصرة المدفوع إليهم أربعة آلاف وستمئة وثمانيًا وثمانين سكة حسنة(٥) من الذهب. وقد حسبها الباحث فوجد أنها تتجاوز خمسة آلاف سكة ذهبية حسنة(٦).

٢ - جماعة تكية كلتنية(٧) وخدامها. وبلغ عددهم واحدًا وعشرين اسمًا. وقد بلغ مجموع مخصصاتهم ستًا

(٥) السكة: الاسم الذي أطلق على النقد المعدني سواء أكان من الذهب أم الفضة أم غيرهما، وكان تحت الضمان بالدمغة الرسمية للدولة. والسكة الحسنة مصطلح استخدم بدلاً من النقود؛ إذ إن السكة في الدولة العثمانية كانت تستخدم بنوعين. الأول: دمغة، والثاني: بدل نقد. فإذا قصد النقد بشكل مباشر كان يسمى سكة حسنة.

Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu/M.Zeki Pakalin.- Istanbul:MEB, 1946. 2/214-220.

والسكة المخصصة هنا لأهالي مكة المكرمة هي من الذهب. كما يفيد بذلك القيد الموجود على اسم مريم بنت الشيخ أبو السعود بن عبدالله بن حجر، المشار إليها سابقًا.

(٦) الصفحات ٤/أ - ١١/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٧) كلتنية: كلمة مصحّفة، والصحيح الذي بدا للباحث هي كلشنية، نسبة إلى طريقة الكلشنية المتفرعة من الطريقة الخلوتية. ويؤيد ذلك =

وتسعين سكة حسنة. وحسبها الباحث فوجد أنها تبلغ مئة وإحدى وثلاثين سكة ذهبية ونصف[٨].

٣ - جماعة السادة والأشراف. وعددهم ثلاثة وثلاثون اسمًا. وقد بلغ مجموع مخصصاتهم ثلاثمئة وخمسًا وثلاثين سكة حسنة من الذهب[٩].

٤ - جماعة الأروام[١٠] المجاورين ببلد الله الحرام، أي القادمين من بلاد الروم. وبلغ عددهم أربعة وتسعين اسمًا. ووصل مجموع مخصصاتهم ألفًا وتسعمئة وأربعًا وعشرين سكة حسنة من الذهب[١١].

٥ - جماعة الأعاجم المجاورين ببلد الله الأمين. وبلغ عددهم مئة وثلاثة أسماء. وبلغ مجموع مخصصاتهم ألفًا ومئتين وإحدى وثمانين سكة ذهبية ونصف[١٢].

= ما ذكره شمللي زاده أحمد أفندي في كتابه "شيوء طريقة كلشنية": أن لهذه الطريقة فرعًا في مكة المكرمة في القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن الحادي عشر الهجري. فالتكية الموجودة إذن لهذه الطريقة. انظر:

Gulseniyye/Mustafa Kara [Islam Ansiklopedisi/Turkiye Diyanet Vakfi.Istanbul: 1996: 14/256-259].

(٨) الصفحات ١١/ب - ١٢/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٩) الصفحات ١٢/أ - ١٣/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٠) يقصد بالأروام: المجاورون القادمون من بلاد الروم، سواء من إستانبول، أم من منطقة البلقان أم من بعض مناطق الأناضول.

(١١) الصفحات ١٣/أ - ١٥/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٢) الصفحات ١٥/ب - ١٧/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

٦ - جماعة عن بقية الخطباء والأئمة. وهما شخصان، وبلغت مخصصاتهما تسع سكك حسنة من الذهب[١٣].

٧ - جماعة خدام مُدرَّجات[١٤] البيت الشريف. وهُما شخصان من آل شيبي. وبلغت مخصصاتهما أربعًا وعشرين سكة حسنة من الذهب[١٥].

٨ - بقية خدام الحرم. وهم خمسة أشخاص. وبلغ مجموع مخصصاتهم تسع سكك حسنة مع زيادة سبع وعشرين سكة حسنة من الذهب، ليصبح المجموع ستًا وثلاثين سكة[١٦].

٩ - جماعة قراء المحفل الشريف في الحرم المحترم. وهم أربعة أشخاص. وبلغ مجموع مخصصاتهم اثنتي عشرة سكة حسنة من الذهب[١٧].

١٠ - جماعة المؤذنين بمآذن الحرم الشريف. وهم أربعة عشر شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم سبعًا وأربعين سكة، مع زيادة أربع وعشرين سكة حسنة من الذهب، ليصبح المجموع إحدى وسبعين سكة[١٨].

١١ - جماعة الفراشين بالحرم الشريف. وعددهم عشرة أشخاص. ومجموع مخصصاتهم عشرون سكة حسنة[١٩].

---

(١٣) الصفحة ١٧/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٤) أي المسؤولون عن سُلَّم البيت الشريف أثناء فتح بابه للصعود إلى داخليه لغسله وتنظيفه في الموسم المعتاد القيام به.

(١٥) الصفحة ١٨/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٦) الصفحة ١٨/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٧) الصفحة ١٨/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٨) الصفحات ١٨/أ - ١٨/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٩) الصفحات ١٨/ب - ١٩/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

١٢ - جماعة الفراشين بالمقامات. وعددهم أربعة. وبلغ مجموع مخصصاتهم اثنتي عشرة سكة حسنة من الذهب[٢٠].

١٣ - جماعة الوقادين[٢١] بالحرم الشريف. وعددهم سبعة أشخاص. وبلغ مجموع مخصصاتهم ثمان عشرة سكة حسنة من الذهب[٢٢].

١٤ - جماعة البوابين بأبواب الحرم الشريف. وعددهم ستة عشر شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم سبعًا وأربعين سكة حسنة من الذهب[٢٣].

١٥ - جماعة آغاوات الحرم[٢٤] الشريف. وعددهم ثلاثة عشر شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم تسعًا وثلاثين سكة حسنة من الذهب[٢٥].

---

(٢٠) الصفحات ١٩/أ - ١٩/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٢١) يقصد بالوقادين: المسؤولين عن إيقاد القناديل في الحرم إذا حل الليل.

(٢٢) الصفحات ١٩/أ - ١٩/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٢٣) الصفحات ١٩/ب - ٢٠/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٢٤) آغا الحرم: هو المصطلح المستخدم في حق المخصي من الرجال العاملين في القصر السلطاني بإستانبول. ونظرًا لأنهم كانوا يدخلون إلى قسم الحريم من القصر الممنوع دخول غير المحارم إليه، ويؤدون فيها الخدمات اللازمة إضافة إلى حراسته، فقد أطلق عليهم هذا اللقب. وكان معظمهم من الأفارقة، وعادة ما كانوا يُقدَّمون من ولاة مصر إلى القصر السلطاني في إستانبول. وقد أصبح هذا المصطلح يطلق فيما بعد على المخصيين من الرجال العاملين في الحرم الشريف بمكة المكرمة. وهناك العديد من الوثائق لدى الباحث عن آغاوات الحرم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، والشكاوى المرفوعة منهم إلى السلطان العثماني في مختلف التواريخ عن بعض حاجياتهم المالية ورواتبهم التي باتت تستغل من لدن غيرهم، ولا تدفع لهم. انظر: الأرشيف العثماني، تصنيف: I.MV. 11137, I.DAH. 15268

(٢٥) الصفحة ٢٠/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

١٦ - جماعة مشدي[٢٦] مطاف الحرم الشريف. وعددهم عشرة أشخاص. وبلغ مجموع مخصصاتهم ثلاثين سكة حسنة من الذهب[٢٧].

١٧ - جماعة مشدي أبواب الحرم الشريف. وعدد أفرادها واحد وعشرون شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم ستًا وستين سكة حسنة من الذهب[٢٨].

١٨ - الجماعة التي تقرأ أجزاء القرآن عند ضريح أبي نمي[٢٩].

---

(٢٦) لم أجد للكلمة ذكرًا فيما بحثت فيه من معاجم للغة العثمانية. ويبدو أنهم المسؤولون عن تنظيف المطاف الشريف. والذي دفع الباحث إلى هذه القناعة ذكر "مشدي أبواب الحرم الشريف" في هذا الدفتر بعد ذكر بوابي الحرم الشريف. وهذا يعني أنهم كانوا ينظفون عند الأبواب.

(٢٧) الصفحات ٢٠/أ - ٢٠/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٢٨) الصفحات ٢٠/ب - ٢١/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٢٩) الشريف أبو نمي ابن الشريف بركات بن محمد الحسني. انتدبه أبوه إلى القاهرة، وكان في الثانية عشرة من عمره لتقديم مفتاح الكعبة المشرفة للسلطان سليم الأول عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م. وقد استقبله السلطان في الديوان وأكرمه وقدم له ولوالده العديد من الهدايا مع خطاب تعيين لوالده أميرًا على مكة المكرمة. وبعد وفاة والده عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م عين أبو نمي أميرًا على مكة المكرمة، وكان عمره آنذاك عشرين سنة. وعزل من منصبه عام ٩٥٨هـ/١٥٥١م بسبب الخلاف الذي نشب بينه وبين أمير الحج محمود باشا. غير أن اعتراض القبائل الحجازية على هذا العزل أدى إلى إصدار قرار آخر يبقيه في منصبه من جديد. إلا أنه بعد مدة من الزمن طلب أبو نمي تعيين ابنه أحمد مكانه، واعتزل الإمارة وذلك في عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م. وقد توفي أبو نمي عام ٩٩٢هـ/١٥٨٤م عن عمر يتجاوز الثمانين سنة. حجاز ولايت سالنامه سي. مكة المكرمة: دفعه ٤. ص١١٥.
Mekke-i Mukerreme Emirleri/Ismail Hakki Uzuncarsili.- Ankara: Turk Tarih Kurumu, 1984, p.17-18.
والقراءة عند الضريح من البدع المستحدثة، والتي لم ترد عن الرسول ﷺ.

وعـددهم ثلاثة وثلاثون شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم مئة وخمس سكك حسنة من الذهب(٣٠).

١٩ - جماعة الأئمة والمؤذنين لمسجد السلام بالطائف. وعددهم اثنان. وبلغت مخصصاتهم ثماني سكك مع زيادة عشرين سكة حسنة من الذهب(٣١).

٢٠ - جماعة قراء سورة الفتح في الحطيم الشريف. وعددهم تسعة أشخاص. وبلغ مجموع مخصصاتهم من الصرة سبعًا وعشرين سكة حسنة من الذهب(٣٢).

٢١ - جماعة قراء المولد الشريف في شهر ربيع الأول في الحرم الشريف. وعددهم غير محدد. والمبلغ المخصص ست سكك من الذهب(٣٣).

٢٢ - جماعة الذكر الحكيم بالحرم الشريف ليلة الجمعة. وعددهم غير محدد. ومخصصهم من الصرة إحدى وعشرون سكة(٣٤).

٢٣ - جماعة عبيد عيون مكة المكرمة. وعددهم سبعة وخمسون رجلاً، وثنتان وعشرون امرأة. ومجموع مخصص الرجال من الصرة مئة وأربع عشرة سكة،

---

(٣٠) الصفحة ٢١/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٣١) الصفحة ٢١/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٣٢) الصفحات ٢١/أ - ٢١/ب من الدفتر رقم ١٣٢، وهي من البدع المستحدثة.

(٣٣) الصفحة ٢١/ب من الدفتر رقم ١٣٢. قراءة المولد المشار إليها من البدع التي استحدثت ولم تكن موجودة في عهد الرسول ﷺ أو خلفائه الراشدين.

(٣٤) الصفحة ٢١/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

ومـجـمـوع مـخـصـص النسـاء ثنتـان وعـشـرون سـكة. ومجموعها مئة وست وثلاثون سكة(٣٥).

٢٤ - جـمـاعـة عـبـيـد عـين خليص المبـارك. وعـددهم أربعـة أشـخـاص. ومـجـمـوع مـخـصـصـهم تسع سكك من الذهب(٣٦).

٢٥ - جماعة سكان الأربطة بمكة المكرمة. وقد ذكرت أعداد القـاطنين في كل رباط ومـجـمـوع المبلغ المخـصـص لهم. فعلى سبيل المثال رباط الجودي الكائن بالمسجد الحرام يضم اثني عشـر شـخـصًا، ومـخـصـصـهم ست وثلاثون سكة، ورباط الداودية ويضم أربعـــة وأربعين نفـــرًا ومخصصهم المالي من الصرة مئة واثنتان وثلاثون سكة. وقد عدّ البـاحث تلك الأربطة فوجد أن عددها خمسة وعشـرون رباطًا، ضم أربعمئة وتسعة وثمانين شخصًا، بلغ مجموع مخصصاتهم من الصرة ألفًا وأربعمئة وأربعًا وعشرين سكة. وكان متوسط نصيب الفرد الواحد ثلاث سكك(٣٧).

٢٦ - جماعة القراء لتلاوة أجزاء القرآن الكريم في الحرم عند الكعبة المعظمة على روح السلطان سليم خان. وقد بلغ عددهم أربعة وثلاثين اسمًا، خصص لكل واحد منهم اثنتا عشرة سكة، ما عدا الأخير حيث خصص له أربع

---

(٣٥) الصفحة ٢١/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٣٦) الصفحة ٢٢/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٣٧) الصفحات ٢٢/أ - ٢٢/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

سكك. وبلغ مجموع مخصصاتهم أربعمئة سكة حسنة من الذهب[٣٨].

٢٧ - جماعة قراء سورة الفتح وسورة الإخلاص في الحرم عند الكعبة المشرفة على روح قاضي عسكر[٣٩] إستانبول عبدالرحمن أفندي. وقد بلغ عددهم سبعة أشخاص، ومجموع المبلغ المخصص لهم خمس وعشرون سكة حسنة[٤٠].

٢٨ - جماعة قراء أجزاء القرآن الكريم على روح نشانجي محمد باشا عند الكعبة المشرفة. وعددهم سبعة عشر شخصًا، بلغ مجموع مخصصاتهم من وقف الباشا المذكور في إستانبول مئة وسكتين اثنتين من السكك الحسنة[٤١].

---

(٣٨) الصفحات ٢٣/أ-٢٣/ب من الدفتر رقم ١٣٢، وهي من البدع المستحدثة.

(٣٩) كان منصب قاضي عسكر في عهد السلطان محمد الفاتح المنصب الأوحد الذي يمكن أن يصدر فتاوى الأحكام الشرعية. غير أنه منذ عام ١٤٨١م انقسم قضاء العسكر قسمين: قضاء عسكر الروملي، وقضاء عسكر الأناضول. وهو المنصب الذي يلي منصب شيخ الإسلام مباشرة. وكان قاضي عسكر الروملي المرجع الأعلى لجميع القضاة في الروملي، وكان عضوًا في الديوان الهمايوني. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية/سهيل صابان.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ١٧٤-١٧٥. وهذه القراءة من البدع المستحدثة ولم تكن موجودة في الإسلام وانتشارها آنذاك كان بسبب ضعف المسلمين وكثرة البدع وانتشار الطرق المختلفة بينهم.

(٤٠) الصفحة ٢٤/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٤١) الصفحة ٢٤/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

٢٩ - جماعة قراء أجزاء القرآن الكريم على روح والدة السلطان أحمد. وعددهم ثمانية أشخاص. ومجموع مخصصاتهم خمس وثمانون سكة حسنة من الذهب(٤٢).

٣٠ - جماعة قراء سورة الفاتحة مرة واحدة والإخلاص ثلاث مرات على روح والدة السلطان مراد عقب كل صلاة في مكة المكرمة. وعددهم أربعة وخمسون شخصًا. وبلغ مجموع مخصصاتهم ثلاثمئة وخمسين سكة حسنة من الذهب(٤٣).

٣١ - جماعة قراء جزأين من القرآن الكريم في وقت الصبح والعصر من كل يوم. وعددهم ثمانية وعشرون شخصًا. ومخصصهم المالي مئتا سكة(٤٤).

٣٢ - مشدي مكة المكرمة وخدام زمزم الشريف. ولم يحدد عددهم. ومخصصهم المالي أربعون سكة حسنة. خصصت لهم مع الفقرتين السابقتين (٣٠ و ٣١) من أوقاف والدة السلطان. ومجموعها خمسمئة وتسعون سكة حسنة(٤٥).

٣٣ - جماعة قراء سورة الفاتحة وسورة الإخلاص وآية الكرسي بحيث يقرؤونها كل يوم عشر مرات. وعددهم خمسة وأربعون شخصًا، خصص لهم مبلغ ثلاثمئة سكة

---

(٤٢) الصفحات ٢٤/أ - ٢٤/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٤٣) الصفحات ٢٤/ب - ٢٦/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٤٤) الصفحات ٢٦/أ - ٢٦/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٤٥) الصفحة ٢٦/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

حسنة من أوقاف والدة السلطان[٤٦]. وبذلك بلغ ما خصص من أوقافها لأهل مكة المكرمة ثمان مئة وتسعين سكة حسنة[٤٧].

٣٤ - جماعة آغاوات الحرم الشريف، ويقرؤون عقب الصلوات الخمس في مكة المكرمة سورة الفاتحة مرة واحدة، وسورة الإخلاص ثلاث مرات والصلاة على النبي المختار عشر مرات، ويهدون ثوابها لروح الحاج مصطفى آغا، آغا دار السعادة في إستانبول. وعدد آغاوات الحرم واحد وثمانون شخصًا. وبلغ مخصصاتهم من أوقاف مصطفى آغا خمسمئة وثمانين سكة حسنة[٤٨].

وما عدا ذلك فهناك العديد من الجماعات الأخرى، مثل جماعة سقاة زمزم أثناء غسل الكعبة المشرفة، ومصروفات

---

(٤٦) والدة السلطان: الاسم الذي أطلق على والدة السلطان العثماني. ويذكر أن أول إطلاق لهذا المصطلح كان لوالدة السلطان مراد الثالث، المعروف عنه تقديره البالغ لوالدته نور بانو سلطان، وهي زوجة والده السلطان سليم الثاني. ثم أصبح إطلاق هذا اللفظ على والدات السلاطين عادة متبعة في الدولة العثمانية. ويبدو أن المقصود من والدة السلطان في هذه الوثيقة هي والدة السلطان محمد خان الرابع، ابن السلطان إبراهيم خان (١٠٥٨-١١٠٤هـ) الذي كان يحكم الدولة العثمانية في تلك الحقبة. ولقبها وسم سلطان، وهي ماهبيكر سلطان. انظر:

Osmanli Tarih Lugati/Midhat Sertoglu.- Istanbul: Enderun kitabevi,1986, p.355.

(٤٧) الصفحات ٢٧/أ - ٢٨/أ من الدفتر رقم ١٣٢. وهذه أيضًا من البدع المستحدثة التي ليس لها أصل شرعي.

(٤٨) الصفحات ٢٨/أ - ٣٠/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

زيت القناديل التي توقد بين الصفا والمروة، وكثير من الوظائف الأخرى، والمخصصات غير محددة الصرف التي تركت مفتوحة لأهالي مكة المكرمة، وخصصت لها مبالغ من أموال وأوقاف الأسرة العثمانية الحاكمة وبعض الوزراء وكبار رجال الدولة العثمانية في إستانبول. وهذا يدل على الاهتمام الذي أولاه العثمانيون لأهالي الحرمين الشريفين.

المنهج المتبع في الدفتر:

لقد نظر العثمانيون إلى الصرة الشريفة التي كانوا يرسلونها إلى أهالي الحرمين الشريفين، على أنها واجبة على عاتقهم وليست فضلاً يتفضلون به على سكان الأراضي المقدسة، حيث تبتدئ العبارات الأولى التي يفتتح بها الدفتر "أن الصرة الواجبة إرسالها لأهالي مكة المكرمة" أو "المدينة المنورة للسنة" الفلانية.

وعلى الرغم من أن السلطان العثماني كان صاحب الحصة الكبرى من تلك الأموال المرسلة إلى أهالي مكة المكرمة، إلا أن هناك أوقافًا لبعض الشخصيات المرموقة في إستانبول وقفت على أهالي الحرمين الشريفين. وفيما يأتي جدول رقم (١) مبين لما تضمنه الدفتر من تلك الأوقاف مع الصرة السلطانية المرسلة إلى أهالي مكة المكرمة:

جدول رقم (١)

الصرة السلطانية من السلطان العثماني	١٠,٤٣٤	سكة
من أوقاف السلطان سليم خان	٤٠٠	سكة
من أوقاف القاضي عسكر عبدالرحمن أفندي	٢٥	سكة
من أوقاف نشانجي محمد باشا	٢٠٤	سكك
من أوقاف والدة السلطان أحمد خان [الأول]	٨٥	سكة
من أوقاف والدة السلطان مراد خان	١٨٣٠	سكة
من أوقاف مصطفى آغا، آغا دار السعادة	٦٥٧	سكة
من أوقاف عائشة بنت الأمير جم	٧٣	سكة
من أوقاف والدة السلطان أحمد خان [الأول] أيضًا	٥٥٠	سكة
من أوقاف السلطان أحمد خان [الأول]	٢,١٨٢	سكة
من وقف السيدة سروآزاد، كتخدا القصر الجديد	٧٠	سكة
من وقف السيدة خورشيد خاتون	٢٠	سكة
من وقف كجوك عمر آغا	٢٠	سكة
من وقف سفر آغا، أمين الصرة السابق	٥	سكك
من وقف أحمد آغا	٥	سكك
من وقف السيدة فاطمة بنت مصطفى بيك	٣٠	سكة
من وقف محمد آغا، آغا دار السعادة	٨٣٠	سكة

تابع: جدول رقم (١)

من وقف الخواجه رسول	١٠٠	سكة
من وقف السيدة ماه دوران خاتون	٩	سكك
من وقف السيدة كوهر خان سلطان	١٧٢,٥	سكة
من وقف محمد بيك بن بياله باشا	١٩٥	سكة
من زيادات الصرة السلطانية	٣٠٥	سكة
من تحصيل جزية الأرمن في إستانبول	١٠٠	سكة
من واردات أوقاف الحرمين الشريفين	٢٥٠	سكة
المبالغ المرسلة إلى أهالي مكة المكرمة بموجب دفتر الحلبية الجديدة	١,٢٦٤	سكة
المجموع	١٩,٨٠٥,٥	سكة

وعلى الرغم من أن مجموع الأموال التي وزعت على أهالي مكة المكرمة في هذه السنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٨م) قد بلغ تسعة عشر ألفًا وثمانمئة وخمس سكك حسنة ونصفًا؛ فقد ذُكر في الصفحة (٤٢) أن مجموع الصرة بلغ أربعة عشر ألفًا وثمانمئة وإحدى وسبعين سكة حسنة. وسبب ذلك الاختلاف بين ما ورد في الدفتر وما نتج عما حسبه الباحث هو عدم إدراج بعض الأموال المرسلة مع الصرة في المجموع العام. إضافة إلى أن القسم الثاني من الأموال المذكورة في الصفحات (٤٣-٥٠)، لم يضم للمجموع العام المذكور في الصفحة (٤٢) أيضًا.

وبناءً على الاهتمام الذي أولاه العثمانيون بقضاة مكة المكرمة والمدينة المنورة فإنهم كانوا يرسلون إلى الجماعة المحيطة بهم أيضًا مبلغًا مساويًا لما كانوا يرسلونها للقضاة أنفسهم. وإمعانًا في ذلك الاهتمام تصدر اسم قاضي مكة المكرمة على جميع الأسماء. تلاه في الاهتمام أسماء السادة والأشراف دون تفريق بينهم. إلا أن القسم الثالث من الأسماء الواردة في هذا الدفتر كان خاصًا بالأشراف. لكن لم يكن كل الأشراف منضوين تحت هذا القسم. بل وردت أسماء بعض الأشراف والشريفات في القسم الأول كما وردت في الأقسام الأخرى.

يتضح من الخط المستخدم وهو خط النسخ أن خطاطًا واحدًا أو أكثر كان قد أعد نسخ تلك الأسماء في إستانبول؛ ولم تكن الأسماء تدون برفقة أمين الصرة. والأمر الذي أدى بالباحث إلى هذا الرأي وجود عبارة في نهاية الدفتر تفيد أنه "حرر هذا الدفتر بمعرفة الأفقر مصلي [هكذا] آغا دار السعادة الشريفة الناظر على أوقاف الحرمين الشريفين"(٤٩). ومعروف أن آغا دار السعادة هو المشرف على القصر السلطاني(٥٠) في

---

(٤٩) أنشئت نظارة أوقاف الحرمين الشريفين عام ٩٩٥هـ/١٥٨٧م لما أصبح محمد آغا الحبشي آغا دار السعادة. وتعني هذه النظارة الإشراف المباشر على أوقاف الحرمين الشريفين، الجزئية والكلية، المشروطة على أهالي الحرمين الشريفين. أوقاف همايون نظاتتك تارخجهء تشكيلاتي ونظارك تراجم أحوالي/ابن الأمين محمود كمال.- إستانبول: مطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ. ص١٤-١٥

(٥٠) كانت وظيفة آغا دار السعادة في الأصل الإشراف على قسم الحريم من القصر السلطاني.

Hayat Buyuk Turk Sozlugu.-Istanbul: Hayat yay. p. 250.

إستانبول. وقد دونت الأسماء والمبالغ التي تدفع إليهم بخط رائع. وهذا يسري على سائر دفاتر الصرة. حيث قارن الباحث بين بعض دفاتر الصرة، فوجدها متشابهة ورائعة في جمال الخط. ويبدو أن الخط الموضوع تحت المخصص المالي لكل شخص في الدفتر يفيد أنه سُلِّم لصاحبه.

جاءت الأسماء باللغة العربية كاملة كما هي مستخدمة في الجزيرة العربية: اسم العين، واسم أبيه ولقبه. مع إضافة لفظ السيد للشريف منهم في بداية ورود الاسم. وذكرت المبالغ المالية المدفوعة لهم باللغة التركية (العثمانية) كتابة وليست بالأرقام، مع كتابتها بخط السياقة أي الشفرة. وهي المستخدمة في الشؤون المالية للدولة العثمانية. وقد جاءت أسماء الأعيان مناصفة - تقريبًا - مع أسماء أولادهم. ففي الصفحة الواحدة من الدفتر المشار إليه نجد نصف الأسماء الواردة فيها للأعيان، مثل "أم الهدى بنت محمود جلبي". والنصف الثاني للأولاد مثل "أولاد السيد عمر وأولاد السيد حسين البار"(٥١).

وقد تبين من الأسماء الواردة في هذا الدفتر والدفاتر المماثلة له أن لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة في مكة المكرمة إمامًا ومفتيًا، ولهما في الوقت ذاته صفة القضاء، حيث خصصت لهم المبالغ المالية حسب رؤية الدولة العثمانية لتلكم المذاهب. فالقاضي الحنبلي - وهو إمام الحنابلة وخطيبها في الوقت نفسه - خصص له ست وستون سكة،

(٥١) الصفحة ٦/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

وخصص للقاضي المالكي - وهو مفتي المالكية - أربعون سكة، في حين خصص للإمام والخطيب الحنفي مئة وأربع سكك. وهذا الاختلاف في المخصصات يكمن في كون القاضي الحنفي كان إمامًا وخطيبًا للأحناف في مكة المكرمة، والقاضي الحنبلي كان إمامًا وخطيبًا للحنابلة. إلا أنه بالنظر لكون المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية فقد جاء مخصص إمام هذا المذهب أعلى من مخصصات أئمة المذاهب الأخرى. والقاضي المالكي - وهو إمام المالكية - خصص له اثنتان وثلاثون سكة ونصف(٥٢). أما القاضي الشافعي فلم يظهر له أي مخصص مالي من الصرة من خلال هذا الدفتر. ومن جهة أخرى فقد وردت كلمة "الحنبلي" مضافة إلى أسماء الأعيان أكثر من كل المذاهب الأخرى(٥٣).

ومن خلال استعراض وظائف أئمة المذاهب وخطبائها ومفتيها يتبين أن هناك مفتيًا لكل مذهب، وإمامًا وخطيبًا لكل مذهب ما عدا المذهب الشافعي، حيث لم تذكر فيه مناصب أصحاب هذا المذهب وألقابهم. ولكل من أولئك صفة القضاء أيضًا إلى جانب وظيفة الإمامة والخطابة كما سبق. ومما يجدر ذكره هنا أيضًا أن فراشًا أو أكثر كان يعمل لكل مقام من مقامات المذاهب الأربعة(٥٤).

---

(٥٢) الصفحة ٤/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٥٣) انظر على سبيل المثال الصفحة ١٧/ب، والصفحة ١٨/ب، والصفحة ١٩/أ.

(٥٤) الصفحة ١٩/أ من الدفتر ١٣٢.

أما القسطاس(٥٥) الذي كان به تحدد المخصصات المالية لسكان مكة المكرمة فيبدو - بشكل واضح - حسب مكانة الشخص في المجتمع المكي. فقد خصصت مبالغ عالية لبعض أهالي مكة المكرمة. مثل المصونة فاطمة بنت الشيخ ياسين الطواشي حيث خصص لها مبلغ خمس وثمانين سكة. ومثل ذلك ما خصص لعبدالغفار بن علي النبراوي، وهو اثنتان وتسعون سكة ونصف. في حين خصصت لبعض من أهالي مكة مبالغ قليلة بالمقارنة بتلك المبالغ العالية، مثل نصف سكة، المخصص للقاضي مرشد الدين بن أحمد ابن عيسى(٥٦). وأعلى مبلغ مالي مخصص لأهالي مكة المكرمة كان لـ "أولاد مصطفى بن نصوح الرومي" الذي بلغ مئة وإحدى وعشرين سكة(٥٧). أما أقل المبالغ تخصيصًا لأهالي مكة المكرمة فهو سدس دينار المخصص لأولاد نور الدين بن سلمان(٥٨). وقد وجد الباحث هناك تباينًا ملحوظًا في المبالغ المخصصة لأفراد الأسرة الواحدة. ففي الوقت الذي خصص

---

(٥٥) القسط: العدل، وهو من المصادر الموصوف بها. يوصف به الواحد والجمع. يقال ميزان قسط، وميزانا قسط وموازين قسط. قال تعالى:﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. والقسطاس: أضبط الموازين وأقومها. وفي التنزيل العزيز :﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]. المعجم الوسيط/إبراهيم أنيس وزملاؤه.ط٢ .القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ٢/٧٣٤.

(٥٦) الصفحة ٧/ب من الدفتر ١٣٢.

(٥٧) الصفحة ١٤/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(٥٨) الصفحة ١٠/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

فيه مبلغ ثلاث وخمسين سكة لفاطمة بنت الشيخ محمد بن حجر، خصص فيه لأولاد الشيخ رضي الدين بن حجر مبلغ خمس سكك ونصف، وخصص لمريم بنت الشيخ أبي السعود بن عبدالله بن حجر ست سكك فقط[٥٩]. ويبدو أن هذا التباين في المبالغ المخصصة يدل على مكانة فاطمة في المجتمع المكي، ومن ثم تأثيرها في أمانة الصرة، وقد يكون لها أتباع، كانت توزع الصرة عليهم. ومن جهة أخرى فقد لحظ الباحث أن أفراد الأسرة الواحدة يأتي ذكرهم بشكل متسلسل، وجنبًا إلى جنب كما هو الحال في أسرة القطبي[٦٠]. إلا أن هناك حالات قليلة وردت فيها أسماء أفراد الأسرة الواحدة في أماكن مختلفة. كما هو الأمر في أولاد بابا البخاري[٦١].

وقد تبين للمؤلف أن المبلغ المالي المخصص لكل اسم من الأسماء الواردة في هذا الدفتر، كان مكتوبًا كتابة باللغة العثمانية. وتضمن كثير من الأسماء مبلغًا آخر بجانب المبلغ المكتوب والمحدد. ويبدو أن هذا المبلغ الآخر - المكتوب أيضًا كتابة وليس رقمًا - هو المبلغ المدفوع لصاحبه. وهذا المبلغ عادة أكثر من المبلغ الأول، فعلى سبيل المثال: المبلغ المحدد لأولاد يوسف وأولاد أحمد بن عمر المرحاوي كان سكة واحدة. فوجد أمين الصرة أن سكة واحدة لكل هؤلاء الأولاد غير كافية لإعاشتهم. فرفع لهم المبلغ، ودفع لهم سبعًا

---

(٥٩) الصفحة ٦/ب من الدفتر ١٣٢.

(٦٠) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(٦١) قارن بين الصفحة ١٠/أ، والصفحة ١١/أ.

وعشرين سكة[٦٢]. ومن ذلك أيضًا المبلغ المخصص لخلق الله بنت الشيخ أحمد ياسين، وهو خمس سكك، رفعه أمين الصرة إلى ثلاث وخمسين سكة[٦٣]. وعلى العكس من ذلك، هناك بعض الأسماء انخفضت مخصصاتها. مثل صالحة بنت محمود البسطي حيث كان المبلغ المحدد لها تسع سكك، ونزل إلى سبع سكك[٦٤]. إلا أن هذا قليل، والغالب الأعم أن يرفع أمين الصرة المبلغ قليلاً كان أم كثيرًا، بل هناك كثير من الأسماء رفع أمين الصرة حصتها أكثر من ضعفين، مثل "أولاد عمر بن أبي بكر الشامي"، فقد كانت مخصصاتهم أربع سكك ونصف، رفعها أمين الصرة إلى عشرين سكة[٦٥]. بل إن مخصص علي بن سليمان العدواني كان سكة واحدة رفعها أمين الصرة إلى أربعين سكة[٦٦].

اشتمل الدفتر على أسماء بعض الأعيان من النساء أيضًا. وبعض من أسماء هؤلاء النساء قد سبقته صفة "المصونة" كما هو الحال في "المصونة فاطمة بنت الشيخ محمد القطبي"[٦٧]. كما تضمن أسماء بعض أولاد الأعيان، مضافين إلى اسم أبيهم. مثل: "أولاد الشيخ خليفة بن أبي الفرج الزمزمي"[٦٨].

---

(٦٢) الصفحة ٩/ب من الدفتر ١٣٢.

(٦٣) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢

(٦٤) الصفحة ٦/أ من الدفتر ١٣٢

(٦٥) الصفحة ١٠/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(٦٦) الصفحة ١١/أ من الدفتر رقم ١٣٢

(٦٧) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(٦٨) الصفحة ٤/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

وهذا يوحي بأن والدهم في تلك السنة لم يكن على قيد الحياة، أو أن الصرة المخصصة لأبيهم قد انتقلت إليهم بسبب الوفاة أو التفرغ. وجاء التصريح بأسماء الأولاد في بعض الأحيان. كما هو الحال في "محمود ومحمد وسليم وأم هاني وأمينة وفاطمة، أولاد مصطفى جلبي"[٦٩]. ووردت أسماء بعض الأعيان مع ذكر لفظ "أولاده". كما هو الحال في "الشيخ عبدالله بن حسن العفيف وأولاده"[٧٠]. وجاء ذكر لبعض الأولاد نيابة عن والدتهم، مثل "أولاد عبدالنبي بن محمد عن والدتهم أمينة"[٧١] وهذا يوحي أن المخصص المالي من الصرة انتقلت إليهم من والدتهم وليس من والدهم. كما استخدم فيها عبارة أخرى، هي "بقية الشيخ.." وهذا يوحي أنها انتقلت إلى ورثة هذا الشيخ. لكن يبدو لاستخدام كلمة "بقية" مفارقة لاستخدام كلمة "أولاد"، ولعل القصد منه أن الشيخ المشار إليه لم يعقب وإنما ترك وراءه نساءً. إلا أن المبلغ المخصص له يتجاوز المبلغ المخصص لقاضي مكة المكرمة، كما هو الحال في "بقية الشيخ محمد باوزير"[٧٢]، وهذا يدل على أن له معنى خاصًا في الاصطلاح العثماني. وكذلك استخدم لفظ "عيال" أيضًا إلى جانب استخدام لفظ "أولاد". كما هو الحال في "عيال مصطفى أفندي بن عبدالرحمن كره باش"[٧٣]. و"أولاد أسنية بنت الشيخ

---

(٦٩) الصفحة ٦/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٧٠) الصفحة ٦/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(٧١) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(٧٢) الصفحة ٤/أ من الدفتر ١٣٢.

(٧٣) الصفحة ٥/أ من الدفتر ١٣٢.

عبدالملك"[٧٤]. وقد وردت المقارنة بينهما في "أولاد وعيال وعتقاء الخوجه بهاء الدين النقشبندي"[٧٥] وهذا يدل على وجود فرق بينهما في الاستخدام. فلفظ العيال إذن يمكن أن يكون مأخوذاً من المعنى اللغوي وهو ما كان يعولهم المذكور، أي يُعينُهم في قوتهم[٧٦]. ومن هذا القبيل أيضًا استخدام لفظ "جماعة" فلان. كما هو الحال في جماعة قاضي مكة المكرمة، حيث خصص لهم خمسون سكة[٧٧]. واستخدام لفظ "تبعة" فلان، أي من أتباعه. كما هو الأمر في لغوس، من أتباع الشيخ عبدالكبير بن ياسين[٧٨]. ومنها "تابع". كما هو الحال في "عبدالله بن مثقال، تابِع السيد سيخان"[٧٩]. ومنها أيضًا لفظ "عتيقة" فلان، أي معتقته. كما هو الحال في معتَقتي شيخ الحرم، ماه أنور خاتون، ورحيمة خاتون، المخصص لهما اثنتا عشرة سكة ونصف[٨٠]. والجدير بالذكر أن هناك بعض الأسماء لعتقاء وعتيقات بعض الأعيان في مكة المكرمة من الأشراف ومن غيرهم، كان قد خصصت لهم مبالغ مالية من الصرة. مثل: سعيدة، عتيقة المصونة تعسر بنت الشيخ عبدالهادي أبو الليل[٨١].

---

(٧٤) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(٧٥) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(٧٦) انظر: المعجم الوسيط، ٦٣٧/٢

(٧٧) الصفحة ٤/أ من الدفتر ١٣٢.

(٧٨) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(٧٩) الصفحة ٦/أ من الدفتر ١٣٢.

(٨٠) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(٨١) الصفحة ١٣/أ من الدفتر ١٣٢.

وقد لحظ المؤلف اهتمامًا كبيرًا بالبنات في تخصيص مبالغ مالية لهن من الصرة. فقد ورد التصريح بأسماء ثلاث بنات للفقيه محمد بن إبراهيم البرعي، هن: سلمى وسعادة وأم هاني. ثم جاء ذكر لبناته الأخريات دون التسمية "بنات الفقيه إبراهيم البرعي..". ومن هنا يتبين أن لهذا الفقيه أكثر من ثلاث بنات خصصت لهن الصرة بدرجات متفاوتة، وصُرّح بأسماء ثلاث منهن[٨٢].

وقد تبين أن لعدة أشخاص في أسرة واحدة مخصصات مستقلة لكل واحد منهم. كما هو الحال في آل كره باش. ففي الوقت الذي خصص لمصطفى أفندي كره باش إحدى عشرة سكة ونصف، خصص لعيال مصطفى بن عبدالرحمن كره باش اثنتا عشرة سكة، ولخديجة بنت عبدالرحمن كره باش ست وعشرون سكة ونصف[٨٣]. كما هو الأمر كذلك في أسرة علان[٨٤].

تضمنت بعض الأسماء ذكر أفراد الأسرة الذين خصصت لهم الصرة. منها على سبيل المثال: الإمام علي الطبري. حيث جاء التصريح بأولاده من زوجتيه: عائشة وأمينة بنتي محمد عارف. وهذا يدل على أن له أولادًا من غيرهما أيضًا[٨٥]. ومن هذا القبيل أيضًا وجود التصريح ببعض الأسماء دون

---

(٨٢) الصفحة ٧/ب من الدفتر ١٣٢.

(٨٣) الصفحة ٥/أ من الدفتر ١٣٢.

(٨٤) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(٨٥) الصفحة ٥/أ من الدفتر ١٣٢.

اسم واحد. كما هو الحال في "أولاد القاضي محمود بن موسى ما عدا رقية"[٨٦]. وفي هذه الحالة إما أن رقية تنازلت عن مخصصها لعدم حاجتها إليه، أو أن لها مخصصًا مستقلاً عن إخوانها. ومن هذا القبيل أيضًا "بقية أولاد حسن رضا الطاهر ما عدا صفاء وطاهر"[٨٧].

ومع التصريح بأسماء أولاد بعض الأعلام، فقد جاءت أسماء أخرى مبهمة، مثلما ذكر "الشيخ مقبول بن عثمان الدهان"، و"رابعة بنت الشيخ عثمان الدهان" ثم جاء ذكر "أولاد الشيخ عثمان الدهان" وهذا يدل على أن هناك بعض الأولاد لهم مخصص مشترك، بينما كان لأخ وأخت مخصص مستقل[٨٨]. ومن هذا القبيل تخصيص مبلغ مستقل لشخص ما وابنه بدرجات متفاوتة. مثل: "عبدالقادر بن علي السروري" و"أولاد عبدالقادر السروري"[٨٩].

وقد لحظ الباحث أن المشتركين في حصة معينة من الصرة من غير أسرة واحدة، كانت حصتهم تسلم إليهم بحضور ناظر الصرة. كما سيأتي ذلك في القيد الموجود على صرة "ماه أنور خاتون ورحيمة خاتون"[٩٠]، وعلى صرة "الملا يعقوب أفندي ومحمد أفندي، أقرباء محمد عتاقي أفندي

---

(٨٦) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(٨٧) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(٨٨) الصفحة ٦/ب من الدفتر ١٣٢.

(٨٩) الصفحة ٧/ب من الدفتر ١٣٢.

(٩٠) الصفحة ٧/ب من الدفتر ١٣٢.

والملا إبراهيم عينتابي والملا حسن حميدي والشيخ عبدالوهاب قاري" المشتركة[٩١]. إلا نادرًا، ولا سيما إذا كان المبلغ المخصص قليلاً، كما في "وردة وثريا عتقاء صالحة بنت علي بن أحمد"[٩٢]. حيث لم يسلم المبلغ بحضور الناظر.

ومن جهة أخرى فقد تبين من استعراض بعض الأسماء الواردة في القسم الرابع من الدفتر - وهو الخاص بالأروام المجاورين في مكة المكرمة - أن بعض الموظفين العاملين في مناطق عديدة من الجزيرة العربية لم يرجعوا إلى الأناضول بعد انتهاء عملهم بل استقروا في مكة المكرمة. كما دلت على ذلك وظائفهم المصرح بها ضمن أسمائهم. من ذلك: رحمة بنت علي باشا، أمير أمراء الأحساء[٩٣]، وأولاد مصطفى أفندي قلنبوي قاضي جدة[٩٤]. كما تبين من استعراض الأسماء الواردة في القسم الخامس من الدفتر وهو الخاص بجماعة الأعاجم في مكة المكرمة أنه قد أدرج فيهم الهنود وأهل سمرقند وبخارى والكرمان وغيرهم من مسلمي قارة آسيا بعامة، كما أدرج فيهم بعض من أهل اليمن[٩٥].

وتبين أيضًا أن المخصص المالي لخدام مدرج (أي سُلَّم) البيت المعظم قد خُصص للوظيفة، بخلاف الأعيان من الأشخاص الواردة أسماؤهم مع وظائفهم في كل الدفتر،

(٩١) الصفحة ١٠/أ من الدفتر ١٣٢.

(٩٢) الصفحة ١٠/أ من الدفتر ١٣٢.

(٩٣) الصفحة ١٣/ب من الدفتر ١٣٢.

(٩٤) الصفحة ١٤/أ من الدفتر ١٣٢.

(٩٥) الصفحة ١٥/ب وما بعدها.

حيث لم ترد أسماء العاملين في خدمة المدرج، وإنما ورد اسم الوظيفة التي كان يعمل فيها اثنا عشر شخصًا، ومجموع مخصصاتهم أربع وعشرون سكة حسنة[٩٦]. وقد جرى ذلك أيضًا في الصرة المخصصة لشيخ الحرم، حيث لم يذكر اسمه بل ذكر منصب شيخ الحرم[٩٧]. (وقد تمكن الباحث من معرفة اسمه من خلال ذكر الأموال المخصصة لأتباعه. حيث ذكر "تابع شيخ الحرم محمد عتاقي أفندي"). ومثل ذلك جماعة آغاوات الحرم الشريف[٩٨]، الذين كانت لهم مخصصات من عدة جهات، إضافة إلى الصرة[٩٩]. ومثل ذلك المبالغ المخصصة لإزالة الحيوانات الميتة بين المعلاة وبين جبل عرفات[١٠٠].

وقد تبين للباحث أن بعض الأسماء تكرر ورودها مرتين في داخل المجموعة الواحدة. كما هو الأمر في الحاج شكر بن مصطفى الرومي وأولاده[١٠١]. وكذلك في محمد أفندي حجازي زاده في المجموعة ذاتها[١٠٢]. وقد تكرر أيضًا اسم مليحة بنت محمد يحيى في الجماعة التي تليها

---

(٩٦) الصفحة ١٨/أ.

(٩٧) الصفحة ٣٣/ب

(٩٨) الصفحة ٢٠/أ.

(٩٩) انظر على سبيل التمثيل: ص ٢٣/أ، و٢٣/ب، و٢٤/ب.

(١٠٠) انظر: ص ٤٣/أ.

(١٠١) الصفحة ٢٧/أ. وقد تكرر هذا الاسم للمرة الثالثة في صفحة ٢٨/ب.

(١٠٢) الصفحة ٢٨/أ.

مرتين[١٠٣]. بل هناك أسماء تكرر ورودها في داخل المجموعة الواحدة ثلاث مرات. كما هو الأمر في نور الصباح بنت عبدالله[١٠٤]. وإسماعيل بن محمد الشامي[١٠٥]، كما أن هناك أسماء تكرر ذكرها في داخل مجموعتين مختلفتين. مثل خديجة بنت عبدالرحمن كره باش[١٠٦]. وأسماء أخرى كثيرة.

ومن خلال فهرس الأعلام الذي عمله الباحث ولم يدرجه في هذا العمل تبين تكرر بعض الأسماء مرات عدة في دفتر الصرة الذي بين أيدينا. وقد أمكن للباحث من خلاله تصحيح بعض الأسماء أيضًا. فأحيانًا يأتي الاسم مختلفًا قليلا، قد يكون بسبب خطأ إملائي، مثل: محمد أبو إسكندر الحمصي، ومحمد أبو سكندر الحمصي. ومثل ذلك: فاطمة بنت الشيخ ياسين الطواشي، وفاطمة بنت الشيخ ياسين الطواسي. ومثل ذلك: القاضي محمد علي بن أحسن، والقاضي محمد علي بن حسن. ومثل ذلك: حسن بن يوسف المهدبي، وحسن بن يوسف المهدلي، وحسن بن يوسف المهدني. وأحيانًا يأتي مختصرًا، مثل: عبدالله بن أحمد باطيب، وفي موضع آخر: عبدالله أحمد باطيب الحضرمي. وأحيانًا يأتي الاسم مقلوبًا، مثل: عيال الفايد سالم المغربي، ومرة: عيال الفايد سالم بن أحمد الرحاق. ومرة ثالثة: عيال

---

(١٠٣) الصفحة ٢٨/أ، و ٢٨/ب.

(١٠٤) انظر على سبيل التمثيل: ص ٥٠/أ و ب.

(١٠٥) وقد تكرر اسم إسماعيل بن محمد الشامي ثلاث مرات في مجموعة واحدة. انظر: ص ٣١/ب و٣٢/ب.

(١٠٦) وقد تكرر اسمها في الصفحة ٥/أ وفي الصفحة ٢٨/ب.

سالم بن أحمد الرحاق المغربي، ومرة رابعة: سالم باصوم المغربي. ومثل ذلك أيضًا: عالمة بنت القاضي أحمد بن حسن، ومرة عالمة بنت القاضي أحمد بن أحسن، ومرة ثالثة: المصونة عالمة بنت القاضي بن حسن. ومثل ذلك: فاطمة بنت إبراهيم أولياء، ومرة: فاطمة بنت إبراهيم أولياء الرومي، ومثل ذلك: حلف الله بنت أحمد بن ياسين عرباطمة، وخلق الله بنت أحمد ياسين. ومثل ذلك: القاضي إمام الدين، ومرة: القاضي إمام الدين المرشدي، وأخرى: القاضي إمام الدين بن أحمد بن عيسى. ومثل ذلك: أسعد بن أكمل الدين، وأسعد بن أكمل الدين القطبي..إلخ. والحقيقة أن الباحث ترك دلالات هذا التنوع والاختلاف في إيراد الأسماء المكررة إلى الباحثين، وما يمكن استنتاجه في هذا الصدد من أمور. إلا أنه تجدر الإشارة في هذا الصدد أنه ليس تكرر الاسم دالاً بالضرورة على أن صاحبه قد أخذ نصيبًا أكثر من غيره؛ بل يكون له عتقاء أو أتباع أو أولاد لكل واحد منهم حصة توزع من خلالهم.

وفيما يأتي الجدول رقم (٢) موضح لأكثر الأسماء تكررًا في الدفتر:

جدول رقم (٢)

الاسم	عدد تكرار وروده
باعلوي، أبو بكر بن محمد بن عقيل	١٩ مرة
بيك زاده، أمة الله بنت مصطفى	١١ مرة
الدياربكري، علي بن جلبي	١١ مرة
باكير، عائشة بنت أحمد	٩ مرات
الرومي، مصطفى بن نصوح	٩ مرات
الزرعة، محمد بن أحمد	٩ مرات
السنجاري، محمد بن تقي الدين	٩ مرات
باصوم، سليمة بنت قاسم بن سالم	٨ مرات
حسن، محمد علي بن القاضي	٨ مرات
العفيف، عبدالله بن حسن	٨ مرات
باصوم، فاطمة بنت قاسم بن سالم	٧ مرات
باكير، صالحة بنت أحمد	٧ مرات
حسن، عالمة بنت القاضي أحمد بن	٧ مرات
الحضرمي، عبدالله بن أحمد باطيب	٧ مرات
الشامي، إسماعيل بن محمد	٧ مرات
المالكي، عبدالله بن علي بن خالد	٧ مرات

تابع: جدول رقم (٢)

الاسم	عدد تكرار وروده
الباغبادي، ميرك بن جمال الدين	٦ مرات
البحيري، سليمان بن حسن	٦ مرات
حجازي زاده، محمد أفندي	٦ مرات
الرومي، شكر بن مصطفى	٦ مرات
زيادة، عبدالغفار	٦ مرات
الصولاق، مريم بنت علي	٦ مرات
أرضرومي، أحمد جلبي بن محمد آغا	٥ مرات
باصوم، قاسم	٥ مرات
البلخي، ميركلان بن محمود	٥ مرات
الحنبلي، أحمد بن أبي بكر	٥ مرات
زيادة، حسن بن علي بن	٥ مرات
الصولاق، فاطمة بنت علي	٥ مرات
الطاهر، أحمد بن محمد أمين	٥ مرات
الفتني، أبو بكر بن سليمان	٥ مرات
الكركيه، عبدالرحمن بن محمد	٥ مرات
الكشميري، عبدالله بن حسين	٥ مرات

تابع: جدول رقم (٢)

الاسم	عدد تكرار وروده
المغربي، أمينة بنت عبدالله	٥ مرات
المفتي، عبدالرحمن بن عيسى	٥ مرات
الأزهري، كريم الدين	٤ مرات
أكمل الدين، أسعد بن	٤ مرات
البحيري، عبدالله بن حسن	٤ مرات
البحيري، قادري بن حسين	٤ مرات
البخاري، سليمة بنت جمال الدين	٤ مرات
الجزائري، علي بن محمد	٤ مرات
الحافي، لطف الله بن حسين	٤ مرات
الحرازي، علي بن محمد	٤ مرات
الحمصي، محمد أبو إسكندر	٤ مرات
الرحاق، الفائد سالم بن أحمد	٤ مرات
الرسام، قاسم بن طغور عمر	٤ مرات
أبو سلمة، إبراهيم بن عيسى	٤ مرات
الشاطر، حسين بن داود	٤ مرات
الشريفي، قاسم آغا	٤ مرات

تابع: جدول رقم (٢)

الاسم	عدد تكرار وروده
الشماع، الملا نذير بن قاسم	٤ مرات
عتاقي أفندي (شيخ الحرم)	٤ مرات
العشاشي، أحمد بن حسن	٤ مرات
علي باشا، أبو بكر باشا ابن	٤ مرات
القشاشي، أحمد بن حسن بن عبدالرحيم	٤ مرات
كتخدا، شعبان	٤ مرات
المحدلي، عبيد بن محمد	٤ مرات
المرحاوي، أحمد بن عمر	٤ مرات
المغربي، الفايد سالم	٤ مرات
ملا ولي، مليحة بنت محمد يحيى بن	٤ مرات
الملتاني، مصطفى بن سليمان	٤ مرات
ميرجرد، ميرغني بن	٤ مرات
الميركي، رحيمة بنت علي	٤ مرات
الناشف، الجمال محمد بن أحمد	٤ مرات
يحيى، مليحة بنت محمد	٤ مرات

واتضح للباحث أيضًا أن حصة الاسم الواحد إذا انتقلت إلى غيره بسبب وفاته أو غيرها من الأسباب، كان يقيد بجانبه قيد يفيد انتقال الحصة إلى غيره بموجب توجيه القاضي وشيخ الحرم وشريف مكة المكرمة(١٠٧).

القيود(١٠٨) الموجودة على بعض الأسماء:

ضم الدفتر الذي بين أيدينا بعض القيود على بعض الأسماء الواردة فيه. من ذلك وبالترتيب(١٠٩):

١ - القيد الموجود على اسمي: "ماه أنور خاتون ورحيمة خاتون" حيث ذكر هذا القيد أنه سلّم المبلغ للمذكورتين بحضور جناب الناظر(١١٠). وكذلك القيد الموجود على أسماء "الملا يعقوب أفندي ومحمد أفندي، أقرباء محمد عتاقي أفندي والملا إبراهيم عينتابي والملا حسن حميدي والشيخ عبدالوهاب قاري"(١١١). كما سلف ذكره.

٢ - القيد الموجود على اسم: مريم بنت الشيخ أبو السعود بن عبدالله بن حجر. حيث أشار هذا القيد إلى أن المشار إليها قد تبرعت بثلاث أعداد من الذهب [أي السكك]

---

(١٠٧) انظر على سبيل التمثيل: الصفحة ٣٢/أ، ٣٢/ب.

(١٠٨) يقصد بالقيود: التعليقات التي دونت على بعض الأسماء الواردة في هذا الدفتر، سواء في توضيح كيفية دفع المخصص إلى صاحبه، أو في نقل المخصص إلى غير صاحبه بموافقته، أو غير ذلك من الأمور.

(١٠٩) بناءً على إيراد تلك القيود هنا، فلم يشر إليها أثناء ورودها مع الأسماء في الدفتر.

(١١٠) الصفحة ٥/ب من الدفتر ١٣٢.

(١١١) الصفحة ١٠/أ من الدفتر ١٣٢.

إلى أولاد الشيخ عبدالرحمن بن حجر الشافعي من مجموع ست سكك، فبقي لها ثلاث سكك. ومن خلال هذا القيد يتبين أن السكك كانت ذهبية[١١٢].

٣ - القيد الموجود على اسم: "الشيخ علي الأيولي وكريمته خاتون" حيث أفاد هذا القيد أن الشيخ علي قد تنازل عن ذهبيتين اثنتين لأولاد الشيخ محمد المنتصر التونسي بموجب حجة شرعية، وأنه بذلك بقيت سكة واحدة لأبناء الشيخ على الأيولي، وهذا يدل في الوقت ذاته أن الشيخ لم يكن على قيد الحياة، إذ تفيد العبارة أن أولاد الشيخ محمد المنتصر قد راجعوا المحكمة الشرعية، أو أن الشيخ علي الأيولي قد أصدر حجة شرعية بذلك التنازل قبل وفاته[١١٣].

٤ - القيد الموجود على اسم: فاطمة بنت محمد الكركيه. حيث أفاد هذا القيد أن السيدة المشار إليها قد تنازلت عن خمس ذهبات من مجموع أحد عشر ذهبًا [سكة] هي حصتها من الصرة لكمال بن مياخان الأفغاني بموجب حجة شرعية مؤرخة في شهر رمضان ١٠٧٨هـ، وأنه بناءً على ذلك فقد بقي لها ست سكك[١١٤].

٥ - القيد الموجود على اسم: الشيخ أحمد بن ناصر الدين البحراوي. ويفيد أنه تنازل للحاج علي بموجب حجة

(١١٢) الصفحة ٦/ب من الدفتر ١٣٢.

(١١٣) الصفحة ٧/أ من الدفتر ١٣٢.

(١١٤) الصفحة ٨/أ من الدفتر ١٣٢.

شرعية صادرة في ١٥ ذي القعدة [على ما يبدو][١١٥] عام ١٠٧٨هـ. لكن لم يتبين للباحث المبلغ الذي تنازل عنه[١١٦].

٦ - القيد الموجود على اسم: أولاد يحيى بن قاسم بن سالم باصولم المغربي. ويفيد أنهم تنازلوا عن قسم من حصتهم من الصرة لغيرهم بموجب حجة شرعية. لكن لم يتضح للباحث لمن تنازلوا، والمبلغ الذي تنازلوا عنه[١١٧].

٧ - إقحام لاسمين في الصفحة التاسعة من الدفتر. وهو اسم: أولاد إسماعيل دحيدح المدني، وأولاد عبدالله بن ياقوت التلواتي. وقد ذكر بجانب كل منهما: "عن ساقط". وأفاد الشرح الموجود في الحاشية اليسرى من الاسمين المذكورين: أن الاسمين كانا موجودين في الأصل إلا أنهما سقطا سهوًا، وأنهما صُحِّحا ووُضعا في هذا المكان لنيل الثواب العظيم من الله تعالى.

٨ - أفاد القيد الموجود على اسم: خديجة بنت علي بن عبدالرحيم القشاشي أنها تنازلت عن حصتها لحسن بن علي وأولاده بموجب حجة شرعية صادرة في ١٧ ذي القعدة ١٠٧٨هـ، إلا أن المبلغ الذي تنازلت عنه لم يتضح للباحث[١١٨].

---

(١١٥) الخط الذي دون به القيد غير واضح؛ ولذلك ذكره الباحث بصيغة غير مؤكدة.

(١١٦) الصفحة ٨/ب من الدفتر ١٣٢.

(١١٧) الصفحة ٩/أ من الدفتر ١٣٢.

(١١٨) الصفحة ٩/ب من الدفتر ١٣٢.

٩ - القيد الموجود على اسم: قادري بن حسين البحيري. حيث ذكر هذا القيد أن المذكور تنازل عن خمس سكك من صرته إلى كل من كريمة وعائشة بنتي عبدالله حسن البحراوي في ٢٠ ذي القعدة ١٠٧٨هـ[١١٩].

١٠ - القيد الموجود على اسم: سعيدة بنت جميلة بنت خير الله عتيقة المتقي. حيث أفاد هذا القيد أنها تنازلت عن سكتين لعبدالله بن حسين الكشميري بموجب حجة شرعية في ١٧ ذي القعدة ١٠٧٨هـ، وأنه بقي لسعيدة المذكورة سكة واحدة[١٢٠].

١١ - القيد الموجود على اسم: أحمد بن حجازية بنت عمر الطبلاوي. حيث أفاد هذا القيد أنه تنازل عن مخصصه لعبدالله بن جزائري في ١٧ ؟ ١٠٧٨هـ[١٢١].

١٢ - القيد الموجود على اسم: الحاج إبراهيم عبدالله، مجاور عن عتقاء شيخ الحرم. وأفاد هذا القيد أنه سُلِّم المبلغ بحضور جناب الناظر، وأنه سُجِّل (أي المخصص) باسم الأولاد[١٢٢].

١٣ - القيد الموجود على اسم: السراحي عمر بن محمد صانع اللؤلؤ. وأفاد هذا القيد أن ابن المذكور الشيخ محمد المنتصر التونسي قد تنازل عن ذلك بموجب حجة شرعية في ٢٠ رجب ١٠٧٨هـ[١٢٣].

---

(١١٩) الصفحة ١٠/أ من الدفتر ١٣٢.

(١٢٠) الصفحة ١١/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٢١) الصفحة ١٢/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٢٢) الصفحة ١٢/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٢٣) الصفحة ١٢/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

١٤ - القيد الموجود على اسم: المصونة بصيرة بنت علي القباني. حيث أفاد هذا القيد أنها تنازلت عن حصتها من الصرة لأولاد نصرة الحمد بن محمد بموجب حجة شرعية في ١٩ ؟ ١٠٧٨هـ[١٢٤].

١٥ - القيد الموجود على اسم: عيال الفايد سالم بن أحمد الرحاق. أفاد هذا القيد أنهم تنازلوا عن حصتهم بموجب حجة شرعية في ١٧ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٢٥].

١٦ - القيد الموجود على اسم: تحيفة بنت عبدالله الحبشية عيال بلال شمس. حيث أفاد هذا القيد أنها تنازلت عن حصتها للشيخ محمد بن يوسف بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٢٦].

١٧ - القيد الموجود على اسم: مريم بنت صديق الصباغ وعبدالقادر. حيث أفاد هذا القيد أن المذكورة تنازلت عن حصتها لمريم بنت طه الخياط[١٢٧].

١٨ - القيد الموجود على اسم: أولاد بانو بنت عبدالله الأفروي. حيث أفاد القيد أنهم تنازلوا عن ست سكك من حصتهم لأولاد هيثم بن حبيب اللاهوري بموجب حجة شرعية غير مؤرخة[١٢٨].

---

(١٢٤) الصفحة ١٢/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٢٥) الصفحة ١٣/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٢٦) الصفحة ١٤/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٢٧) الصفحة ١٦/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٢٨) الصفحة ١٦/ب من الدفتر رقم ١٣٢

١٩ - القيد الموجود على اسم: عبدالقادر بن جلال العيني. وأفاد هذا القيد أنه تنازل عن حصته لأولاد عمر الفران بموجب حجة شرعية في ١٩ جمادى الآخرة ١٠٧٨هـ[١٢٩].

٢٠ - القيد الموجود على اسم: عطائي محمد أفندي كاتب رئيس البوابين. حيث ذكر هذا القيد أن المذكور تنازل عن حصته بحسن اختياره لأعلم العلماء[١٣٠] الشيخ جعفر أفندي الواعظ، وأنه بذلك سُجِّل اسم جعفر أفندي، في ٢ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٣١].

٢١ - القيد الموجود على اسم: رجب تابع الفايد سالم المغربي، مُشدّ باب عباس. حيث أفاد هذا القيد أنه تنازل عن حصته لمحمد أفندي الحجاري بموجب حجة شرعية غير مؤرخة[١٣٢].

٢٢ - القيد الموجود على اسم عبدالله الصعدي وأولاد محمد العسلي. حيث أفاد هذا القيد أن المذكورين تنازلوا عن حصتهم لِعلي الجزائري وعبدالله الجزائري بموجب حجة شرعية في ١٩ من ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٣٣].

---

(١٢٩) الصفحة ١٧/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٠) وصف الشيخ جعفر بأعلم العلماء ورد في الدفتر كما هو، فتقيد به الباحث. وإطلاق مثل هذه الأوصاف على بعض العلماء في عصورهم نسبي، وليس قطعيًا ويقينيًا.

(١٣١) الصفحة ١٩/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٢) الصفحة ٢١/أ من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٣) الصفحة ٢٣/ب من الدفتر رقم ١٣٢

٢٣ - القيد الموجود على اسم: السيد محمود ابن السيد محمد مفتي دياربكر سابقًا. وذكر هذا القيد أنه خُصِّص هذا المبلغ لأولاد السيد ميرغني البخاري بموجب حكم قاضي مكة مولانا السيد في ٢ ذي الحجة ١٠٧٨هـ(١٣٤).

٢٤ - القيد الموجود على اسم: المصونة خضراء بنت سعادة. وأفاد هذا القيد أنها تنازلت عن حصتها بالتبادل مع عائشة بنت محمد طيب البخاري بموجب حجة شرعية(١٣٥).

٢٥ - القيد الموجود على اسم: الشيخ عبدالرحمن بن حنيف الدين المرشدي. حيث ذكر هذا القيد أنه تنازل عن ثلاث سكك من حصته بالتبادل مع عبدالله بن محمد بن حجر المدني بموجب حجة شرعية(١٣٦).

٢٦ - القيد الموجود على اسم: صالحة بنت أبو القاسم المصري. وأفاد هذا القيد أنها تنازلت عن حصتها لمحمد وعلي وحسين وفاطمة أولاد صالحة بنت أبو القاسم المصري (أي أولادها)، بموجب حجة شرعية(١٣٧).

٢٧ - القيد الموجود على اسم: فاطمة بنت القاضي نجم الدين المالكي. حيث أفاد هذا القيد أنها تنازلت عن

---

(١٣٤) الصفحة ٢٣/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٥) الصفحة ٢٥/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٦) الصفحة ٢٧/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٧) الصفحة ٢٧/ب من الدفتر رقم ١٣٢

حصتها بالتبادل لفاطمة بنت الشيخ محمد الخطبي، بموجب حجة شرعية[١٣٨].

٢٨ - القيد الموجود على اسم خديجة بنت علي القشاشي. وأفاد هذا القيد أنها تنازلت عن حصتها بموجب حجة شرعية لحسن بن علي وأولاد عبدالرحمن طحنية بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٣٩].

٢٩ - القيد الموجود على اسم: عمر بن محمد صانع اللؤلؤ. حيث أفاد هذا القيد أن حصته من الصرة وهي أربع سكك، قد وجهت إلى خضراء خاتون، من أتباع محمد بيك بموجب توصية من القاضي وشيخ الحرم بسبب وفاة عمر بن محمد المذكور[١٤٠].

٣٠ - القيد الموجود على اسم: أولاد أحمد جلبي بن محمد الأرضرومي. وأفاد هذا القيد أنهم تنازلوا عن حصتهم من الصرة - وهي أربع سكك - لأولاد الشريفة أم هاني بنت حسين البخاري بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤١].

٣١ - القيد الموجود على اسم: الشيخ إسماعيل بن محمد الشامي. حيث أفاد القيد أن المذكور قد توفي، وأن

(١٣٨) الصفحة ٢٨/أ من الدفتر رقم ١٣٢

(١٣٩) الصفحة ٢٩/أ من الدفتر رقم ١٣٢

(١٤٠) الصفحة ٣٠/ب من الدفتر رقم ١٣٢

(١٤١) الصفحة ٣٠/ب من الدفتر رقم ١٣٢

حصته من الصرة قد قيدت بأسماء أولاده، بناءً على توجيه القاضي وشيخ الحرم والشريف سعد في ٢٠ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٢].

٣٢ - القيد الموجود على اسم: الشيخ إسماعيل بن محمد الشامي. للمرة الثانية. حيث أفاد القيد أن المذكور قد توفي، وأن حصته من الصرة - وهي ثلاث سكك - قد نقلت إلى السيدة خضراء خاتون، عتيقة محمد بيك شيخ الحرم الشريف[١٤٣].

٣٣ - القيد الموجود على اسم: عمر بن محمد صانع اللؤلؤ. حيث أفاد هذا القيد أن المذكور متوفى. وأن حصته من الصرة - وهي ست سكك - انتقلت إلى الشيخ محمد المنتصر التونسي، بموجب توجيه القاضي وشيخ الحرم والشريف سعد في ٢٠ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٤].

٣٤ - القيد الموجود على اسم: أولاد أحمد بن عمر المرحاوي. وقد أفاد هذا القيد أن المخصص لهذا الاسم - وهو ست سكك - قد قُسم بين: أولاد وعيال الشيخ علي بن محمد الحرازي أربع سكك من الذهب، وبين أولاد أحمد سكتان من الذهب[١٤٥].

٣٥ - القيد الموجود على اسم: إسماعيل بن محمد الشامي. حيث أفاد هذا القيد أن المذكور - الذي تكرر اسمه

---

(١٤٢) الصفحة ٣١/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٤٣) الصفحة ٣١/ب من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٤٤) الصفحة ٣٢/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

(١٤٥) الصفحة ٣٢/أ من الدفتر رقم ١٣٢.

ثلاث مرات في هذه القائمة وحدها - متوفى، وأن حصته من الصرة قد نقلت إلى السيدة خضراء خاتون، عتيقة محمد بك شيخ الحرم، بموجب توجيه القاضي وشيخ الحرم والشريف سعد في ٢٠ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٦].

٣٦ - القيد الموجود على اسم: أولاد أحمد جلبي الأرضرومي. فقد أفاد هذا القيد أن حصتهم من الصرة - وهي ثلاث سكك - انتقلت بالتبادل إلى أم هاني بنت السيد حسين بن محمد البخاري بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٧].

٣٧ - القيد الموجود على اسم: أولاد أحمد جلبي الأرضرومي. حيث أفاد هذا القيد أن حصة هذا الاسم قد انتقلت بالتبادل إلى أولاد الشريفة أم هاني بنت... حسين بن محمد... البخاري بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٨].

٣٨ - القيد الموجود على اسم: إسماعيل بن محمد الشامي الذي تكرر للمرة الرابعة. وقد أفاد هذا القيد أن حصة المذكور قد انتقلت إلى السيدة خضراء خاتون، عتيقة محمد بيك شيخ الحرم، بموجب توجيه القاضي وشيخ الحرم والشريف سعد، في ٢٠ ذي الحجة ١٠٧٨هـ[١٤٩].

---

(١٤٦) الصفحة ٣٢/ب.

(١٤٧) الصفحة ٣٣/ب.

(١٤٨) الصفحة ٣٤/أ.

(١٤٩) الصفحة ٣٤/ب.

٣٩ - القيد الموجود على اسم: الشيخ عبدالرحمن بن حنيف. وقد أفاد هذا القيد أن المذكور قد تفرغ من الحصة بالتبادل لعبدالله بن حسين كشميري، بموجب حجة شرعية في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ(١٥٠).

٤٠ - القيد الموجود على اسم: عبدالرحمن وسعادة ولديّ محمد الكركيه. حيث أفاد هذا القيد أن حصة عبدالرحمن بن محمد الكركيه - وهي خمس سكك حسنة - قد انتقلت إلى كمال بن مياخان الأفغاني بموجب حجة شرعية صادرة في ١٠٧٨هـ. وبقيت حصة سعادة بنت محمد الكركيه - وهي خمس سكك حسنة - مخصصة لها(١٥١).

٤١ - القيد الموجود على اسم: أولاد أحمد جلبي بن محمد الأرضرومي. وقد أفاد هذا القيد أن حصة المذكورين قد انتقلت بالتبادل إلى الشريفة أم هاني بنت محمد حده البخاري بموجب حجة شرعية صادرة في ١٩ ذي الحجة ١٠٧٨هـ(١٥٢).

هذا.. وقد أفادت المعلومات الواردة في الصفحة الثانية والأربعين من الدفتر أن مجموع الأموال المخصصة للأسماء المحددة وغير المحددة التي استلمها أمين الصرة في ٦ رجب ١٠٧٨هـ لتوزيعها على أهالي مكة المكرمة من الصرة قد بلغ

(١٥٠) الصفحة ٣٥/أ.

(١٥١) الصفحة ٣٥/أ.

(١٥٢) الصفحة ٣٥/ب.

أربعة عشر ألفًا وثمانمئة وإحدى وسبعين سكة. منها أربعة آلاف وأربع مئة وتسع وثمانون سكة حسنة للأسماء غير المحددة، وعشرة آلاف وثلاثمئة واثنتان وثمانون سكة حسنة للأسماء المحددة. كما تضمنت هذه الصفحة أربع عبارات مستقلة، وتحت كل منها ختم صاحبها:

العبارة الأولى:

حرر هذا الدفتر بمعرفة الأفقر مصلي [هكذا] آغا دار السعادة الشريفة الناظر على أوقاف الحرمين الشريفين. والاسم الموجود داخل الختم لم يتضح للباحث.

العبارة الثانية:

الدفتر الذي يعمل بفذلكته(١٥٣) رُقّم بمعرفة الفقير إليه سبحانه إبراهيم المعيَّن على أوقاف الحرمين الشريفين. والاسم الموجود داخل الختم لم يتضح للباحث.

العبارة الثالثة:

وزع ما فيه بين أصحابه، وأوصل الخير لطلابه، تقبل الله تعالى ذلك من حضرة صاحب الحسنات وأدامه ما دامت الأرض والسماوات. وكتبه الفقير السيد عبدالله القاضي بمكة المكرمة دامت مشرَّفة ومعظَّمة. ختم: عبدالله بن محمد.

(١٥٣) الفذلكة: هي الكلام المفروغ من شرحه وتفصيله. والمقصود هنا أي بمضمونه.

العبارة الرابعة:

قسم وزع ما فيه بين أربابه ومستحقيه بمعرفة الفقير محمد أمير اللواء[١٥٤] وشيخ الحرم بمكة المشرفة وحاكم جدة. ختم: محمد، وما توفيقي إلا بالله.

الخاتمة:

إن ما عُرض بشيء من الاقتضاب من دفتر الصرة رقم (١٣٢) هو غيض من فيض. فقد أفادت المعلومات الواردة في هذا الدفتر وما يمكن أن يستنبطه الباحث مما وراء النصوص والأسماء، كثيرًا من المعلومات عن المجتمع المكي في حياته الدينية والثقافية والاجتماعية في أواخر القرن الحادي عشر الهجري. فقد أفاد الدفتر أن للحرم الشريف في ذلك الوقت أكثر من عشرة أبواب. هي: باب السلام، وباب الزيادة، وباب الباسطية، وباب العمرة، وباب أم هاني، وباب الرحمة، وباب الصفا، وباب علي، إضافة إلى الأبواب الأخرى المذكورة في القسم الخاص بمشدي أبواب الحرم. وأن عدد الأربطة الموجودة في مكة المكرمة في ذلك التاريخ قد بلغ خمسة وعشرين رباطًا وقد أوردت أسماءها، ومعظمها بجوار الحرم الشريف، ضم خمسمئة وسبعة وسبعين شخصًا، قد يكون بعضهم أُسرًا لم يذكر منها إلا فرد واحد. كما تضمن معلومات مفيدة عن الوظائف الموجودة في ذلك التاريخ بالحرم الشريف، كالإمامة والخطابة والسقاية

(١٥٤) يقصد بأمير اللواء هنا: أي القائد العسكري. ومعلوم أن والي جدة كان القائدَ العسكري أيضًا للمنطقة.

والفراشة، وإشعال القناديل وإغلاق الأبواب وفتحها، إضافة إلى التعرف إلى أسماء أعيان تلك الحقبة في مكة المكرمة وعلمائها ممن كانت لهم مخصصات مالية، سواء من الصرة أو من الأوقاف التي كانت ترسل مع الصرة التي تحملها قافلة الحج في كل سنة. ومن جهة أخرى فإن معرفة وظائف الحرم، والإلمام بأسماء أبوابها يسهم بشكل كبير في التعرف إلى التطورات التي طرأت على الحرم المكي الشريف، ويعطي المجال لإجراء مقارنة بين وضعها في تلك الحقبة، ووضعها ما قبل ذلك وما بعده.

ومما لا شك فيه أن الاطلاع على تلك الدفاتر ومقارنة بعضها ببعض بالتسلسل التاريخي سوف يوضح كثيرًا من الأمور الاجتماعية للمجتمع المكي، ويساعد على التعرف إلى الأربطة الموجودة في مكة المكرمة على سبيل المثال، وكيفية إقامتها، والحقبة التي انتعشت فيها، وأوضاع القاطنين فيها من خلال مقارنة المعلومات الواردة في تلك الدفاتر.

وأخيرًا فإنني أوصي في هذا المقام الأساتذة والباحثين في حقل التاريخ أن يلتفتوا إلى دفاتر الصرة في الأرشيف العثماني، وإعداد بحوث علمية في ضوئها عن المجتمع المكي، فسوف تفتح أمامهم آفاق من البحث العلمي المتميز من خلال دفاتر الصرة التي تمتد ما لا يقل عن أربعة قرون، من بدايات القرن الحادي عشر حتى العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري. وإذا علمنا أن طريق الحج قد أصبح المركز الاقتصادي الأمثل للمنطقة في العهد العثماني، وأن الانتعاش

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

الاقتصادي للمنطقة والقبائل القاطنة فيها كان مبنيًا على ذلك الطريق لمدة أربعمئة سنة على أقل تقدير، اتضحت لنا أهمية الموضوع، وجدواه التاريخية.

الملاحق

تقسيمات صرة شريفه خاقانيه روميه جديده كه براى
اهالى مكه مكرمه فرستاده شده در واجب سنه
ثمان وسبعين والف

مولانا قاضى
مكه مكرمه
دامت فضائله

جماعت
مولانا بابى
مسنار الله

اولاد السيد محمد
بن على بافقيه
العيدروس

اولاد السيد حسين
بن على بافقيه
العيدروس

السيد احمد بن
السيد عبدالله
بافقيه العيدروس

اولاد لطيفه بنت
الشيخ عبدالرحمن
باو... الخطيب

جزء من الورقة الأولى من الدفتر رقم ١٣٢

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ السنة الرابعة والثلاثون

جماعت
مذكورين عن اوقاف مرحوم الحاج مصطفى اغا اغاى
سابق دار السعاده كه براى اهالئ مكهٔ مكرمه

اغوات حرم شريف جملهسى
على السويه مابينلرنده تقسيم ايليوب
صرف ايده لر
سنه
١٢٧٦
فى

صلوة خمسه عواقبنده مكهٔ مكرمه ده اغا مرحومك
روحيچون بر فاتحه شريفه واوچ اخلاص شريف
واون صلوات شريفه قراءت اولنمق ايچون تعيين اولنمشدركه
ذكر اولنور

شيخ الحرم الشريف ناظر
سنه
اوقات

مليحه بنت محمد يحيى
سنه
اوقات

اولاد ملا حضر البخارى السمرقندى
سنه
التى

جزء من الورقة الرابعة عشرة من الدفتر

عن وقف
مرحوم خواجه رسول براى اجزاخوانان در مكهٔ مكرمه
عروس كامل
عدد
ما
بوز

عن وقف
مرحومه ماه دوران خاتون براى جزو شريف در مكهٔ مكرمه
بنام الشيخ ابو الفرج
من حلقة الزمزمي
عروس كامل
عدد
بقا
طقوز

عن وقف
مرحومه ومغفورلها الحاجه كوهرجان سلطان
طابت ثراها براى اجزاخوانان در مكهٔ مكرمه
شيخ الحرم الشريف
ناظر اجزاء الشريفه
عروس كامل سالك
عدد
اون درت

اولاد السيد ...	هاشم بن قاسم	اولاد الملا افندي
...	الحريري	قاسم الشماع
عروس كامل	عروس كامل	عروس كامل
عدد	عدد	عدد
اون درت	اون درت	اون درت

جزء من الورقة الثانية والعشرين من الدفتر

جزء من الورقة الخامسة والعشرين من الدفتر

دور شركة الزيت العربية الأمريكية "أرامكو" في تنمية المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية (١٣٦٣–١٣٨٤هـ/١٩٤٤–١٩٦٤م)(*)

إعداد: د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري
قسم الدراسات الاجتماعية - كلية المعلمين - جامعة الملك سعود

تعد قضية التنمية من القضايا المهمة في دول العالم المعاصر، وذلك لارتباطها بالتقدم الحضاري والاقتصادي في بلدان العالم المختلفة، فهي تشغل أولويات اهتمام القيادات الوطنية، والمؤسسات الرسمية والشعبية في هذه الدول، خاصة ما يعرف بالدول النامية، التي تسعى إلى تحقيق هذه التنمية بوسائل عدة، منها: اكتشاف موارد المجتمع الطبيعية، والبشرية، وتنميتها، واستخدامها الاستخدام الأمثل لهذه الغاية.

وقد سعت بعض الدول النامية إلى الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة تنمويًا في مجالات اكتشاف مواردها الاقتصادية المختلفة وتطويرها، وتمثلت الاستفادة من هذه الخبرات – في

(*) قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض في رمضان ١٤٢٧هـ/ أكتوبر ٢٠٠٦م.

أكثر البلدان - في الاتفاق مع الشركات الكبرى في الدول المتقدمة للقيام بهذه المهمة، وتُعوِّل الدول النامية كثيرًا على هذه الشركات؛ لتكون وسيلة لنقل وسائل التقدم التنموي والتقني إليها.

وبما أن مجتمع الخليج العربي في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين - فترة اكتشاف النفط فيه - لم يكن في وضع تنموي يؤهله للكشف عن هذه الثروة، والاستفادة منها؛ فقد تنافست الشركات العالمية في الكشف عن النفط، وإنتاجه في هذه المنطقة، وتقاسمت مناطق النفوذ، والامتيازات فيها، بالاتفاق مع الحكومات المحلية ومنها: شركة Standard Oil of California المعروفة اختصارًا بـ(SOCAL)، التي حصلت على امتياز التنقيب عن النفط، وإنتاجه في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في ٤ صفر من عام ١٣٥٢هـ/ ٢٩ مايو١٩٣٣م، وبعد خمس سنوات من العمل المتواصل استطاعت هذه الشركة إنتاج كميات تجارية من هذه المادة، مفتتحة بذلك فجر عصر جديد لهذه المنطقة، ودخول مظاهر حضارية ومدنية حديثة غير معروفة فيها من قبل. حيث أخذت تشهد المنطقة الشرقية خاصة، وجميع مناطق المملكة عامة تحولات مختلفة في نواحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وكان لشركة النفط - التي عُدِّل اسمها لاحقًا إلى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) - دورٌ في عملية التحول هذه.

دوافع اختيار الموضوع:

مما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع؛ قلة الدراسات التاريخية التي تتناول بدايات التنمية في المملكة؛ تلك الدراسات العلمية التي توثق مراحل التنمية، وخططها، وتتناول الأطراف التي شاركت فيها، وتقويم آثارها على المجتمع. ولذا كان هذا البحث خطوة في هذا المجال، ولبنة في بناء تاريخنا الوطني.

ومن الدوافع أيضًا أن شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، التي عملت في المملكة ما يقرب من نصف قرن من الزمن تعد جزءًا من تاريخنا الوطني، تعامل معها أبناء هذه البلاد سواء الذين عملوا فيها أو الذين عرفوا عنها، وتعرفوا من خلالها على حضارة جديدة، وعالم يختلف عما تعارفوا عليه منذ قرون عدة، حيث كانت أرامكو - في وقت من الأوقات - النافذة الوحيدة التي اطلع منها المواطن السعودي على هذه الحضارة المختلفة، والثقافة المغايرة؛ لذلك فإن دراسة تأثير شركة أرامكو في المجتمع الذي عملت في حدوده كان من أسباب اختيار هذا الموضوع.

أرامكو التي عملت في المملكة تعد جزءاً من تاريخنا الوطني

ومما له علاقة بأسباب اختيار موضوع الرسالة أن ما تختزنه ذاكرة الشعوب في الدول النامية، وأدبياتها أيضًا، عادة ما تكون صورة نمطية سلبية عن الشركات الأجنبية المستثمرة في بلادها، فهي مقرونة بصفات منها: الاحتكار، والجشع، وسلب الثروات، وتحقيق الأرباح الكبيرة على حساب

برامج التنمية في البلدان التي تعمل فيها، وضعف مشاركة هذه الشركات في تطوير البلدان التي تستثمر فيها. وقد كان لهذا الانطباع أثره في دفع الباحث لطرق هذا الموضوع بصورة علمية موضوعية لمحاولة التعرف على ما قدمته شركة أرامكو للمجتمع الذي تعيش في محيطه، خاصة وأن شركة أرامكو الأمريكية أنهت أعمالها في المملكة، وأصبحت شركة وطنية بصورة كاملة، وعدل اسمها في عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م من شركة الزيت العربية الأمريكية، إلى شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية).

أهم مصادر الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على تقارير أرامكو بصورة أساسية، وهي تقارير منها ما يصدر سنويًا، ويرفع رسميًا إلى الحكومة السعودية، ويوجد منها نسخة كاملة في قسم المجموعات الخاصة بمكتبة أرامكو السعودية في الظهران، ومنها تقارير موضوعية تتعلق بأمور مثل الزراعة، والنقل، والتعليم، والتدريب...، وهذه التقارير تمكن الباحث من الإفادة منها في مكتبة أرامكو في الظهران، أو ضمن أوراق مليغان، وتعد جميعها وثائق غير منشورة، ويمكن تفصيل الحديث عنها كما يأتي:

أ - الوثائق والأوراق غير المنشورة: وهي وثائق أرامكو نفسها، حيث يعد الباحث نفسه محظوظًا، بأن تكون دراسته هذه أول دراسة عربية - فيما يعلم - تفيد من إتاحة وثائق أرامكو للباحثين من خلال أوراق مليغان William Mulli-gan papers التي أصبحت من مقتنيات جامعة جورج

تاون في العاصمة الأمريكية واشنطن، ونشرت فهرسًا لها، وهي تحوي مراسلات، وتقارير مختلفة تتناول علاقات الشركة بحكومة المملكة، ودراسات عديدة عن الجزيرة العربية بصفة عامة والمملكة ومجتمعها بصورة خاصة، ومن هذه الأوراق نسخة على الميكروفيلم في الظهران، مع مكتبة مليغان الخاصة ضمن قسم المجموعات الخاصة في الظهران، ونسخة أخرى في دارة الملك عبدالعزيز.

ب - التقارير: اعتمدت الدراسة على عددٍ من التقارير التي تتناول موضوعات مختلفة، منها:

1- Aramco: (January 1971) Donation, Contributions, and Assistance to Saudi Arabia 1933-1970.

وهو تقرير في غاية الأهمية لهذه الدراسة فهو يتناول المساعدات والهبات والمنح التي قدمتها أرامكو خلال أكثر من ثلاثة عقود ونصف، في مجالات الصحة والتعليم، والمساعدات الفنية، والتمويلية للقطاع الخاص في المنطقة الشرقية مع بيان شامل بالمبالغ المصروفة على هذه المشاريع.

٢ - تقرير يتضمن معلومات أساسية رسمية من الشركة بعنوان:

Aramco: (1961), Essential Background Information on Aramco's Part in..."

وهذا التقرير يتضمن معلومات عن دور أرامكو في

موضوعات متعددة مثل: التصنيع، والتدريب، والمشتريات من التجار المحليين، وعرض لتلفزيون أرامكو، وغيرها مما هو مشار إليه في ثنايا البحث.

٣ - تقرير عن النقل ودور أرامكو في هذا المجال، يتطرق في مقدمته إلى وسائل النقل القديمة في المنطقة الشرقية، ثم يستعرض دور أرامكو في النقل، والطرق، وهو بعنوان:

Mulligan, W. E, The Impact of Aramco on Transportation in Saudi Arabia.

٤ - تقرير يرصد جهود أرامكو في مجال الزراعة، أعده المهندس الزراعي سامي لبان بطلب من الشركة، وعلى الرغم من اختصاره إلا أنه أفاد الباحث في إلمامه بإسهام أرامكو في هذا الشأن، وهذا التقرير حصل عليه الباحث من معده، وهو بعنوان:

Labban, Sami A. (July 12, 1970), ARAMCO'S Contribution to the Development of Agriculture in the Eastern Province.

٥ - تقرير يتناول المدارس التي أقامتها أرامكو وخلفيات التفاوض مع حكومة المملكة في شأن المدارس، ضمن أوراق مليغان، وهو بعنوان:

Aramco, (10 October 1967), Historical Survey Aramco Schools for Children of its Arab & Muslim Employees.

٦ - تقارير أرامكو السنوية المرفوعة للحكومة، خلال فترة الدراسة (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م-١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وهي تتضمن معلومات شاملة عن عمليات الشركة الاستكشافية لمكامن النفط، والإنتاج، والتصدير، وعن الخدمات التي تقوم بها الشركة في مناطق عملياتها الثلاث، وكان لهذه التقارير أهمية بالغة للبحث.

جـ - محاضر الاجتماعات: وأهمها محضر اجتماعات يبحث في نتائج دراسة أعدتها أرامكو بالتعاون مع أحد المكاتب الاستشارية في بيروت عن التنمية، وهو رصد شامل لمظاهر التنمية في المنطقة الشرقية إلى سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، وهو بعنوان:

Aramco, Development of Saudi Arabia, ADD- ACE Conference Minutes, 3-6 February, 1958

ويقوم على دراسة ميدانية للمؤسسات التجارية والصناعية ومختلف الأنشطة التنموية في الدمام والخبر بصفة خاصة.

د - المصادر والمراجع: افاد الباحث من عدد من المصادر والمراجع المهمة مثل:

١ - كتاب "التاريخ السري لشركات النفط في الشرق الأوسط"، وهو في مجلدين بعنوان:

Kennedy, William J (ed)., Secret History of the Oil Companies in the Middle East, (Documentary Publications Salisbury, N.C U.S.A,1979).

وهو في الواقع وثائق خاصة بأرامكو تتناول مراسلاتها مع جهات مختلفة، وردود هذه الجهات عليها خلال أربع سنوات (مارس ١٩٤٥م- ديسمبر ١٩٤٩م)، وأفادت الدراسة من هذه المراسلات فيما يتعلق بمطالب العمال السعوديين عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وموقف الشركة منها.

٢- استفاد البحث من الوثائق البريطانية المنشورة في عدة مجلدات بعنوان:

Tuson, Penelope and Burdett, Anita (editors)., Records of Saudi Arabia Primary Documents 1902- 1960, (Archive Editions, London, 1992).

خاصة المجلد الثامن منها، حيث يضم جانبًا من مطالب العمال من الشركة في شهر صفر ١٣٧٣هـ/ أكتوبر ١٩٥٣م، وأفادت هذه الوثائق، والتي قبلها الدراسة في معرفة ضروريات التنمية كما تصورها مطالب العمال، والتغير الذي حدث بعد ذلك، ومن جانب آخر مكنت الباحث من الاطلاع على وجهة نظر أخرى.

3 - Dialdin, Ali M. and Muhammad A.Tahlawi,. Saudi Aramco and its People, A History of Training, (Dhahran, 1998).

يتناول هذا الكتاب تاريخ التعليم، والتدريب في أرامكو، ومراحله منذ بداية الستينيات الهجرية/

الأربعينيات الميلادية، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في تناول التعليم المبكر في أرامكو بصفة خاصة.

4 - Hicke, Carol (Interviews Conductor), American Perspectives of Aramco, the Saudi-Arabian oil-producing Company, 1933S To 1980S, (University of California 1995).

يمثل هذا الكتاب حصيلة روايات عدة شفوية لعدد من مسؤولي أرامكو الأمريكيين الذين عملوا فيها منذ الستينيات الهجرية/ الأربعينيات الميلادية، وأفادت البحث من هذه الروايات في عدد من فصول الرسالة، خاصة في أهداف التنمية التي أسهمت بها أرامكو، وانطباعاتهم وذكرياتهم عن المراحل التي مرت بها التنمية في المنطقة الشرقية.

كما أفادت الدراسة من عددٍ من الكتابات المحلية والمراجع العربية، والأجنبية الأخرى، والصحف المحلية المعاصرة للفترة التي يتناولها البحث، سواء من حيث المادة العلمية أو الرؤية، وعرض وجهات النظر المختلفة.

فصول الدراسة:

قسم الباحث الرسالة إلى تمهيد وفصول ستة وخاتمة وأربعة عشر ملحقًا، وهي كما يأتي:

التمهيد: وقد تضمن عرضًا موجزًا لموقع المنطقة الشرقية الجغرافي، ثم لمحة تاريخية عن حصول شركة أرامكو على

حق تنقيب النفط وإنتاجه، ثم عرض لأوجه النشاط الاقتصادي في المنطقة الشرقية قبل اكتشاف النفط.

أما الفصل الأول فهو بعنوان "دور أرامكو في التنمية الاقتصادية في المنطقة الشرقية"، ويشتمل على توطئة تعرّف بمفهوم التنمية، ثم العلاقة بين التنمية والتغير الاجتماعي، ثم يعرض بشيء من التفصيل لدوافع أرامكو للإسهام في التنمية، يليه استعراض لمجالات التنمية الاقتصادية التي أسهمت بها أرامكو من توفير فرص العمل، وما يتبع ذلك من الأجور والرواتب، وعوائد نظام الادخار، والتعويضات، والتقاعد، ثم عرض لإسهامات أرامكو في تقديم مساعدات فنية مختلفة لتنمية صناعات القطاع الخاص، وتسليم هذا القطاع بعض مقاولات الشركة، وتموين بعض مشترياتها من الموردين والتجار المحليين، والتسهيلات المالية للقطاع الخاص، تلي ذلك لمحة عن جهود أرامكو في مجال استثمار الغاز الطبيعي لدى الشركات العالمية، ويختم هذا الفصل بعرض لجهود أرامكو في التعاون مع وكالات التنمية الاقتصادية في المملكة، ثم لمحة عن بعض آثار التنمية الاقتصادية على المجتمع.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان "دور أرامكو في المواصلات والعمران"، ويتناول الباحث هذا الموضوع من عدة محاور، أولها: عرض موجز عن الطرق ووسائل النقل قبل النفط، والمحور الثاني: عن دور أرامكو في توفير خدمات النقل، ويستعرض فيه دور الشركة في شق الطرق، ودورها في بناء ميناء الدمام وسكة الحديد السعودية، وفي المحور الثالث:

يتناول الباحث الاستيطان في المنطقة الشرقية قبل النفط، ثم يليه بيان لدور أرامكو في التنمية العمرانية، ويتطرق من خلاله لبرنامج تمليك البيوت، وبرنامج تخطيط المدن، ثم عرضٌ لآثارهما الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية.

وقد عالج الفصل الثالث دور أرامكو في توفير الخدمات الصحية في المنطقة الشرقية. ويتناول الباحث من خلاله الموضوع من محورين الأول: الأوضاع الصحية قبل النفط، وفي الثاني: دور أرامكو في توفير الخدمات الصحية في المنطقة، ويستعرض فيه دور أرامكو في الطب العلاجي، من بناء المراكز الصحية، وتشجيع القطاع الصحي الخاص، والتعاون مع الجهود الصحية الرسمية، ثم يتحدث عن دور أرامكو في الطب الوقائي، من خلال برنامج مكافحة الملاريا، وبرنامج أبحاث التراخوما، يلي ذلك عرض لجهود أرامكو الصحية من خلال حملات التطعيم ضد الأمراض المعدية، مثل: الجدري، والسل الرئوي، الحصبة، وأخيرًا التوعية والتثقيف الصحي.

وتناول الفصل الرابع دور أرامكو في التنمية الزراعية ومشاريع المياه، وقد استعرض الباحث في هذا الفصل إسهامات أرامكو في هذا المجال من محاور عدة هي أولاً: دور أرامكو في التنمية الزراعية، وذلك من خلال إقامة مزارع نموذجية إرشادية في القطيف والهفوف، والإسهام في مشروع محطة التجارب الزراعية في القطيف والهفوف، وإسهامها في مشروع الفيصل الزراعي النموذجي في حرض، وجهودها في الوقاية من الحشرات، والآفات

الزراعية، ودورها في قيام مزارع لتربية الدواجن، وصيد الأسماك، وإسهامها في مشروع صد الرمال في الأحساء، وأخيرًا تشجيع المزارعين بشراء محاصيلهم الزراعية. وتناول المحور الثاني: دور أرامكو في مشاريع المياه، من خلال حفر آبار المياه في مواقع مختلفة من المنطقة الشرقية، والإسهام في مشروع تصريف المياه في القطيف، ومشروع الري في القطيف. وأخيرًا كان المحور الثالث عن آثار التنمية الزراعية ومشاريع المياه في المنطقة.

الفصل الخامس لبيان دور أرامكو في الحياة العلمية، حيث بدأ الباحث فيه بلمحة عن التعليم في المنطقة الشرقية قبل النفط، ثم استعراض لدور أرامكو في التعليم، والتدريب المبكر لعمالها، ثم المشاركة في برنامج محو الأمية، وإقامتها لبرامج التدريب المختلفة، ثم عرض لبرنامج بناء المدارس لمراحل التعليم العام بنين وبنات، وبرنامج منح الابتعاث إلى خارج المملكة لغير الموظفين، ثم لمحة عن برنامج توظيف طلاب المدارس والجامعات خلال الإجازة الصيفية.

الفصل السادس لبيان دور أرامكو في الحياة الثقافية، يسبقه توطئة مختصرة عن الثقافة في المنطقة قبل النفط، ثم عرض لجهود أرامكو الثقافية من خلال افتتاح إذاعة وتلفزيون أرامكو، وإقامة برامج الترفيه، وإيجاد المكتبات، ونشر الصحف والمجلات، ثم عرض للدراسات العلمية حول الجزيرة العربية التي قامت بها أرامكو، وأخيرًا عرض لتأثير أرامكو الثقافي في المنطقة.

نتائج الدراسة:

حاولت الدراسة بصورة أساسية تسليط الضوء على نقاط تقاطعت فيها مصالح مجتمع المنطقة الشرقية مع مصالح شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)، وهذه الحالة من اتفاق المصالح بين الطرفين، أو تقاطعها، أدى بالشركة إلى القيام بصور من التنمية في هذه المنطقة، كما حاولت الدراسة من جانب آخر معرفة انعكاس هذه التنمية، وآثارها على التغير الذي أحدثته على أوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فبالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية العالمية التي تخيم على العالم بصفة عامة ومنها المملكة، في تلك الفترة، فإن ابن المنطقة الشرقية عانى أزمة أعمق، فقد تأثر في أكبر مقومين من مقومات الحياة الاقتصادية للمجتمع هناك، وهما الغوص لصيد اللؤلؤ، والزراعة التي تقوم على إنتاج التمور. فقد أصيب هذان المقومان الاقتصاديان بشلل شبه كامل، فقد انهار الأول تمامًا، وتقلص تصدير المنتج الثاني (التمور) للخارج إلى الربع أو أقل، وهذا يعني ضعف دخل المجتمع من النقد الأجنبي، وقلة المال في أيدي الناس. وهذا أثر بدوره على الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي كانت تقوم على سد الحاجة الذاتية، مثل: التجارة والصناعات، والمهن اليدوية، بل إن شريحة من المجتمع كانت مدينة لشريحة أخرى نتيجة لانهيار مهنة الغوص، وبذلك يمكن القول: إن إنسان تلك الفترة في المنطقة الشرقية من المملكة والخليج العربي عمومًا وصل إلى أفق مسدود من الناحية الاقتصادية، وبقي قابعًا ينتظر الفرج من الله.

يمثل اكتشاف النفط بكميات تجارية من بئر الدمام (رقم ٧) في الظهران يوم الجمعة الثالث من شهر محرم لسنة ١٣٥٧هـ/ ٤ مارس ١٩٣٨م، ذلك الفرج، فقد كان بداية بزوغ فجر جديد في تاريخ المملكة، وانطلاقة انقلاب حضاري شبه كامل في شتى مناحي حياة سكان هذه البلاد لم تشهده في تاريخها، ولا يفوقه في الأثر إلا ظهور الإسلام فيها قبل ذلك بقرون عديدة.

على الرغم من اكتشاف النفط بكميات تجارية في التاريخ المشار إليه سابقًا، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية وتداعياتها أوقف أعمال الشركة خلال سنوات الحرب، بصورة شبه كاملة، ولكن بعد الحرب اتضحت لأرامكو معالم مستقبلها، فبقدر ما اطمأنت إلى ضخامة كميات النفط في مناطق امتيازها، تأكد لديها من جانب آخر ضخامة حجم رأس المال المطلوب لاستثمار هذا النفط، وإقامة البنى التحتية المطلوبة في الصناعة النفطية، في منطقة تنعدم فيها كل الوسائل المطلوبة في هذه الصناعة، وقد استطاعت إقناع عدة شركات أمريكية بجدوى الاستثمار معها، وزيادة رأس مالها، ونجحت في ذلك، وتغيرت بنية الشركة، وعاد النشاط إليها، وزاد الطلب على النفط، وتوافد على مراكز أعمال الشركة النفطية آلاف العمال من خارج المملكة، ومن داخلها في مؤشر إلى حجم البطالة بين القادرين على العمل، ومدى حاجة الناس إلى العمل في أي نوع من أنواعه، مهما كانت ظروف السفر إليه بالغة الصعوبة.

أيقنت أرامكو في ظل هذه الظروف مدى حاجتها إلى تنمية مناطق عملياتها، مدفوعة إلى ذلك بحاجتها إلى بنية تحتية تساعدها على قيام الصناعة النفطية، من الطرق، والموانئ، والمساكن، والتموين، والخدمات الصحية، وغيرها، كما ترافق ذلك مع ضغوط من العمال، ومن الحكومة السعودية لتحسين ظروف العمال المعيشية، ورفع أجورهم. والتزام الشركة بنظام العمل في المملكة بتوفير السكن لعمالها، والتعليم لأبنائهم، والمرافق الصحية الضرورية، وغيرها من وسائل الترفيه، كما أدركت أرامكو أن استجابتها لهذه المطالب سوف يحسن من صورتها في المجتمع الذي تعمل فيه، ويخفف من حالة الاحتقان التي تكنها شعوب المنطقة تجاه الشركات الأجنبية المستثمرة في بلادها؛ فهي من وجهة نظرهم الوجه الآخر للاستعمار. وقد عانت صناعة النفط في الخمسينات الميلادية من الظروف السياسية والقومية، وعايشت أرامكو ذلك عياناً على الضفة الأخرى من الخليج العربي بتفاعل هذا الاحتقان إلى تأميم صناعة النفط في إيران.

كل هذه العوامل مجتمعة دفعت أرامكو إلى القيام بصور من التنمية، حاولت الدراسة استقصاءها في صفحات الرسالة، ويمكن إجمال أهم ما خلصت إليه الدراسة في مجالات التنمية التي قامت بها أرامكو في جهود منها: جهود أرامكو في التنمية الاقتصادية، حيث أولت هذا المجال عناية خاصة، فمع أهمية توفيرها فرص العمل لشريحة واسعة من

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

المجتمع في المنطقة الشرقية، وغيرها من أنحاء المملكة، حيث كانت هي الجهة الوحيدة التي توفر فرص العمل، إلا إن الأهم من وجهة نظر الدراسة هو قيام أرامكو بالعمل على إيجاد شريحة اقتصادية من العاملين السعوديين بها ممن توسمت فيهم القدرة والكفاءة، فأوكلت إليهم بعض مقاولاتها، وتموين بعض مشاريعها، وتوفير بعض مشترياتها، ودعمت هذه الشريحة الاجتماعية بالإسناد الفني من الدراسات والاستشارات، والدعم المالي بالقروض المباشرة، وضمانات القروض من البنوك وبيوت المال العالمية، وأرست عقود بعض مقاولاتها عليهم دون صعوبات، وفتحت أمامهم آفاقًا واسعة من النجاح في أعمال التجارة والصناعة والمقاولات، وعرفتهم على نظرائهم في العالم، وأكسبتهم أسرار التفوق في عالم المال والأعمال، ومع يقين الباحث أن قيام أرامكو بهذه الخطوات كان لسد احتياجاتها الملحة في تلك الفترة، إلا أنها مرحلة حاسمة توافقت فيها مصالح الشركة مع مصالح شريحة نابهة من المجتمع عرفت كيف تستفيد من هذه الفرصة السانحة.

وعن جهود أرامكو في المواصلات والعمران حاولت الدراسة إبانة دور أرامكو في نشأة الطرق الحديثة في المنطقة وارتباط ذلك بأعمال الشركة، وأهميته لعملياتها النفطية ومدى حاجتها لهذه الطرق، وقد استفاد منها المجتمع بصورة كبيرة حيث أصبحت مناطق أعمال الشركة مراكز محورية للنشاط الاقتصادي في المنطقة؛ فهي مقصد شرائح واسعة من السكان سواء للعمل في الشركة، أو لدى

مقاوليها، أو للتجارة، والمقاولات، كما تمر بعض هذه الطرق بالبلدات والقرى القديمة مما جعلها متاحة لعموم المستفيدين منها، كما أوضحت الدراسة دور أرامكو في إنشاء ميناء الدمام، وفي بناء سكة الحديد من الإشراف على التنفيذ، ودفع تكاليف المشروع لحساب الحكومة السعودية.

وفي مجال العمران أبرزت الدراسة جهود أرامكو في التنمية العمرانية في المنطقة، وأثره في ظهور مدن جديدة في المنطقة الشرقية حيث كان الاستيطان فيها ينحصر في الأحساء والقطيف والجبيل والدمام والخبر، وبعض القرى والهجر المجاورة لها، ولكن بظهور النفط وتوافد طلاب العمل، والمقاولين، والتجار، وغيرهم ظهرت الحاجة إلى إيوائهم، ونشأت حولها أحياء سكنية تطورت شيئا فشيئًا، لتكون مدنًا حديثة رفدتها الشركة ببرامج، مثل: بناء مساكن لفئة من موظفيها وعمالها، ثم برنامج تمليك البيوت لفئات أخرى، وبرنامج تخطيط المدن ومدها بالخدمات والبنى التحتية التي تحتاجها المدن الحديثة، مثل: الدمام، والخبر، ورحيمة، ورأس تنورة، وابقيق، والثقبة، وغيرها من الأحياء التي التحمت مع المدن، وأصبحت جزءًا منها.

ولعل من أبرز نتائج الاستيطان الجديد - كما أوضحته الدراسة - حالة الامتزاج السكاني بين القادمين للعمل من أنحاء المملكة، الذي أدى بدوره إلى اندماج اجتماعي في الفترات اللاحقة في تجربة فريدة تختلف عن حالات الاستيطان التي عرفتها البلاد في فترات سابقة. بالإضافة

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون
الدارة

إلى تأثير فن العمارة الحديثة، ودخوله المملكة منذ تلك الفترة.

وفي مجال الخدمات الصحية أبانت الدراسة عن جهود أرامكو التي يمكن حصرها في محاور رئيسة منها: تقديم الخدمات العلاجية لشرائح واسعة من أبناء المنطقة الشرقية سواء من العاملين لديها أو غيرهم من أفراد المجتمع في فترة كانت أرامكو هي الجهة الوحيدة التي تقوم بهذه الخدمة في مناطق عملياتها، ومحور آخر له أهمية بالغة تمثل في التوعية، والإرشاد الصحي، من خلال المنشورات والأفلام التوعوية في المدارس، وغيرها من التجمعات، ومن خلال التلفزيون، شرحت للناس أسباب الأمراض وطرق الوقاية منها، مما ساعد على نشر الثقافة الصحية، والمحور الثالث مشروع مكافحة الملاريا الذي يقوم على دراسات حول أسباب هذا المرض الذي كانت تعاني منه المنطقة الشرقية منذ قرون عديدة، قامت الشركة بدراسات لسنوات عدة شخصت خلالها حجم المشكلة وأسهمت - إلى جانب الجهود الحكومية - في الحد من انتشار مرض الملاريا بين أبناء المنطقة. ولا تقل خطورة مرض التراخوما عن الملاريا في المنطقة الشرقية كونه وباءً مزمنًا، لذا قامت أرامكو بجهود كبيرة في مجال البحث العلمي بالتعاون مع كلية الصحة العامة بجامعة هارفارد للبحث عن أسباب هذا المرض وطرائق علاجه، ويعد ما توصلت إليه نتائج هذه البحوث عملاً علميًا رائدًا على المستوى العالمي.

أما عن التنمية الزراعية والمياه فيمكن إيجاز أهم ما توصل إليه البحث عن دور أرامكو في هذا المجال في مشاريع عدة، منها حفر آبار المياه في المدن وضواحيها، وفي أعماق الصحراء للبادية، مما كان له أثر حسن عند المجتمع، وأصبحت آبار أرامكو علامات، ومعالم مهمة لأبناء البادية في الصحراء يرتادونها بمواشيهم، وعملت لهم - بطلب من الحكومة - الأحواض لسقياها، كما أسهمت أرامكو في استنبات محاصيل جديدة مربحة للمزارعين في المنطقة، حيث لم تعد المحاصيل الزراعية التقليدية الوحيدة تجاريًا، بل أدخلت مزروعات جديدة، خاصة الخضار الذي ظهرت أنواع جديدة منه في المنطقة لم تكن معروفة من قبل. ونشرت أرامكو الثقافة الصحية، وما يرتبط بها من الغذاء الصحي مما شجع على استهلاك الخضار، وأدى ذلك إلى زيادة الطلب عليه، وانتشار زراعته، ودعمت المزارعين بالآلات الحديثة، والبذور، والأسمدة، والاستشارات الفنية، وإقامة المزارع النموذجية، ومزارع تربية الدواجن وغيرها، وعملت الدراسات والأبحاث لحل المشكلات التي تواجه الزراعة مثل مشروعات تصريف المياه الفائضة، ومكافحة الحشرات والآفات الزراعية وغيرها، كما تطرقت الدراسة إلى بعض الآثار السلبية في البيئة والتي كانت أرامكو سببًا في ظهورها.

أما في مجال التعليم والثقافة وأثر أرامكو في هذا المجال، فقد تناولته الدراسة من عدة محاور، يمكن إجمال أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة من خلال دراسة هذه

المحاور، في عدة نقاط منها: أن أرامكو استطاعت من خلال المزج بين التعليم المعرفي والتدريب المستمر، إكساب موظفيها العديد من المهن الطبية والمهارية، والمعرفية الجديدة، وحاولت بناء الإنسان السعودي لديها من هذه النواحي، مما أشاع الثقافة العملية المحترفة، وطبعت منسوبيها بهذه السمة، وجعلت منهم نماذج للإنسان العملي المنتج المنضبط إداريًا وسلوكيًا، وشجعت النابهين منهم بالابتعاث إلى خارج المملكة لكسب الجديد من المعارف والمهارات القيادية مما فتح لهم آفاقًا واسعة لإظهار مواهبهم، وجعل من ذلك الجيل قيادات بارزة فيما بعد، ليس فقط في الشركة بل في وظائف الدولة المختلفة.

استفاد المجتمع من جهود أرامكو في مجال التعليم في صور عدة منها: المدارس التي بنتها أرامكو في نماذج نموذجية للمدرسة الحديثة من حيث بنائها، وتأثيثها، وصيانتها، وزاد من أهميتها للمجتمع أنها فتحت لكل أبناء المنطقة سواء الذين يعملون في أرامكو أو غيرهم من غير العاملين فيها، واستفاد المجتمع من أرامكو في ابتعاثها لعشرات المبتعثين للدراسة خارج المملكة على نفقتها في العلوم والمعارف التي يرغبونها.

كان لتلفزيون أرامكو أثره الكبير في مجتمع تكثر فيه الأمية، فمع أنه من وسائل الترفيه التي نشرتها أرامكو في المجتمع، إلا أنها أرادت من التلفزيون أن يكون وسيلة تعليمية تثقيفية في غاية الأهمية، حاولت أرامكو من خلاله نشر

الثقافة الوقائية الصحية، وتعليم الدروس في اللغة العربية واللغة الإنجليزية، والأدب والثقافة، وكان له شعبيته الكبيرة كونه الوحيد في المنطقة، بل في الخليج العربي بأسره في تلك الفترة.

والواقع أن أرامكو أفادت المجتمع في المنطقة الشرقية، من نواح مختلفة، وعلى رغم ما وجه إليها من نقد في كثير من الأحيان، إلا أنها استطاعت أن تكون ذلك المستثمر الذي وفق في الإفادة من خيرات البلاد المضيفة له، وأفاد أفراد المجتمع العاملين معه والمحيطين به، كما استطاعت أرامكو أن توائم - في تجربة نموذجية فريدة - بين مصالحها ومصالح الطرف الثاني، وأن تبني نوعًا من العلاقة بالحكومة والمجتمع، علاقة مبنية على الصداقة ومراعاة المصالح المشتركة واحترام ثقافة المجتمع وتقاليده.

منطقة الوشم
في عهد الدولة السعودية الأولى

تأليف

د. خليفة بن عبد الرحمن المسعود

٣٥٨ صفحة



يقدم هذا الكتاب دراسة تاريخية وحضارية لمنطقة الوشم في عهد الدولة السعودية الأولى، ويظهر جوانب التغير التي حدثت فيها، حيث انتشر الأمن وعمَّ الاستقرار، ونشطت الحياة الاقتصادية فيها من زراعة وصناعة وتبادل تجاري، وارتقت الحركة العلمية، حيث كثر الراحلون لطلب العلم والعائدون المزودون بمعينه الفيَّاض، وكثرت المؤلفات وحلقات العلم في المنطقة، وتطورت التنظيمات الإدارية فيها.

وقد كان لأبناء الوشم إسهام في بناء الدولة السعودية الأولى، وكانت لهم مشاركات في الدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي، حتى أصبحت المنطقة إلى جانب المناطق الأخرى أنموذجًا لنصرة الدولة والدعوة.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني info@darah.org.sa

رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الثالث: "حدّ الوتد"

لـ سي. ستانلي ج. ميلري (C. Stanley G. Mylrea)(*)

ترجمة: أ. تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

تمهيد:

كاتب هذا التقرير التحق بالإرسالية الأمريكية في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وفيما بعد أصبح القائم على أعمالها في الكويت إلى أن غادرها إلى الهند عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م تقريبًا[١] ومع كونه هو من تلقى الدعوة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لزيارة الرياض، كما سيوضح في هذا التقرير، إلا أنه لم يكن هو الزائر لها نظرًا لانشغاله بأعمال الإرسالية في الكويت[٢].

(*) C. Stanley G. Mylrea, "The Thin Edge of the Wedge", Neglected Arabia, 92 (Jan.-Feb.-Mar., 1915), p. 17-22.

(1) "Personalia", Neglected Arabia, 194 (Oct.-Nov.-Dec., 1941), p. 16.

(٢) نشر بول أرميردينغ (Paul Armerding) جزءًا من عمل غير منشور مما كتبه الدكتور ميلريا عن زيارته للملك عبدالعزيز في =

وكان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد خيَّم في الصبيحية قُرب الكويت قادمًا من الجبيل، وذلك ليلتقي بوفد من الدولة العثمانية برئاسة السيد طالب النقيب، وعضوية كل من: المقدم عمر فوزي، وسامي بك متصرف الأحساء، وأحمد باشا الصانع، وعبداللطيف المنديل(٣) للتفاوض معه بعد استعادته للأحساء. وقد تمَّ اللقاء في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ / ١ مايو ١٩١٤م، ثم غادر الوفد بعد أن طلب مُهلة لمراجعة إسطنبول في الشروط التي وضعها الملك عبدالعزيز، ومكث الملك عبدالعزيز قرابة أسبوعين، إلى أن عاد الوفد بالموافقة من إسطنبول مع تقديم الشكر للملك والوسام العثماني الأول(٤).

وخلال تلك المُدَّة كانت الزيارة، التي يتناولها هذا التقرير، إلى الملك عبدالعزيز، وكان معظم جيش الملك يُعاني من

= كتابه: أطباء من أجل المملكة: عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣ - ١٩٥٥م، ترجمة: عبدالله بن ناصر السبيعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٥هـ)، ص ٣٩-٤٢.

(٣) انظر: حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، د.ن: (د.ت)، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) انظر: خزعل، السابق، ص٢١١؛ سهيل صابان، الجزيرة العربية: بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٢٦٩، ٢٨٧؛ خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين (١٩٨٥م)، ج١، ص٢١٣؛ الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض: دار الدائرة (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص٤٩٣.

الملاريا، نتيجة لقدومهم من الأحساء التي كان منتشرًا بها، بالإضافة إلى أن الملك كان يعاني من روماتيزم عضلي في كتفه(٥).

النص المترجم:

في صباح يوم الأحد التاسع من مايو [سنة ١٩١٤م، الموافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ] حضر إليّ سيدان عربيان يبلِّغاني تحيات عبدالعزيز بن سعود، ودعوته لي لزيارته زيارة طبيَّة في مخيَّمه الذي يبعد حوالي عشرين ميلاً عن الكويت، وقالا: إنهما كان في نيَّتهما أن يدعواني اليوم، ولكن الشيخ الحاكم هنا قال لهما إنني أخرج فقط للحالات الطارئة في أيام الأحد. وأضاف الشيخ [مبارك]: "المُبشِّرون لا يعملون في يوم الأحد، ويُصلُّون فيه مرتين، أعلم ذلك لأن الطبيب كتب إليّ مؤخرًا بذلك كسبب لعدم مجيئه عندما دعوته إلى مخيَّم منذ بضعة أسابيع. ولن يأتي إليكم في يوم أحد، إلا إن كانت الحالة المرضيَّة خطيرة" وفي هذه الحالة [سألاني]: "هل يمكنني المجيء إليهم غدًا؟" أجبت بأنني سأكون سعيدًا بذلك. وإنني مستعدّ للذهاب حالاً إن كان عبدالعزيز يحتاجني الآن. [فردّا]: لا، ليس ذلك ضروريًا، الشيخ [عبدالعزيز] يُعاني من ألم في كتفه الأيمن، ولا يحتاج إلا لمشورة الطبيب قبل أن يعود إلى بلاده التي لا يوجد بها طبيب غربي، ويوم الغد مناسب جدًا [لقدومي]. ولكن في

(5) “Mission News”, Neglected Arabia, 90 (July-August-Sept., 1914), p20.

أي وقت؟ اقترح أحدهما: "ساعة قبل الشروق"، ولكن رفيقه ردَّ عليه قائلاً: "هؤلاء ليسوا بدوًا، هؤلاء يستحمّون أولاً ويرتدون ثيابهم، ثم يشربون قليلاً من الشاي، ويأكلون القليل من الخبز. فساعة قبل الشروق مُبكِّرة جدًا بالنسبة إليهم"، وهنا تدخَّلت قائلاً: سأكون جاهزًا عند الشروق. عندها أخبراني بأن الشيخ مبارك قد وضع سيارته تحت تصرفي لأستطيع الذهاب مرتاحًا وبسرعة. ثم طلبا مني طلبًا أخيرًا، وهو أن أحضر معي أدوية عامَّة؛ لأعالج بعض رجال ابن سعود، بعدها خرج الرسولان من الغرفة.

في الصباح التالي وصل قبل الشروق رجل من طرف الشيخ مبارك وقال: إن السيارة معطّلة، ولكن إحدى عربات الخيل العائدة إليه كانت جاهزة بانتظاري، وأن اثنين آخرين من الخيل قد سبقا لكي يتسنى لنا تبديلهما في منتصف الطريق. وأضاف الرسول بأنه إن بكَّرت في الخروج كان ذلك أفضل، بسبب شدَّة حرارة الشمس على الخيل، فتعجَّلت، وأصبحنا على الطريق في وقت قصير. وكان صباحاً جميلاً، وكان منظر الصحراء فاتنًا مع خلوها من النباتات بسبب أسراب الجراد في الماضي القريب.

كان مخيَّم ابن سعود يقع على بعد حوالي ميل واحد عن الجهراء، وبما أن الطريق بين الكويت والجهراء يمرّ بصحراء ذات أرض صلبة، فقد جعل ذلك عربة الخيل تسير بسهولة، وفي أقل من ثلاث ساعات كنا قد وصلنا إلى الجهراء التي تركنا بها عربة الخيل، ثم امتطينا خيلاً [أخرى] لقطع

المسافة القصيرة المُتبقِّية، والتي تبلغ ميلاً واحدًا، وهو ما يفصلنا عن مخيَّم ابن سعود.

ظهرت الخيام البيضاء المُتلألئة بوضوح تحت ضوء الشمس، والتي كان هناك منها مئتان على الأقل، وكنت متفاجئًا إلى حدٍّ ما لرؤية خيام بيضاء، ولكن "خيام قيدار السود" قد قلَّ استعمالها بين الحُكّام، و"بيت الشَّعر" وهو الخيمة التقليدية للعرب، هي الآن خيام للبدو فقط.

وعندما اقتربت رأيت أن خيمة الشيخ كانت في نهاية صفّ طويل من الخيام المنصوبة على خط مستقيم... وقدم الخدَّام عند وصولي، وقادوني فورًا إلى ابن سعود شخصيًا. فنهض لاستقبالي عند دخولي من باب الخيمة، وأجلسني إلى جانبه تكريمًا لي.

كانت الخيمة مفروشة بالفرش التقليدي - سجاد إيراني - ليجلس عليه الشيخ، ومراكٍ من أكوار الإبل مُغطَّاة بجلد الأغنام عوضًا عن الوسائد، معَ قليل من الألوان التي أُضيفت في شكل زخارف مُعلَّقة على أعمدة الخيمة، ولكن حميميَّة المكان خفتت بوجود صف طويل من بنادق جيّدة الصنع عُلِّقت على جانب واحد من الخيمة. وفي الوقت الذي ينهض فيه ابن سعود، يجد المرء نفسه متأثّرًا بشخصية الرجل؛ فطوله يبلغ ستة أقدام كاملة، وهو عريض بشكل متناسق - جسم رياضي بكل معنى الكلمة - حَسَن الشكل، مُتناسق الأعضاء. والأفضل من ذلك كله أنك لا ترى فيه آثار الترف الذي يؤثّر غالبًا في الشباب من العائلات الحاكمة في جزيرة العرب، وله وجه بشوش ووسيم، وتشعر مُباشرة بأن "هذا رجل أستطيع الوثوق به".

قال لي لما جلسنا: "بدأت أظن أنك لن تأتي، فأنا أنتظر قدومك منذ ساعتين تقريبًا". فكان عليّ أن أشرح أن سيارة [الشيخ] مبارك خيَّبت أملنا، وأنه كان علينا أن نستخدم الخيل، وهي الوسيلة الأبطأ ولكنها الأجدر بالاعتماد عليها.

ثم أُحضرت القهوة وأخذ النقاش يتّخذ منحى عامًّا نوعًا ما. ثم اقترح أن أُلقي نظرة على كتفه، وأصف له دواء للألم. وعند الانتهاء من ذلك سألني إن كان لدي مانع من التجوُّل في المخيَّم لفحص بعض رجاله المرضى. وكانت كل الحالات، ودون استثناء، تُعاني من مرض الملاريا، وبالتالي نَفَدَ مقدار كبير من الكينين (quinine) الذي كان معي. وعندما قارب ذلك على الانتهاء قابلني أحد رجال الشيخ مُعتذرًا بأنه جعلني أعمل كل هذا الوقت قبل أن آخذ قسطًا من الراحة، فضحكت واستمريت في العلاج إلى أن لبّيت آخر طلب للكبسولات والمساحيق، عندها عُدت إلى خيمة الشيخ مع رسوله، فشكرني بلطف على صنيعي، فانتهزت الفرصة بسؤاله عن ما سيفعله بخصوص تابع له كنت قد كشفت عليه بالأمس، وكان يحتاج إلى عملية جراحيَّة. فكان ردّه أنه لا يستطيع ترك الرجل في الكويت الآن، ولكن إن كان الأمر ضروريًا فإنه سيُرسل في طلبي للقدوم إلى الرياض لرؤية الرجل، إن استدعى الأمر. فقلت: إنني سأكون سعيدًا جدًا لفعل ذلك، وأضفت بأن زيارة نجد هي إحدى طموحاتي الكبرى. فقال: "أهلاً وسهلاً، ولكن بشرط واحد! وهو أن تترك رعيَّتي وشأنها فيما يخص الدين...".

وكنا قد قضينا وقتًا بمفردنا، ثم استدعى رجلاً للحضور بين يديه، ولم يمض وقت طويل حتى دخل الرجل الخيمة وانهار تمامًا يبكي كالطفل أمام الشيخ. فقال ابن سعود: "هوِّن عليك، أنت مُسامَح. اذهب" فاقترب الرجل وقَبَّل يد الشيخ، وخرج من الخيمة بهدوء. وعندها قال ابن سعود: "لقد اقترف ذنبًا ليس بالهيِّن، وهو رجل كبير ولم يكن يجدر به ذلك. ولكن هؤلاء الرجال يجب أن يُعاملوا كالأبناء - أي يجب أن لا يكون المرء قاسيًا عليهم - والرحمة غالبًا أفضل من العقاب، والمحبَّة أقوى من الخوف". وبعد ذلك اتخذ الحديث منحى المقارنة بين مميزات الطب الشرقي والغربي، وهو موضوع حساس لأن ابن سعود- كغيره من كثير من العرب - يُكنّ تقديرًا كبيرًا للطب الإغريقي القديم، ولا يتسامح مع حتى اقتراح ضعف ذلك الطب. وهذا التقدير متوارث عندهم مع ديانتهم[٦]، ولكن وجودي في خيمته ضيفًا دليل كافٍ على أن إيمانهم بالطب القديم بدأ يضعف.


الدكتور ميلريا وزوجته

وعندما شارف الضحى نهضت للمغادرة وقلت إنني لا يجب أن أعطّله عن أداء صلاته، ونهض هو أيضًا مناديًا أحد مساعديه ليأخذني إلى خيمتي، وقال: "آمل أن يُعجبك الغداء". وبعد أن وصلت إلى خيمتي بدقائق أُتي إليّ بوجبة

(٦) يقصد الكاتب الطب الشعبي، أو التداوي بالأعشاب. وربط ذلك بالإسلام وظنّه أنه متلازم معه يعود إلى جهله العميق بالإسلام، كما هو واضح من مجموع كتاباته في مجلة الإرسالية.

عربية تقليدية: أرز ولحم مطبوخ، وخبز، وحليب، وجبن إلى آخره. وكان هناك عند مدخل الخيمة أيضًا صابون وماء، ومنشفة يبدو عليها عدم النظافة الكاملة.

وقد تناولت غدائي وحدي، لأن ابن سعود ومن في مخيَّمه يتناولون وجبتين في اليوم فقط. فهم يتناولون وجبة في الصباح بعد حوالي ساعتين من شروق الشمس، ووجبة في المساء بعد حوالي ساعة من الغروب. ولكن الضيف لابدّ أن يكون له معاملة خاصة بالطبع. وبعد انتهائي من الغداء أتى الخدم مرَّة أخرى، وأحضروا هذه المرة فرشًا ووسائد ليكون بوسعي أخذَ قسط من الراحة خلال الوقت الأشد حرارة في اليوم. وأصبح المخيَّم ساكنًا، لا ترى فيه نَفَسًا أبدًا، لأن ساعة القيلولة هي أهدأ الساعات في أرض العرب، وفي بعض الأماكن، هي الساعة الوحيدة الهادئة في الأربع والعشرين ساعة، وفي الواقع تمتد الساعة عادة إلى ساعتين على الأقل.

استلقيت على الأرض بجانب شراع الخيمة المرفوع (يُرفع أحد أشرعة الخيمة ليسمح بدخول نسمة هواء لطيفة) أنظر إلى الرمال المحيطة، وهي تلمع تحت حر الظهيرة الصحراوي، ثم نظرت في اتجاه خيمة ابن سعود، وتساءلت: كم سيمضي من الوقت ليستضيفني في نجد كما استضافني هنا؟ وكانت هذه الفكرة ما تزال في رأسي عندما ذهبت إليه لأودّعه، ويبدو أنها كانت في رأسه كذلك لأنه تحدَّث عنها دون سؤال مني قائلاً: "لابد أن يصبح لدينا طبيب جيّد [في نجد]". ثم أضاف: "إن مدينة دون طبيب تُعاني كثيرًا"

فعاجلت بالقول بأنني مستعدٌّ للقدوم إليه مباشرة إن استدعاني. فردّ قائلاً: "لا أستطيع تحديد الوقت الآن، ولكن في وقت آخر بمشيئة الله".

لاحقًا سمعت من أحد رجال الكويت البارزين أن ابن سعود يخشى إن هو دعانا إلى عمق [الجزيرة العربية] أن لا يكون قادرًا على ضمان سلامتنا؛ فلا يزال هناك تعصُّب كبير في نجد، بالإضافة إلى أن الإمام أو شيخ الرياض، هو مُعارض تمامًا لوجود نصارى [في نجد]. ونفوذ ذلك الإمام، واسمه الشيخ عبدالرحمن(٧)، هو نفوذ مُطلق. فكونه والد ابن سعود يجعله يخضع له بشكل كبير، وإن كان ما يسمعه المرء عنه صحيحًا فهو في مقام البابا(٨). ومن حسن حظنا فإن الشيخ عبدالرحمن رجل طاعن في السن، لذلك يمكننا التطلُّع إلى انتهاء المعارضة من جهته. وابن سعود نفسه يريدنا، وروح البلد تتغيَّر ولكن ببطء، ودخولنا إلى نجد آتٍ لا محالة قريبًا كان أم بعيدًا. وبينما كنت في طريقي إلى منزلي في الجو البارد نسبيًا في المساء كان السؤال الوحيد في ذهني هو: متى يتحقق ذلك؟ وقد كان المرء يتساءل في الماضي: كم سيطول ذلك حتى يتحقق؟.

---

(٧) في الأصل (عبدالله) وهو خطأ من الكاتب.

(٨) لا أدري من أين جاز له هذا التشبيه، ولكن كما أشرت قبل ذلك فإن جهل هذا الكاتب بالإسلام يجعل ملاحظة مثل هذه تبدو من أهون أخطائه.

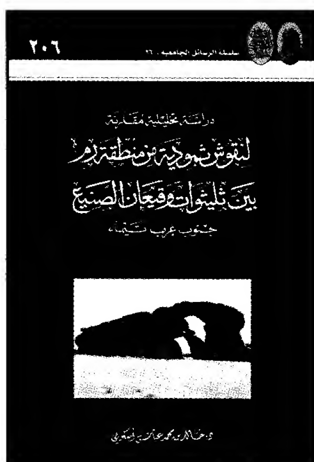


دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بين ثليثوات وقيعان الصّنيع جنوب غرب تيماء

تأليف

د. خالد بن محمد عباس أسكوبي

٥٧٤ صفحة



يقدم الكتاب توثيقًا لنقوش أجزاء من المنطقة الواقعة في شمال غرب المملكة العربية السعودية، ويسعى لتحديد الأسباب التي كانت وراء اختيار هذه المواقع للكتابة عليها، ويُبيّن جوانب من حياة كاتبي تلك النقوش، ويحاول معرفة الصلات العرقية بين القبائل التي دونت هذه النقوش، وما دار في تلك المنطقة من نشاطات حضارية وأحداث تاريخية. إلى جانب تصنيف تلك النقوش ومعرفة صلتها بالنقوش المنتشرة في المناطق المجاورة.

وقد قدم الكتاب معلومات مفيدة في مجال الحياة الحضارية للشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في حدود القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الأول قبل الميلاد.



ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية

تأليف: حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني

الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ، ٩١٢ صفحة

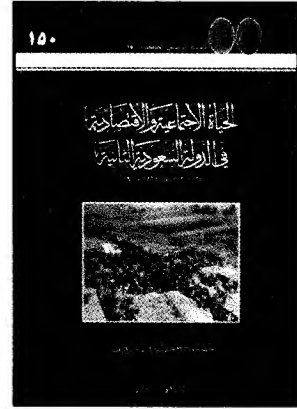
مراجعة: أ. إبراهيم بن سعد الحقيل

اتجهت بعض أقسام التاريخ في جامعاتنا المحلية إلى دفع طلاب الدراسات العليا وطالباتها إلى دراسة التاريخ المحلي؛ مما أوجد حراكا في هذا الجانب، الذي كان لوقت طويل مغفولا عنه. ولا شك في أن تلك الدراسات تصطدم بعقبة رئيسة تتمثل في: الشح الكبير في مصادر هذا التاريخ، وعدم توافره بشكل واسع، رغم ما قامت به دارة الملك عبدالعزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية وغيرهما من المراكز البحثية من جهود مباركة.

وقد اتجهت دارة الملك عبدالعزيز إلى رسائل الدراسات العليا فتلقفتها، بعد أن حار بها كثير من أصحابها، وسارعت إلى طباعتها، بل وزادت على ذلك أن وفرتها للقراء بأثمان زهيدة مغرية. فلها يد طولى وفضل كبير على الباحثين والقراء.

ومما نشرته الدارة رسالة ماجستير بعنوان: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية"؛ من إعداد الباحثة: حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني، وقد صدرت في طبعتها الأولى سنة ١٤٢٥هـ.

تميزت هذه الأطروحة بالجدة، فقد طرقت موضوعا تقل الكتابة فيه، ولم يجد كبير احتفاء وعناية، وهي أطروحة جيدة، فيها فوائد جمة، طرحتها الباحثة بتنظيم وترتيب يشوق القارئ، ويفيد الباحث.



وقد وفقت الباحثة الكريمة في عرض كثير من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية رغم ندرة المصادر التي تناولت هذين الجانبين. واستطاعت أن تحلي كتابها بعدد من الوثائق أعطت صورة صادقة عن ذلك العصر.

ومثل كل عمل بشري، فهذا العمل لا يخلو من الملحوظات، فأحببت أن أشير إليها لعلها أن تكون مفيدة، ولعل في هذه الملحوظات والتصويبات شيئًا من الخطأ، فمن وجد خطأ فأنا أسعد الناس بالتصويب، وأكثرهم أسفا على فواته، ولا ضير في ذلك ولا تثريب.

وقد قسمت الملحوظات إلى قسمين: ملحوظات عامة، وهي مبثوثة في ثنايا الكتاب، يُثقل المقال التنبيه عليها كلما وردت، وملحوظات مختلفة متفاوتة.

أولا: ملحوظات عامة

الأولى: عدم الدقة في المقابلة بين التاريخين الهجري والميلادي. ومن أمثلة ذلك:

في صفحة (١٢): ١٢٦٧هـ توافق ١٨٥١م، والصواب أنها توافق ١٨٥٠م. وفي صفحة (٥٢): ١٢٧٠هـ توافق ١٨٥٥م، والصواب أنها توافق ١٨٥٣م. وفي صفحة (١٠٧): ١٢١٢هـ توافق ١٧٩٨م، لا كما أثبتت ١٧٩٧م. وفي صفحة (٤٢٦): جعلت سنة ١٢٥٣هـ موافقة لسنة ١٨٣٨م، وذلك خطأ، صوابه ١٨٣٧م. وفي صفحة (٥٤٠): جعلت سنة ١٢٤٦هـ موافقة لسنة ١٨٣١م، والصواب أنها توافق ١٨٣٠م[١]. وفي هذه الأمثلة كفاية وبيان. وقد وضعت المصنفة في آخر الكتاب جدولا للتاريخين الهجري والميلادي، وهو صحيح، ولكنها لم تلتزم به كما في الأمثلة السابقة.

الثانية: أن المصنفة لم تلتزم بالحدود المكانية للدراسة، حيث تورد شواهد وأحداثا خارج حدود الدولة السعودية الثانية. ومنها:

في صفحة (٥٤) ذكرت المصنفة سوق الخميسية في العراق، وذلك لا يوافق منهج الدراسة حيث يقع خارج حدود الدولة السعودية الثانية. وفي صفحة (٧٤) ذكرت من عناصر مجتمع الدولة السعودية الثانية من استقر في الأماكن

(١) انظر لذلك: التقويم الهادي، محمد البنداق، بيروت ١٤٠٠هـ. التقويمان الهجري والميلادي، فريمان جرنفيل، ترجمة: حسام الآلوسي، ١٩٨٦م.

المقدسة ممن قدم إلى الحج. وفي صفحة (٣٩١) تحدثت عن العادات التي تكون بعد ختم الطالب للقرآن في الكتّاب في الحجاز؛ وذلك لا يدخل في الحدود المكانية للدراسة. وفي صفحة (٤١٠) ذكرت المصنفة من المكتبات الخاصة في الدولة السعودية الثانية مكتبة الشيخ: عبدالرزاق بن محمد بن سلوم، وهي خارج الحد المكاني إذ إن الشيخ عبدالرزاق ولد ونشأ في الزبير، وتوفي في سوق الشيوخ في العراق[٢].

الثالثة: لم تلتزم الباحثة بالحدود الزمانية للدراسة، ومن ذلك:

الاستشهاد بعناوين كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، في البعد عن السجع والتكلف، والشيخ محمد لا يدخل في الحدود الزمانية للدراسة. وفي صفحة (٣٩٤) ذكرت كتّاب أحمد الصانع، وهو ليس بكتَّاب، بل مدرسة أنشأها الشيخ أحمد بن ناصر الصانع، سنة ١٣٣٦هـ، في عهد الدولة السعودية الثالثة[٣]، ولا علاقة لها بالدراسة.

وفي صفحة (٣٩٨) ذكرت حاشية الروض المربع لعبدالرحمن النجدي؛ النجدي هنا هو الشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. وهذه الحاشية مما ألف وطبع في عهد الدولة

---

(٢) السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بن حميد، تحقيق: د. بكر أبو زيد، د. عبدالرحمن العثيمين، بيروت ١٤١٦هـ، ج ٢ ص٥٣١، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبدالله البسام، الرياض ١٤١٩هـ، ج ٢ ص٢٨٠.

(٣) الشيخ أحمد بن ناصر الصانع، د. فهد المزعل، المدينة النبوية ١٤١٥هـ، ص١٢ وما بعدها.

السعودية الثالثة[٤]، فهو خارج الحدود الزمانية للدراسة. وفي صفحة (٣٩٩) ذكرت تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، من كتب التفسير التي كانت منتشرة في الدولة السعودية الثانية؛ وهو تفسير متأخر، ألفه العلامة الطاهر ابن عاشور[٥]، المولود بتونس سنة ١٢٩٦هـ، والمتوفى سنة ١٣٩٣هـ، فهو خارج الحدود الزمانية. وفي صفحة (٦٩٤) استشهدت المصنفة بوثيقة تاريخها ١٣١٢هـ، فهي خارجة عن الحدود الزمانية للدراسة. وفي صفحة (٦٩٦) استشهدت المصنفة بحدث وقع في سنة ١٢٢٩هـ، وذلك خارج الحد الزماني للدراسة، فقد حدث في عهد الدولة السعودية الأولى.

الرابعة: أن الباحثة الكريمة قد أوردت بعض المعلومات في المتن والحواشي ولا تسندها إلى مصدر نقلت منه، ومثال ذلك: ترجمة يعقوب البشري في صفحة (٤٢٧)، والتعريف بمسجد المريقب في صفحة (٨٨)، وترجمة الشيخ محمد الشبل في صفحة (٤١٠)، وسعر الأقمشة والنخيل في صفحة (٦٩٩)، والتعريف بالنقد المسمى: زر محبوب، في صفحة (٧٣٤).

---

(٤) طبعة حاشية الشيخ عبدالرحمن، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ، وقد توفي سنة ١٣٩٢هـ. الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ص١١٥.

(٥) محمد الطاهر بن عاشور، د. هيا بنت ثامر العلي، قطر ١٩٩٤م، ص١٤ وما بعدها.

ثانياً: الملحوظات التفصيلية

- في صفحة (٢٢) تقول: "في عهد ابنه الإمام فيصل بن تركي حيث كان ذلك في عام ١٢٥٦هـ". في هذا العام كان الإمام فيصل في مصر معتقلا[٦] فكيف يكون في عهده!

- في صفحة (٢٤) الحاشية الثالثة ذكرت المصنفة أن الإمام فيصل منح عبدالله بن رشيد حكم جبل شمر بعد مشاركته مع الإمام فيصل في حروبه ضد خورشيد.

في ذلك خطآن هما:

الأول: ولّى الإمام فيصل عبدالله بن رشيد جبل شمر في أوائل سنة ١٢٥٠هـ[٧] قبل حروب خورشيد باشا مع الإمام فيصل، التي بدأت في سنة ١٢٥٤هـ[٨] وكيف يولي الإمام فيصل ابن رشيد وهو قد سلب سلطانه، وأرسله إلى مصر؟.

الثاني: أن ذلك كان مكافأة له ولأخيه عبيد على جهودهما في القضاء على ثورة مشاري بن عبدالرحمن[٩].

---

(٦) سُيّر الإمام فيصل إلى مصر في أوائل رمضان من سنة ١٢٥٤هـ، عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض ١٤٠٢هـ، ج ٢ ص١٧٢، تاريخ الفاخري، محمد بن عمر الفاخري، تحقيق: د. يوسف الشبل، الرياض ١٤١٩هـ، ص٢١٠، ومكث بها حتى أوائل سنة ١٢٥٩هـ، عنوان المجد، ج٢ ص٢١٢، تاريخ الفاخري، ص٢١٢.

(٧) عنوان المجد، ج٢، ص١٣٤ وما بعدها، نشأة إمارة آل رشيد، د. عبدالله العثيمين، الرياض ١٤١١هـ، ص١١٥.

(٨) عنوان المجد ج ٢ ص١٧٠ وما بعدها، تاريخ الفاخري، ص٢٠٩-٢١٠.

(٩) تاريخ مقبل الذكير "مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود"، نشره ضمن الخزانة النجدية الشيخ: عبدالله البسام، وجعله الجزء السابع منها، الرياض ١٤١٩هـ، ص٢٠٣.

- في صفحة (٢٤) ترجمت في الحاشية الخامسة لإسماعيل أغا قائد الحملة المصرية على نجد، على أنه الخديوي إسماعيل ابن إبراهيم باشا، وذلك وهم وقعت فيه؛ فلو لحظت تاريخ الحملة (١٢٥٢هـ) وتاريخ ميلاد الخديوي إسماعيل (١٢٤٥هـ) لعرفت أنه في ذلك التاريخ لم يتجاوز عمره سبع سنوات!

- في صفحة (٢٤): قالت المصنفة في الحاشية السادسة: "خالد بن سعود... أكبر إخوة عبدالله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى"، والصواب أن أكبر أبناء الإمام سعود ابن عبدالعزيز ابنه عبدالله[١٠]، الذي أصبح إماما بعد والده، أما خالد فهو من صغار أبناء الإمام سعود[١١].

- في صفحة (٢٧): ذكرت أن الذين أرسلوا مع الإمام فيصل بن تركي إلى مصر أخوه جلوي وابن أخيه عبدالله، والصواب أن عبدالله هذا ابن عمه لا أخوه فهو: عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن سعود[١٢]، فهما يلتقيان في عبدالله بن محمد بن سعود.

- في صفحة (٣١) الحاشية الثالثة عرّفت المصنفة قصر البدع في قطر، فقالت: "... بالقرب من بلدة السلمية القريبة

---

(١٠) موجز لتاريخ الوهابي، هارفرد جونز بريدجز، ترجمة وتعليق د. عويضة الجهني، الرياض ١٤٢٦هـ، ص١٦٧.

(١١) تاريخ ملوك آل سعود، الأمير سعود بن هذلول، الرياض ١٤٠٢هـ، ج١ ص٢٠، وقد حدد بعضهم عمره عندما نقل إلى مصر بثمان عشرة سنة؛ فيكون مولده في سنة ١٢١٥هـ، الأحوال السياسية في الفترة الأولى من حكم فيصل بن تركي، هناء العوهلي، الرياض ١٤١٩هـ، ص٧٩.

(١٢) اسمه يدل على أنه ليس ابن أخيه بل ابن عمه. وقد نص ابن بشر على ذلك، عنوان المجد ج٢، ص٢٢.

من الدلم". القصر في قطر فكيف يكون بالقرب من بلدة السلمية إحدى بلدان الدلم؟ كما أن السلمية ليست من بلدان الدلم، بل هي من بلدان الخرج(١٣).

- في صفحة (٤٧) الحاشية الثانية تقول عن مهنا أبالخيل: "... عينه الإمام فيصل بن تركي أميرا على بلدة بريدة عام ١٢٩٠هـ". كيف يوليه الإمام فيصل سنة ١٢٩٠هـ، وهو قد مات قبل ذلك في سنة ١٢٨٢هـ! ربما يكون خطأ مطبعياً؛ إذ إن المقصود هو عام ١٢٨٠هـ(١٤).

- في صفحة (٥١): صنفت المؤلفة معلمي الكتاتيب من العلماء، وليس كل معلم كتاتيب عالم، وهم معلمون، ولا ينتظم كثير منهم في سلك العلماء.

- في صفحة (٦٧) الحاشية الثانية تقول: "عنعنة تميم؛ أي: إبدال الألف عينا فيقال: عجل، أي أجل بمعنى نعم"، والصواب: أن العنعنة هي إبدال الهمزة عينا(١٥)، أما الألف فلا تعد هنا حرفا.

- في صفحة (٦٨) ذكرت أسماء فروع قبيلة شمر: تومان، سرحان، أسلم، والصواب: أن تكتب الأسماء معرفة: التومان، الأسلم، السرحان. كما أن السرحان فخذ صغير من شمر، ولا يعد من البطون الرئيسة من شمر(١٦).

---

(١٣) معجم اليمامة، عبدالله بن خميس، الرياض ١٣٩٨هـ، ج٢، ص٢٨.

(١٤) عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث...، إبراهيم بن صالح بن عيسى، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض ١٤١٩هـ، ص٥٤.

(١٥) إبدال الحروف في اللهجات العربية، د. سلمان السحيمي، المدينة النبوية ١٤١٥هـ، ص, ١٦٥

(١٦) معجم قبائل المملكة ج ١ ص٣٩٣.

- في صفحة (٦٩): ذكرت أن لغة الرياض قلب القاف جيما، والصواب أن أهل الرياض وما جاورهم لا يقلبون القاف جيما مطلقا. ولعلها تقصد قلب القاف جيما قاهرية، وهي عامة في أهل نجد وشمال المملكة.

- في صفحة (٧٠) قالت المصنفة: "الأمثلة الشعبية"، وصوابها: الأمثال، وليست الأمثلة؛ لأن الأمثلة ما تحل به المسائل.

- في صفحة (٧٣) قالت: "أما الزنوج فقد قدموا من إفريقيا والكرج والهند"، كلامها موهم بأن تلك مواطن الزنوج، ومن المعروف أن الزنوج موطنهم جزء كبير من إفريقيا.

- في صفحة (٧٤) قالت عن الأحساء: "حيث إنها وقعت أكثر من مرة في أيدي الأتراك والبريطانيين"، لم تطأ قدم بريطاني مستعمر الأحساء، بل كانوا قريبين منها في البحرين وقطر والإمارات. وقد استولى العثمانيون على الأحساء من الدولة السعودية الثانية، وبقيت في أيديهم حتى استعادها الملك عبدالعزيز، رحمه الله.

- في صفحة (٧٦): ذكرت أن الرياض كانت تسمى اليمامة، والصواب: أنه لم تكن الرياض في يوم من الأيام تسمى اليمامة، واليمامة منطقة واسعة، الرياض من مدنها[١٧]. واليمامة بلدة تقع في محافظة الخرج[١٨]. أما الرياض فكانت قديما تسمى حجر[١٩].

---

(١٧) معجم اليمامة ج١، ص١٥ وما بعدها.

(١٨) معجم اليمامة ج٢، ص٤٧٤.

(١٩) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، حمد الجاسر، الرياض ١٤٢٢هـ، ص١٣، ٦٦.

- في صفحة (٨٧) قالت: "وعين رئيسا للعلماء"، والصواب أنه لم يكن هناك منصب يسمى رئيس العلماء، ولم يذكره أحد من المؤرخين وأهل التراجم.

- في صفحة (٩٤) قالت: "الإمام سعود بن عبدالعزيز بن سعود الكبير"، وفي ذلك خطآن:

الأول: وصف سعود الأول أنه الكبير، بل الذي يوصف بذلك الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

الثاني: أسقطت الإمام محمد بن سعود من قائمة النسب.

- في صفحة (١٣٧): "راشد الدريبي بن حمود"، وصوابه: راشد بن حمود الدريبي[٢٠].

- في صفحة (١٤٠) في حديثها عن قصر الكوت: "الذي اتخذه السعوديون مقرًا لإمارتهم من عام ١٢٨٠هـ حتى عام ١٣٠٧هـ". سقطت الأحساء قبل ذلك في يد الأتراك، حيث استولوا عليها سنة ١٢٨٨هـ[٢١]، فكيف يكون القصر مقرا لأمير ليس له سلطة.

- في صفحة (٢١٩): ذكرت أن الديرم يستخدم للأسنان، والصواب أن النساء تستخدمه لتغيير لون الشفاه[٢٢]، وهو الاستخدام الرئيس له، ويقوم مقامه اليوم أحمر الشفاه.

- في صفحة (٣٢٥) قالت عن العرضة: "وهذه اللعبة ليست في الرياض وحدها، بل تنتشر تقريبًا في جميع مناطق

(٢٠) عقد الدرر، ص٩٦.

(٢١) عقد الدرر، ص٨٣.

(٢٢) معجم التراث "الحلي والزينة"، سعد الجنيدل، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص١١٥.

وسط نجد". الصواب أنها تنتشر في نجد، وليس في وسطها فقط. ثم تقول: "السامري في وادي الدواسر وما جاورها". الصواب: أن السامري فن شعبي منتشر في نجد وأجزاء من الخليج العربي. وتقول عنه: "ويجتمع اللاعبون على شكل دائرة". الصواب: أن اللاعبين يكونون في صفين متقابلين.

- في صفحة (٣٧٢) تقول: "ولذلك نجد الشعراء الأوائل ابن مشرف وابن غنام الأحسائي وابن سحمان هم الذين واكبوا أصداء الدعوة وانطلاقتها، فقد هاجروا إلى نجد للإقامة فيها من الأحساء". الصواب: أن ابن مشرف من شعراء الدولة السعودية الثانية، ولم يواكب بداية الدعوة الإصلاحية، ولم يقم في نجد، بل سكن الأحساء، ومات فيه سنة ١٢٨٥هـ[٢٣]. أما ابن سحمان فقد ولد سنة ١٢٦٧هـ، فبينه وبين بداية الدعوة وانطلاقتها قرن من الزمان، فلم يدرك إلا أواخر الدولة السعودية الثانية، وهو من شعراء فترة الاضطراب التي انتهت بتوحيد الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبدالعزيز، كما أنه لم يقدم من الأحساء بل قدم من قرية تسمى السقا قرب أبها[٢٤].

- في صفحة (٣٩٢): ذكرت أن في حائل مدرسة لتعليم أبناء الأمير محمد بن رشيد. الصواب: أن محمد بن رشيد كان عقيمًا لمرض أصابه في صغره، ولذا فليس له أبناء.

---

(٢٣) علماء نجد ج١، ص٥٠٢.

(٢٤) قلائد الجمان في بيان سير آل سحمان، عمر بن غرامة العمروي، د. ت. ص١٦.

- في صفحة (٤٢٢): "أسرة آل مانع... وأنهم من الشبارمة التي تجمع معهم آل شيمة وآل خبيب في جنوبي سدير...". هنا ثلاثة أخطاء طباعية الأول: آل شيمة صوابه آل شيحة، وآل خبيب صوابه آل ضبيب، وجنوبي صوابه جنوبية.

- في صفحة (٤٣٤): في رحلة الشيخ حمد بن عيسى ذكرت أنه عاد إلى شقراء، وتولى قضاءها حتى توفي. الصواب أنه تولى قضاء المجمعة سنة ١٣١٦هـ حتى عزله الملك عبدالعزيز سنة ١٣٢٦هـ. وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٣٢٩هـ[٢٥].

- في صفحة (٤٣٦): ذكرت أن القضاء لحل المشكلات الدينية. أرى أن ذلك تعبير غير مناسب، ولعل قولنا: الفتاوى والخصومات التي تحدث بين الناس، أصح منه.

- في صفحة (٤٤١): ذكرت أن القاضي في عهد الإمام تركي في القصيم حمود الفارسي. الصواب: أن اسمه محمود وليس حمودًا، كما أنه كان قاضياً بالقطيف، وليس القصيم[٢٦].

- في صفحة (٤٥٤): ترجمت للشيخ عبدالرحمن بن عدوان، فذكرت أنه من بني يربوع بن حنظلة، ثم ذكرت أنه من قبيلة عدوان؛ فأيهما الصحيح؟

- في صفحة (٤٩١): "كانت عملية الري عن طريق تصريف المياه بواسطة خنادق ...". ألا ترى المصنفة أن كلمة "خنادق" غير مناسبة، ومن الأفضل استخدام الكلمة المتداولة ساقي أو قناة؟

---

(٢٥) علماء نجد، ج١، ص٤٣٦.

(٢٦) علماء نجد، ج٢، ص١٢٣.

- في صفحة (٤٩٥): "فالسواني تسمى في نجد والقصيم والأحساء بمركب أو قلب، لا تعمل إلا بالحيوان...". هنا خطآن؛ الأول: أن القصيم من نجد، فلا يفرد بالتسمية وكأنه ليس منها. الثاني: تسمية السواني مركبًا وقلبًا في نجد غير معروفة، وليس لها وجود، ومصدر الخطأ دليل الخليج الذي نقلت منه.

- في صفحة (٥٢٥) قالت: "وذلك أثناء فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى، وكان ذلك حوالي ١٢٦٨هـ بخروج حملات إسماعيل باشا". في قولها السابق أخطاء هي:

الأول: أن إمامة فيصل بن تركي الأولى انتهت في سنة ١٢٥٤هـ(٢٧).

الثاني: أن إسماعيل القائد المصري لم يكن يحمل لقب باشا، بل كان يحمل لقب بك ورتبته العسكرية أمير الآي(٢٨).

الثالث: أن قوات إسماعيل بك قد خرجت من نجد بعد قدوم خورشيد باشا إلى الرياض(٢٩).

- في صفحة (٥٤٦) تقول: "خاصة أمير الرياض الإمام فيصل بن تركي". هو إمام فكيف يكون أميرا، والقارئ يوحي إليه الكلام أن سلطة الإمام فيصل في الرياض، وذلك خطأ.

---

(٢٧) عنوان المجد، ج٢، ص١٧٢، تاريخ الفاخري ص٢٠٩.

(٢٨) موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، د. خليفة المسعود، الرياض ١٤٢٦هـ، ص٢٣٠.

(٢٩) عنوان المجد، ج٢، ص١٦٢.

- في صفحة (٥٥٣) تقول: "فيربى في كثير من مناطق نجد كالهفوف والمبرز". ليست الهفوف والمبرز من نجد، بل من الأحساء.

- في صفحة (٥٥٨): ذكرت أن ولاية الإمام فيصل الثانية بدأت في سنة ١٢٥٨هـ. الصحيح أن ولايته الثانية بدأت في أوائل جمادى الأولى من سنة ١٢٥٩هـ[٣٠]، حيث دخل الرياض، وقبض على الأمير عبدالله بن ثنيان.

- في صفحة (٥٩٥): ذكرت أن المثومن نوع من البنادق، والصواب: أنه كرات صغيرة من الرصاص، تحشى بها البندقية، وتسمى مثومن بناء على حجمها، ومنه: مثلوث ومخموس ومسدوس[٣١].

- في صفحة (٦٤٩) الحاشية الرابعة وصفحة (٧٢٩) تقول: "... وثيقة... من تركي بن عبدالله إلى خورشيد باشا بتاريخ ١٩ محرم ١٢٥٤هـ". من النظرة الأولى يتبين الخطأ، فالإمام تركي مضى على وفاته أربع سنوات، فكيف يرسل رسالة؟ والصواب أن المرسل الإمام فيصل بن تركي.

- في صفحة (٦٥٤): استخدمت اسما للصاغة، وهو الجواهرجية، والأصوب: استخدام الاسم الفصيح وهو الصاغة، وهو الاسم المتداول في أنحاء الدولة السعودية الثانية وحتى وقتنا الحاضر.

---

(٣٠) عنوان المجد، ج٢، ص٢١٤، تاريخ الفاخري، ص٢١٣.

(٣١) معجم التراث "السلاح" سعد الجنيدل، الرياض، ١٤١٧هـ، ص١٩٨.

- في صفحة (٦٦٣) قالت: "والقوافل المتجهة من عُمان إلى البصرة وحلب وتمر بالأراضي الخالدية". كيف تكون الدولة السعودية الثانية قائمة وتمر القافلة بالأراضي الخالدية، ودولتهم قد انقرضت؟ ومورد الخطأ أنها نقلت عن مصدر يتحدث عن إمارة بني خالد الأولى التي سبقت الدولة السعودية الأولى، ولم تتنبه إلى هذه النقطة المهمة.

- في صفحة (٦٧١) قالت المصنفة: "طريق من عمان في شرق الجزيرة العربية إلى بلاد القصيم ومنه إلى الرياض...". هذا الطريق مخالف للواقع؛ فمن يريد الرياض من عُمان لا يذهب إلى القصيم قبل الرياض. وقد أحالت إلى لمع الشهاب، والنقل من لمع الشهاب وما شابهه من المصنفات التي لابد أن يقترن النقل منها بالتدقيق، حيث إن فيها أوهاما وأخطاء كثيرة.

- في صفحة (٧٠٧): ذكرت أن الطويلة عملة فارسية، وكانت قد ذكرت في الصفحة (٧٠٢) أنها سُكت في عهد الدولة السعودية الأولى. وفي ذلك تناقض، والصواب ما ذكرت ثانيًا، وكانت هذه العملة تسمى: المتليكة[٣٢].

- في صفحة (٧٢٠): ذكرت أن أحمد الصانع وضع على بيت المال في سدير سنة ١٢٤٤هـ وفي عام ١٢٥٣هـ عين أحمد السديري. الصواب: أن الشيخ أحمد الصانع ولي على بيت مال سدير في سنة ١٢٤٠هـ[٣٣] لا كما ذكرت، ولعلها

(٣٢) النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا العثماني، د. عبدالفتاح أبو علية، الرياض ١٤٠٤هـ، ص١٩.

(٣٣) عنوان المجد، ج٢، ص٣٧.

خلطت بين ولايته بيت المال وولايته على سدير التي كانت سنة ١٢٤٤هـ[٣٤]، أما أحمد السديري فلم يعين وكيلا لبيت مال سدير بل أميرًا على سدير، وكان ذلك سنة ١٢٥٤هـ، خلاف ما أثبتته[٣٥].

- في صفحة (٧٣٧) تقول: "اختل ميزان تلك الموارد (المالية) بعد أن استفحلت الحروب الأهلية في الدولة، وظهرت النزاعات المختلفة من ١٢٨٢هـ". لم تبدأ النزاعات إلا في سنة ١٢٨٣هـ، حيث خرج الأمير سعود بن فيصل على أخيه الإمام عبدالله، لكنه هُزم[٣٦]، ولزم السكون حتى عام ١٢٨٧هـ، وهو العام الذي هزم فيه الإمام عبدالله بن فيصل[٣٧]، واستفحل فيه النزاع، وضعفت سلطة الدولة.

- في صفحة (٧٣٨) تقول عن الضرائب العثمانية في الأحساء: "وكان ذلك عندما ضعف نفوذ آل سعود على الساحل الشرقي". الصواب: أنه لم يضعف؛ لكي يتمكن العثمانيون من جباية الضرائب، لكنه انتهى، واستولى العثمانيون على الأحساء والقطيف استيلاء مباشرا؛ مما مكنهم من جباية الضرائب، ولم يعد للدولة السعودية أي نفوذ في تلك المناطق.

- في صفحة (٧٤٢) ذكرت اسم القائد: عمر بن عفيصان بن عبدالله، وصوابه: عمر بن محمد بن عفيصان[٣٨].

---

(٣٤) عنوان المجد، ج٢، ص٦٦.

(٣٥) عنوان المجد، ج٢، ص١٤٧.

(٣٦) عقد الدرر، ص٦٢.

(٣٧) عقد الدرر ص٧٧-٧٨.

(٣٨) عنوان المجد، ج٢، ص٢٨.

- في صفحة (٨٦٥) من المصادر والمراجع ذكرت: "المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية لعبدالله بن خميس". والصواب: أن هذا عنوان سلسلة شملت أرجاء المملكة، وعنوان المعجم الذي صنعه ابن خميس هو: معجم اليمامة.

ثالثاً: الملحوظات على الملاحق

لم تحسن المصنفة قراءة بعض الوثائق المرفقة بالدراسة، وسأورد بعض الأمثلة على ذلك:

- في صفحة (٧٨٢) قرأت في الوثيقة المرفقة: "دار الحسيني لعيال عبدالله". والصواب: دار الحسيني لسليمان.
- في صفحة (٧٨٣) قرأت في الوثيقة المرفقة: "بجدة". والصواب: يحده.
- في صفحة (٧٩٣): الكلام غير الواضح هو: "سلمه الله... وحفظه من شر كل ذي شر وخلق ذميم آمين".
- في صفحة (٧٩٥) قرأت في الوثيقة المرفقة: "ومن رام إلى أحضانه". والصواب: ومن رام إلى إحصايه.
- في صفحة (٨٠٦) قرأت مجموع الهدايا وهي أربع كذا: ٤/١، فهل هناك ربع بندقية؟
- في صفحة (٨١٦) لم تتمكن من قراءة: اثعشر، تشبيع، يغل.
- في صفحة (٨٢٢): سلاحدار أغا. عرفته بأنه ضابط المسلمين. والصواب: أن السلاحدار كلمة مركبة من سلاح بالعربية، ومن دار وهي حامل[٣٩]، أما أغا فهو لقب آخر.

(٣٩) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد إدي شير، بيروت ١٩٨٠م، ص٩٢.

- في صفحة (٨٢٤) "مجري"، صوابه حجري.
- في صفحة (٨٥١) "أئمة الدولة السعودية الثانية:

١ - تركي بن عبدالله... تولى الإمامة في حكمه الأول..."، الإمام تركي لم يحكم إلا فترة واحدة، ولعله انتقال نظر من المصنفة.

٢ - "مشاري بن عبدالله بن حسن..."، وفي هذا ملحوظتان، هما:

الأولى: لا يعد مشاري من أئمة الدولة السعودية الثانية باتفاق المؤرخين، ولم تجاوز حيازته للسلطة أربعين يوما[٤٠]، قضى ما يقرب من نصفها محصورا في قصر الحكم.

ثانيًا: الأمير مشاري أبوه عبدالرحمن[٤١] لا عبدالله كما أثبتت.

٣ - عبدالله وسعود بن فيصل... وفترة النزاع بينهما. الصواب: أن تقول ابني بالتثنية؛ لأنها ذكرتهما مجتمعين. كما أن الصحيح أن تفرد كل واحد بفترة مستقلة، فالإمام عبدالله بن فيصل تولى الإمامة من عام ١٢٨٢هـ حتى ١٢٨٧هـ، لم يعكر صفو إمامته إلا معركة انهزم فيها أخوه سعود، ولجأ إلى عمان حتى هزم جيش أخيه عبدالله الذي قاده أخوهما محمد في

---

(٤٠) عنوان المجد، ج٢، تاريخ الفاخري ص٢٠٧.

(٤١) عنوان المجد، ج٢، ص٢٢؛ و ج٢ ص٩٧، تاريخ الفاخري، ص٢٠٧، تاريخ بعض الحوادث، ص١١٨.

وقعة جودة ١٢٨٧هـ، وتمتد الفترة الأولى لعبدالله الفيصل إلى سنة ١٢٨٨هـ، حيث خرج من الرياض، ودخلها أخوه سعود، وبويع بالإمامة حتى توفي سنة ١٢٩١هـ[٤٢].

وفي الختام لابد من الإشادة بجهود الباحثة الكريمة وتتبعها لمضان البحث، مع علمنا الكبير بما تعانيه الباحثات من صعوبات وعقبات تعترض طريقهن. فقد سدت ثغرة في تاريخ هذه البلاد المباركة، ومهدت الطريق لبحوث ومصنفات أخرى.

(٤٢) فصّل ابن عيسى في عقد الدرر أحداث تلك النزاعات والمعارك في السنوات الممتدة من ١٢٨٣هـ حتى ١٣٠٩هـ.

رحالة إسباني في الجزيرة العربية

رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م

ترجمة ودراسة وتعليق

د. صالح بن محمد السنيدي

٤٢٤ صفحة



هذا الكتاب ترجمة للرحلة التي قام بها الرحالة الإسباني دومنجو باديا المتسمي باسم علي باي العباسي إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، وقد حوت وصفًا لطريق الرحلة إلى مكة المكرمة، وتناولت بالحديث مناسك الحج، وتحدثت بصورة موسعة عن مكة المكرمة: جغرافيًا، وسياسيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا، وصحيًا، وغير ذلك مما برز أمام ناظري الرحالة المستكشف.

وقد سُبقت الترجمة بدراسة للكتاب، تضمنت تعريفًا بالرحالة الإسباني، وتحليلا لمضمون رحلته، وأبرزت المظاهر العامة التي وردت فيها، ومثلت للمعالم المهمة التي انطلقت منها نظرته إلى المجتمع الإسلامي.





تعليق وتعقيب على مقالة "عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر"

لقد اطلعت على مقالة الدكتور ناصر الجهيمي المنشورة في مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ، حول عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر، فوجدتها مقالة قد استوعبت نصوصًا للمؤرخين وعددًا من الوثائق العثمانية. ويحمد للدكتور تطرقه لهذا الموضوع المهم الذي غير مجرى الأحداث السياسية في نجد، فخروج الإمام فيصل بن تركي من أسره من مصر سنة ١٢٥٩هـ ورجوعه إلى نجد لاستلام الحكم حدث عظيم يستحق الدراسة والعناية؛ لما ترتب عليه من قيام الدولة من جديد واستتباب أمنها. وقد تطرق كثير من المؤرخين لهذا الحدث. وبعد قراءتي للمقالة اتضح لي بعض الملحوظات اليسيرة، وهي ملحوظات على عودة الإمام فيصل الثانية تتلخص فيما يلي:

أولا: ساق الدكتور الكريم عددًا من نصوص المؤرخين حول عودة الإمام فيصل من مصر، مثل: ابن بشر (ت ١٢٩٠هـ)، ورواية في كتاب الأصول الذي ألّف بين سنتي (١٢٦٨-١٢٦٩هـ)، وأحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ)، وضاري الرشيد (ت ١٣٤٠هـ)، وعبدالله البسام (ت ١٣٤٦هـ)، وأمين الريحاني (ت ١٣٥٩هـ)، وعبدالرحمن الرافعي (ت ١٣٨٦هـ)، وحافظ وهبة (ت ١٣٨٧هـ)، والأمير سعود بن هذلول (ت ١٤٠٣هـ)، وعبدالله بن خميس، وغيرهم، والملحوظات على هذا تتلخص فيما يلي:

١- لم يراع ترتيب هذه النصوص ترتيبًا زمنيًا.

٢- لم يذكر بعض من ناقش هذا الموضوع من المؤرخين، سواء الذين أخطؤوا أو الذين أصابوا، أمثال: فهد المارك (ت ١٣٩٨هـ)، ود. منير العجلاني، ود. محمد السلمان.

٣- لم يبيّن أول من قام بمناقشة هذا الموضوع منهم.

٤- لم يوضح من نقل من المؤرخين عن الآخر، مع أن د. محمد السلمان قارن بين بعضها.

٥- أشار الدكتور إلى أن المصادر التاريخية تكاد أن تجمع على خروج الإمام فيصل من مصر بالصفة نفسها التي ذكرها ابن بشر، إلا أنه لم يسمِّ تلك المصادر التاريخية.

٦- لم يقم باستقصاء بقية نصوص المؤرخين أمثال: الفاخري (ت ١٢٧٧هـ)[1]، وأمين الحلواني (ت ١٣١٦هـ)، ومقبل الذكير (ت ١٣٦٠هـ تقريبًا)، ود. منير العجلاني، وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ[2]، ود. محمد السلمان، خاصة تعليق د. السلمان؛ لأنه قام باستقصاء هذه النصوص، وهو ما سنوضحه.

٧- ذكر أن الأمير سعود بن هذلول انفرد بذكر من صحب الإمام من عودته من مصر. وأضيف هنا أن الأستاذ فهد

---

(١) لم يذكر الفاخري أي تفاصيل سوى قوله (قدم فيصل بن تركي من مصر فنزل عنيزة)، ولكن لا بد من ذكره أو الإشارة إليه . انظر: تاريخ الفاخري، لمحمد بن عمر الفاخري، الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢١٢.

(٢) انظر: تعليقه على رواية ابن بشر في عنوان المجد، ط٤، الدارة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٢/٢٠٧.

المارك - رحمه الله - ذكر أسماء اثنين منهم، وهم: خزام الهرار[٣]، والمريبض[٤]، ومصدره الذي نقل عنه معروف وهو رجل من حاشية الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - اسمه سعد بن عيسى[٥]، حيث يُعد فهد المارك من أوائل من تتبع هذا الموضوع وبعض مصادره التي أشارت له في ذلك الوقت، والحقيقة أن المارك دوّنها وذكرها متأثرًا بالرواية العامية، وقد يكون له العذر في ذلك؛ لأنه لم يطلع على بعض المصادر[٦].

٨ - ذكر الدكتور ناصر أن الأمير سعود بن هذلول ذكر روايتين: الأولى أنه هرب من السجن، والثانية أنه خرج بمساعدة الخديوي عباس باشا الأول. ونص الدكتور على أن ابن هذلول لم يرجح إحدى هاتين الروايتين.

---

(٣) خزام الهرار الشبيتي العتيبي، التقى به الرحالة فالين وسماه حزام، ولعله تصحيف من الترجمة، وقد علق الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - على إشارة فالين لحزام مشيرًا إلى رقم الصفحات التي ورد فيها ذكر حزام في كتاب "الأصول" فقال: "... "مخطوطة عباس باشا" ١٠٨- ١١٠، ولم أر هذا في رحلة (فالين) التي عربها سمير شبلي باسم "صور من شمالي جزيرة العرب"...". انظر: أصول الخيل العربية، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٥٦.

(٤) هو دخيل الله بن حجاب المريبض، من المرابضة من الروسان من برقا من عتيبة.

(٥) ويذكر المارك حول تاريخ تدوين روايته أنها بتاريخ ١٥/١٠/١٣٨٣هـ، إذ التقى ببعض الرواة فأخبره رجل من حاشية الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - وهو سعد بن عيسى، وأكد له بأنهما شخصان أحدهما يدعى خزام الهرار، والثاني المريبض.

(٦) من شيم العرب، فهد المارك، ط٤، الرياض: المكتبة الدولية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٤/٦٩، وما بعدها.

وإذا رجعنا إلى نص الأمير ابن هذلول نجده يقول ما نصه: "لكن الصحيح الذي لا يخالطه الشك أن الحكومة المصرية التي كان يتولى أمر رئاستها حينذاك عباس باشا الأول ابن طوسون(٧)، كانت علمت باحتلال عبدالله بن ثنيان، نجدًا والأحساء، وطرده من سلم من سيفه، فرأت أن من الحكمة إطلاق سراح الحاكم الشرعي فيصل بن تركي وتزويده بما يلزمه للسفر إلى بلاده، بعد أن أخذت عليه العهد بألا يتعرض للحرمين الشريفين"(٨).

فهو بهذا يقطع بأن خروج الإمام فيصل تم بمساعدة عباسا باشا، وهو الثابت كما سيأتي.

٩ - ذكر الدكتور أن من صحب الإمام فيصل من عودته اثنان، نقلاً عن الأمير سعود بن هذلول، حيث قال ما نصه: "... وجاء إلى نجد يصحبه نفر قليل من عتيبة من ذوي الثبات، منهم محمد بن مروي، وخزام الهرار وغيرهما...".

قلت: وهذا غير دقيق فقول ابن هذلول: (منهم) و(غيرهما) يوضح أن هناك غير هؤلاء الاثنين، فقد تقدمت رواية المارك أنهما اثنان: أحدهما خزام الهرار، والثاني المريبض، ويمكن الجمع بين رواية المارك وابن هذلول، ويكونون بهذا ثلاثة، وهم:

أ - خزام الهرار.

---

(٧) لم تكن رئاسة مصر آنذاك لعباس باشا، بل لجده محمد علي. وعباس باشا: هو عباس حلمي بن طوسون بن محمد علي، ولد في جدة عام ١٨١٣م، خديوي مصر (١٨٤٨-١٨٥٤م).

(٨) تاريخ ملوك آل سعود، ص٢٥.

ب - دخيل الله المريبض.

ج - محمد بن مروي[٩].

ويذكر ابن هذلول مصدره من خلال كتابين: الأول "الدولة السعودية الثانية" لعبدالفتاح أبو عليّة، والثاني "جزيرة العرب" لمحمود شاكر[١٠].

وهذا يعني أن هؤلاء العتبان كانوا يعملون في تدريب الخيل، ولعلهم كانوا يعملون في إسطبل عباس باشا الشغوف باقتناء الخيل الأصيلة، والذي بعث بلجنة لجمع وتدوين أصولها فيما بعد.

أما ما يتناقله بعض العامة من بعض روايات بالغت في كيفية نجدة هؤلاء لإمام الوطن وقائده، وأنهم هم من أنقذوا الإمام فيصل بن تركي من أسره، فهو قول لا يصح؛ لما يلي:

أ - تقدم ذكر الأمير سعود بن هذلول وقوله: "وقد كان لدى الحكومة المصرية آنئذ اثنان من الرومة من بني شبيب[١١]،

(٩) عودة هؤلاء الثلاثة مع الإمام فيصل بن تركي من مصر هي رواية مستفيضة ومتواترة عند رواة عتيبة وغيرهم.

(١٠) تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٤- ٢٥. الملحوظ أن د. عبدالفتاح أبو عليّة ينقل عن ابن هذلول! ويبدو لي أن الذي نقل عن الآخر هو أبو علية؛ لأن كتاب ابن هذلول طبع طبعته الثانية سنة ١٤٠٢هـ، انظر: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ط٥، الرياض: دار المريخ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٠٥.

(١١) حدث خطأ مطبعي في كتاب الأمير ابن هذلول، فقوله: من الرومة من بني شبيب. هو تصحيف لـ(من الروقة من بني ثبيت)؛ لأن الاثنين هم من ذوي ثبيت من الروقة من عتيبة. وقد نقل الدكتور الجهيمي هذا الخطأ في مقالته ولم ينبه عليه.

هما: محمد بن مروي وخزام الهرار[١٢]، كانت جاءت بهما لتدريب الخيل، فأعطتهما للإمام فيصل ليكونا له دليلين في ترحاله" [١٣].

ففي قوله إشارة واضحة إلى أن هؤلاء العتبان يعملون في مصر لتدريب الخيل، يؤيد هذا النص التالي.

ب - ذكر الأستاذ أسعد الفارس متحدثًا عن نظام تربية الخيل في اسطبل عباس باشا فقال: "فهو نظام تربية الخيل في البادية، حيث كان تدريب الخيول يوميًا قرب "هليبوبوليس-القاهرة" تحت إشراف خبراء الخيول من قبائل: عتيبة، ومطير، وعنزة"[١٤].

وقد رجع الأستاذ الفارس إلى كتابات البارون الألماني "جوليوس فان هيجل" الذي سافر إلى القاهرة لشراء بعض الخيول من عباس باشا لصالح الملك "ورتنمبرغ" ولما عاد كتب تقريرًا للملك. فلعل الفارس نقل منه هذه المعلومة أو من غيره.

ثانيا: بما أن ابن بشر يعد من أوائل من ذكر خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر، فإننا نسوق نصه لأهميته ومن ثم نص المؤرخ دحلان، ثم نصوص بعض المؤرخين:

---

(١٢) محمد بن مروي من الحمران، وخزام الهرار من العردة، والاثنان من الحبصان من ذوي ثبيت من الروقة من عتيبة.

(١٣) تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٥.

(١٤) رحالة الغرب في ديار العرب، ط١، الكويت: صقر الخليج للنشر والإعلان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٤٤٠.

١ - قال ابن بشر: " ففي أول هذه السنة نزل الإمام فيصل من حبسه في القاهرة بحبال لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهال، ونزل ومعه أخوه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم وابنه عبدالله، وكانت العساكر رصدًا عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفرجة التي نزلوا معها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعًا، فحفظهم الله تعالى أن وصلوا إلى الأرض من غير مكروه، وكانوا قد واعدوا ركايب تحتهم فركبوها وذلك في الليل(١٥) فساروا إلى جبل شمر.."(١٦).

٢ - قال أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ): "فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الأمر له، وأمر بكتمانه. ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلاً خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر. واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرًا. فخرج في ليلة ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها وتوجهوا إلى نجد.."(١٧). ونلحظ أن المؤرخين

---

(١٥) ذكر ابن بشر في هامش إحدى نسخ كتابه "عنوان المجد"، ص٤٠٩: أن خروج الإمام فيصل ومن معه كان في أول ليلة من المحرم من راس القاهرة. انظر: عنوان المجد، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٦) عنوان المجد، ابن بشر، مصدر سابق ، ص٤٠٩-٤١٠.

(١٧) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان، ط١، مصر: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ ،ص٣٥٥. ونقل عنه عبدالله البسام. انظر: تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق، عبدالله البسام، نسخة بخط نور الدين شريبة، نسخت سنة ١٣٧٥هـ، ص٤٩٨. ولعل حافظ وهبة (ت ١٣٨٧هـ) ناقل عن دحلان أيضًا. انظر: جزيرة العرب، لحافظ وهبة، ط٣، [د. ت]، ص٢٣٠.

يتفقان على أن الخروج كان ليلاً، إلا أن دحلان يوضح دور عباس باشا في خروج الإمام فيصل.

ويعلق الدكتور منير العجلاني على نصي ابن بشر ودحلان فيقول: "يبدو لنا أن رواية ابن بشر لهرب الإمام فيصل بتدبيره الخاص غير منطقية، فليس سهلاً الهرب من القلعة ومن مصر دون مواطأة مع مسؤولين كبار. ولذلك نرجح رواية زيني دحلان..."(١٨). ثم يقول العجلاني: "وبعد يومين(١٩) بلغ هروبه إبراهيم باشا"(٢٠).

٣ - قال أمين بن حسن الحلواني (ت ١٣١٦هـ) عن توجه خورشيد باشا إلى نجد وأسر الإمام فيصل: ".. وحاصر فيصلاً في بلدة تسمى الخرج، وأرسله إلى محمد علي باشا بمصر، وبقي محبوسًا في قلعة الجبل إلى أن هرب منها متدليًا بالحبال سنة ١٢٥٩هـ". ثم يؤكد خبر هروبه فيقول وهو يتحدث عن هروب خالد بن سعود: ".. فلما رجع فيصل هاربًا من مصر المرة الثانية ووصل إلى جبل شمر..."(٢١).

---

(١٨) اختصرت نص العجلاني لأنه نقل لكلام دحلان الذي مر بنا.

(١٩) الصحيح أنهم لم يبحثوا عنه إلا في اليوم الثالث كما في رواية الأمير محمد علي ولي عهد المملكة المصرية التي نشرها الدكتور الجهيمي . انظر: مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة والثلاثون، ١٤٢٨هـ، ص١٨.

(٢٠) تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الثانية، عهد الإمام فيصل بن تركي، د. منير العجلاني، ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٠٠-١٠١.

(٢١) مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، أمين بن حسن الحلواني المدني،[د. ت] ص١٠٥. وقد نقل هذا النص محقق عنوان =

٤ - قال ضاري الرشيد (ت ١٣٣١هـ): "واستقام فيصل في مصر إلى أن جاءه أعرابيان فشالوه ليلاً وهربوا به إلى نجد"[٢٢].

٥ - قال أمين الريحاني (ت ١٣٥٩هـ) وهو يتحدث عن ابن ثنيان: "... فقد صدف أن فيصلاً، الذي أطلقه محمد علي من السجن في هذه السنة ليعيده حاكمًا إلى نجد.."[٢٣].

ويتضح مما تقدم ما يلي:

أ - أن ابن بشر، وأمين الحلواني، وضاري الرشيد يتفقون على أنه هرب. أما من يرى أنه خرج بمساعدة عباس باشا فهم دحلان، وعبدالله البسام، ومقبل الذكير، وحافظ وهبة. والبسام ناقل عن دحلان بالحرف الواحد، ويبدو أن البقية أيضًا ناقلون عن دحلان. أما ابن هذلول فربما أنه سمع رواية تفيد أن خروج الإمام فيصل كان بمساعدة عباس باشا[٢٤]؛ لأن مصادره التي ذكرها في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه لم تتطرق لهذا الموضوع.

= المجد لابن بشر، الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، انظر: عنوان المجد، ط٤: الدارة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٢٠٧/٢. ويرى د. السلمان أن الحلواني ناقل عن ابن بشر.

(٢٢) نبذة تاريخية عن نجد، أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها الأستاذ وديع البستاني، ط١، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٣٤. وما نقله المارك عن ضاري الفهيد هذا نصه: "وجاء الإمامَ فيصلَ بدوٌ واختطفوه من مصر". انظر: من شيم العرب، ٦٩/٤.

(٢٣) تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص٩٥.

(٢٤) سيأتي ذكر هذه الرواية عند السلمان، فربما فيها ما يؤيد هذا.

ب - أن أول من ناقش الموضوع أو احتفى به من المؤرخين أو ذكر شيئًا من مصادره، وتتبعها هم: الأمير سعود بن هذلول، ثم فهد المارك، ثم د. عبدالفتاح أبو علية، ود. منير العجلاني.

ثالثًا: تعليق الدكتور محمد السلمان على بعض نصوص المؤرخين حول خروج الإمام فيصل بن تركي:

من خلال ما تقدم يذكر د. السلمان ما نصه: ".. لذا يبقى السؤال واردًا. وهو: كيف هرب الإمام فيصل بن تركي من مصر للمرة الثانية؟ ومن سهل هربه؟ ولماذا؟ الواقع أن المؤرخين والباحثين يختلفون في الإجابة عن هذه الأسئلة اختلافًا واضحًا؛ فعمدة مؤرخي نجد عثمان بن بشر: يذكر أن فيصلاً ومعه أخاه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم وابنه عبدالله نزلوا من الحبس بحبال عن طريق فرجة - في مكان سجنهم - تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعًا. وكانوا قد أعدوا ركايب تحت فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر. وقد تبع ابن بشر أو نقل عنه كثير من الباحثين مثل المؤرخ عبدالرحمن الناصر[٢٥]، ومحمد آل عبدالقادر في تاريخ الأحساء[٢٦]، وأمين الحلواني في مختصره لتاريخ عثمان بن سند، وصلاح الدين مختار[٢٧]،

---

(٢٥) عنوان السعد والمجد، عبدالرحمن بن ناصر، (مخطوط)، ورقة ١٦. (د. السلمان).

(٢٦) تحفة المستفيد، محمد آل عبدالقادر، ص١٥٦. (د. السلمان).

(٢٧) تاريخ المملكة العربية السعودية، ص٣١٨.

وأخيرًا فيلبي نفسه نقل رواية ابن بشر ووصفها بأنها "قصة رومانتيكية بطولية"(٢٨).

ويرد على رواية ابن بشر أمران: أولهما: أن المعروف أن أسرة فيصل من بناته وزوجاته قد لحقن به في مصر - كما مر- فهل طريقة هروبهن كذلك؟ ولو فرضنا أنهن جئن بعده، فإن باستطاعة حكومة مصر جعلهن رهينة لتضمن رجوع فيصل إلى سجنه على حد قول من قال إنه هرب دون علمهم.

وثانيهما: أن ابن بشر كان قد ذكر في موضع آخر أن فيصلاً أنزل في مصر في منزل عليه حرس، وكان يتردد عليه كثير من أهل مصر للاستشفاء من قراءته ودعائه. ولو سلمنا بما قال فإنه من الصعب الجمع بين كون فيصل محبوسًا في مكان ترتفع أحد فرجه عن الأرض سبعين ذراعًا وبين كونه مسجونًا في بيت يتردد عليه كثير من أهل مصر(٢٩). ولكن يظهر أن هدف ابن بشر من سياق رواياته في هذا المجال هو التأكيد على ما سبق له تقريره عن الإمام فيصل، وهو قوله: "إن خوارق العادات لهذا الإمام كثيرة معلومة شهيرة بين الناس مفهومة". وذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن الذي أخرج فيصل من مصر هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي، وممن ذهب إلى ذلك سعود بن هذلول، وحافظ وهبة، وأحمد زيني دحلان، وعبدالله المحمد البسام، ومقبل الذكير

(٢٨) تاريخ نجد، عبدالله فيلبي، ص٢١٧. (د. السلمان).

(٢٩) أشار إلى هذا د. العثيمين. انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، ط١٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص٢٧٧.

في مخطوطتيهما. أما الريحاني فيذكر أن خروج فيصل من مصر كان بإيعاز من محمد علي نفسه ليعيده حاكمًا على نجد. وفي رأينا أن فيصلاً خرج من مصر بترتيب من بعض المسئولين هناك، حيث رأوا أن في إرجاعه إلى نجد انتقامًا من عبدالله بن ثنيان، الذي ثار ضد خالد بن سعود والي نجد من قبل محمد علي، والذي أخرج باقي الحاميات المصرية في نجد والمصاحبة لخالد بن سعود. أضف إلى ذلك محاولة كسب فيصل بن تركي - إذا نجح في إعادة ملكه - لإقامة علاقات ودية مع مصر، وهذا ما حصل فعلاً. أما اسم المسؤول الذي أخرجه فهو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي، وذلك لأدلة منها:

١ - ما رواه الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي عن عمته بنت الإمام فيصل بن تركي، أن والدها فيصل كان يهدي الخيول إلى عباس باشا، ويقول: "هذا صديقنا وساعدنا على الخروج من مصر"[٣٠].

٢ - تقرير السفارة البريطانية في إستانبول، والذي جاء فيه أن عباس باشا سمح لفيصل بالهروب من مصر، حيث توجه للقصير ومنها دعا رجاله إليه[٣١].

---

(٣٠) السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك، هامش ص ٢٠٠. (د. السلمان).

(٣١) معدة من السفير البريطاني في إستانبول في ٢٤ مايو ١٩٠٤م، حول تاريخ آل سعود. انظر: السعوديون والحل الإسلامي، كشك، ص٢٠٠. (د. السلمان).

٣ - أن ابن بشر ركز في روايته على طريقة هربه لا على من سمح له بالخروج. ولو فرضنا صحة رواية ابن بشر لما كانت متناقضة مع القول بإخراج عباس بن طوسون له، بل ربما أنه هو الذي اتفق مع أصحاب الركائب التي نقلته ومن معه(٣٢)، وجعل نزوله بالحبال من أحد فرج السجون المرتفعة، وذلك من باب تغطية عمله حتى يعتقد بأن فيصل هرب بنفسه وبحيلة منه، خاصة إذا صحت رواية من قال بأنه حبس في قلعة غرب السويس(٣٣)، وليس في القاهرة القريبة من أنظار الحكومة. ولهذا تذكر بعض الروايات أن محمد علي علم بهروب فيصل فأرسل قوة لإدراكه، ومعهم عباس باشا فلم يدركوه. ومهما يكن من أمر، فقد نجح فيصل في هربه من مصر كما نجح في إعادة ملكه المفقود.."(٣٤).

قلت: وبهذا يتضح لنا بأن عباس باشا هو من كان وراء خروج الإمام فيصل بن تركي من أسره، ولا مجال للشك بعد إيراد هذه النصوص التي يؤيّد بعضها بعضًا، خاصة رواية ابنة الإمام فيصل المتقدمة للأمير مساعد بن عبدالرحمن، والتي يعضدها نصوص المؤرخين التي تقدم ذكرها .

(٣٢) هذا هو الراجح وهو ما تقدم في قول ابن هذلول وأسعد الفارس، ويؤيده مدلول الحادثة.

(٣٣) شكيب أرسلان، ضمن حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب استودار، مجلد ٢، ص١٦٧. (د. السلمان).

(٣٤) الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، أ.د. محمد بن عبدالله السلمان، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٤١، وما بعدها.

ختامًا، أقدم الشكر للدكتور ناصر الجهيمي الذي فتحت مقالته باب قضية هي من الأهمية بمكان في التاريخ السعودي الحديث، وألقت الضوء عليها مضيئة جوانبها، وأرجو أن تكون مشاركتي نافعة في توضيح الموضوع، وزيادة الصورة نقاءً ووضوحًا.

تركي القدَّاح العتيبي

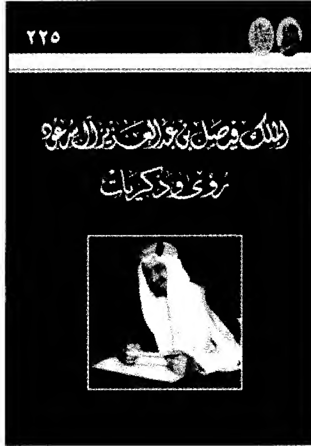
الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود

رؤى وذكريات

تحرير

د. فهد بن عبدالله السماري

١٧٣ صفحة



يضم الكتاب مختارت من شذارت أقلام، كتبت بمداد الوفاء دراسات وخواطر وذكريات وانطباعات عن الملك فيصل أسكنه الله فسيح جناته، نشرت متفرقة في دوريات مختلفة، ودعت الأهمية إلى جمعها ونشرها متوافقة مع انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل، لكونها تشكل أفقا واسعا يمكن أن تنطلق منه دراسات تثري المكتبة التاريخية المتعلقة بالملك فيصل رحمه الله.

وقد تميزت هذه المقالات والدراسات والخواطر بغنى المعنى بعبارت تجسد المحبة التي يكنها أولئك الكتاب للملك فيصل رحمه الله، ونظرتهم العميقة إلى سياساته الموفقة على الصعيد الداخلي والمستوى الخارجي، ونقلهم الصادق لبعض من مواقفه التاريخية، وحديثهم الشيق عن جوانب من شخصيته الفذة التي حازت إعجاب الكثيرين.





ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

ABSTRACTS OF TREATISE

TRANSLATED ARTICLES

BOOK REVIEWS

REVIEWS AND COMMENTS

CONTENTS

ARTICLES

al_darah

A Quarterly
Issued by
King Abdul aziz Foundation
for Research and Archives

Issue No. 3
Year 34
2008